

DT  
106  
R13  
1947  
v.1

CORNELL  
UNIVERSITY  
LIBRARY

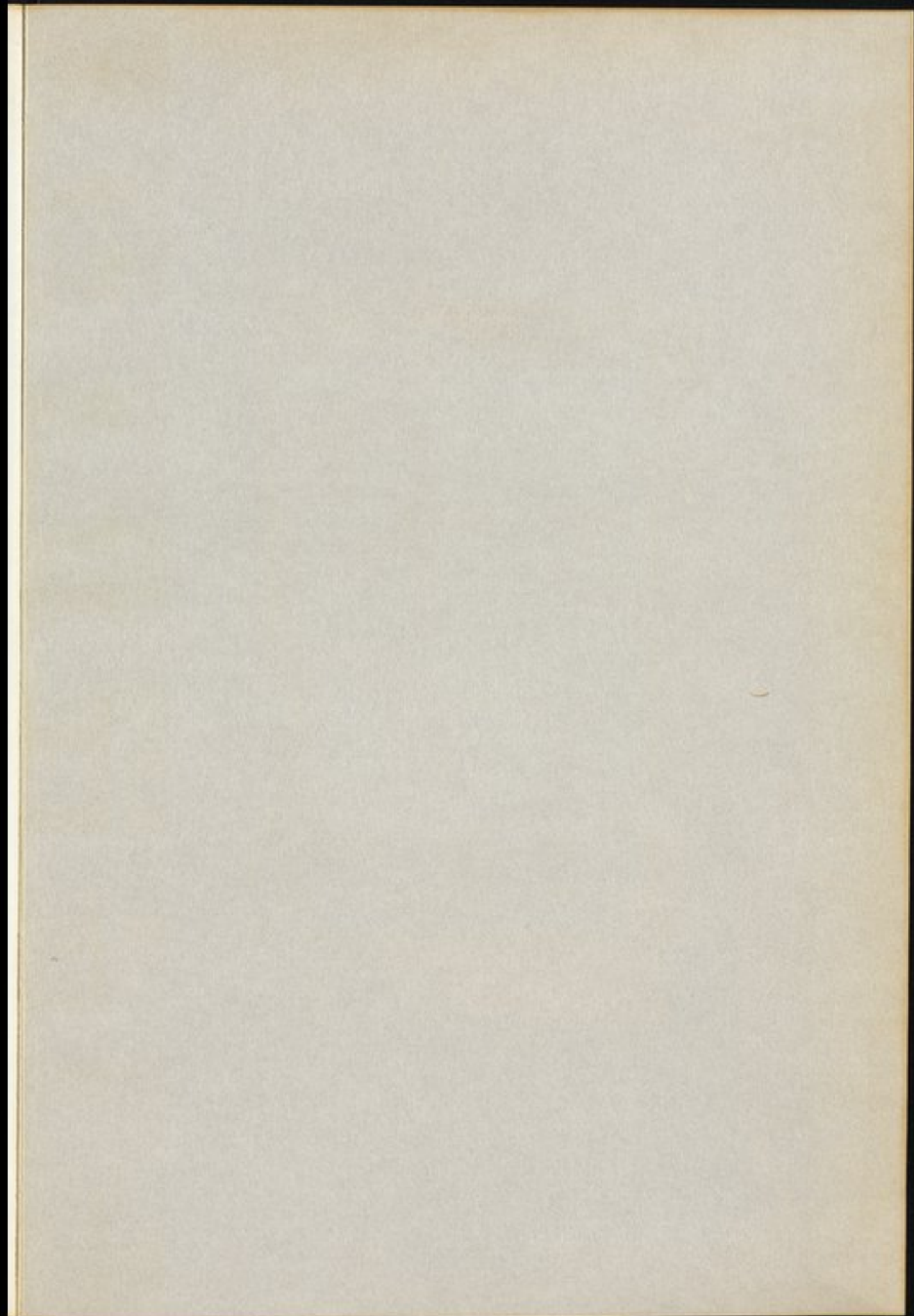


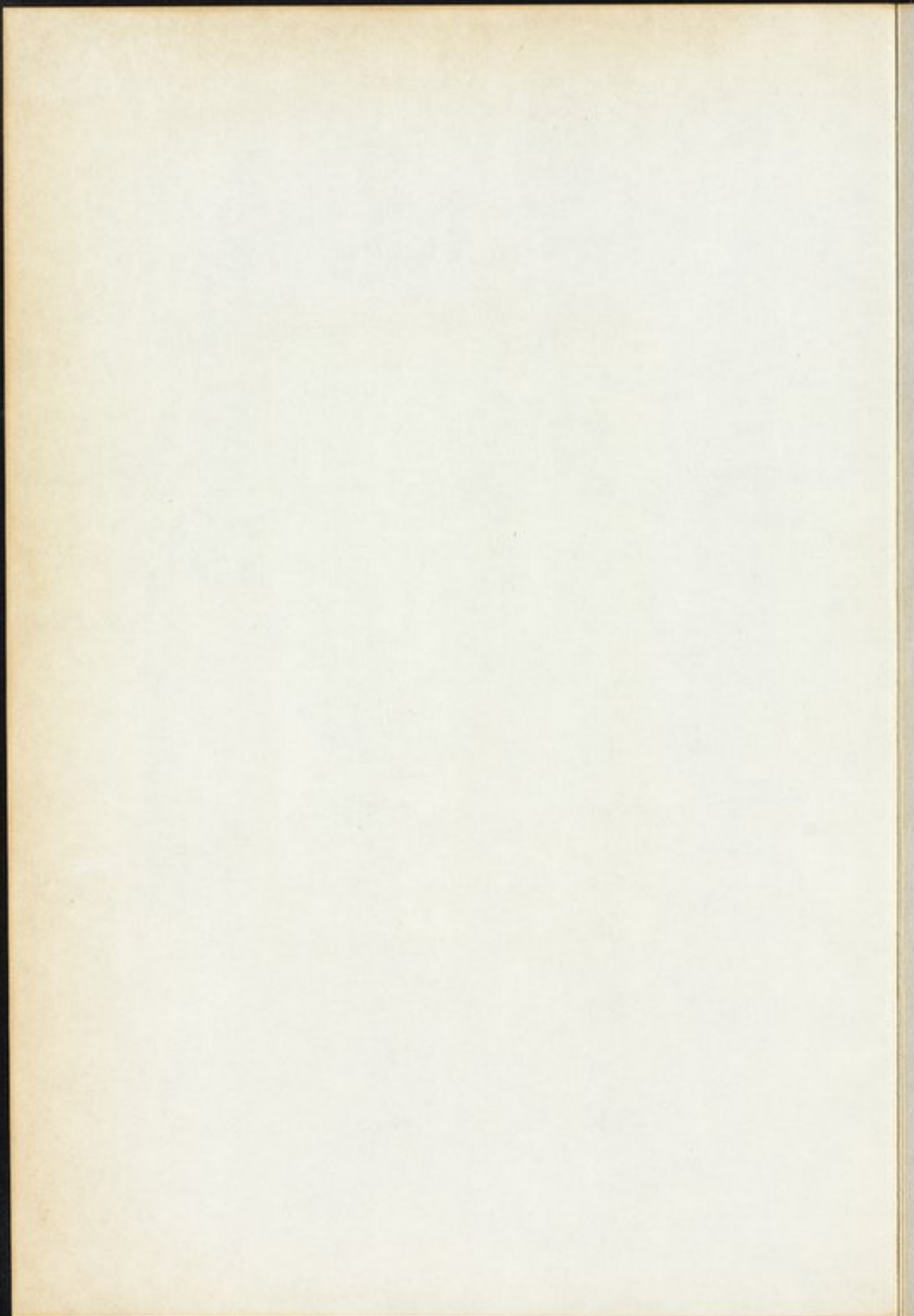
**OLIN LIBRARY - CIRCULATION**  
**DATE DUE**

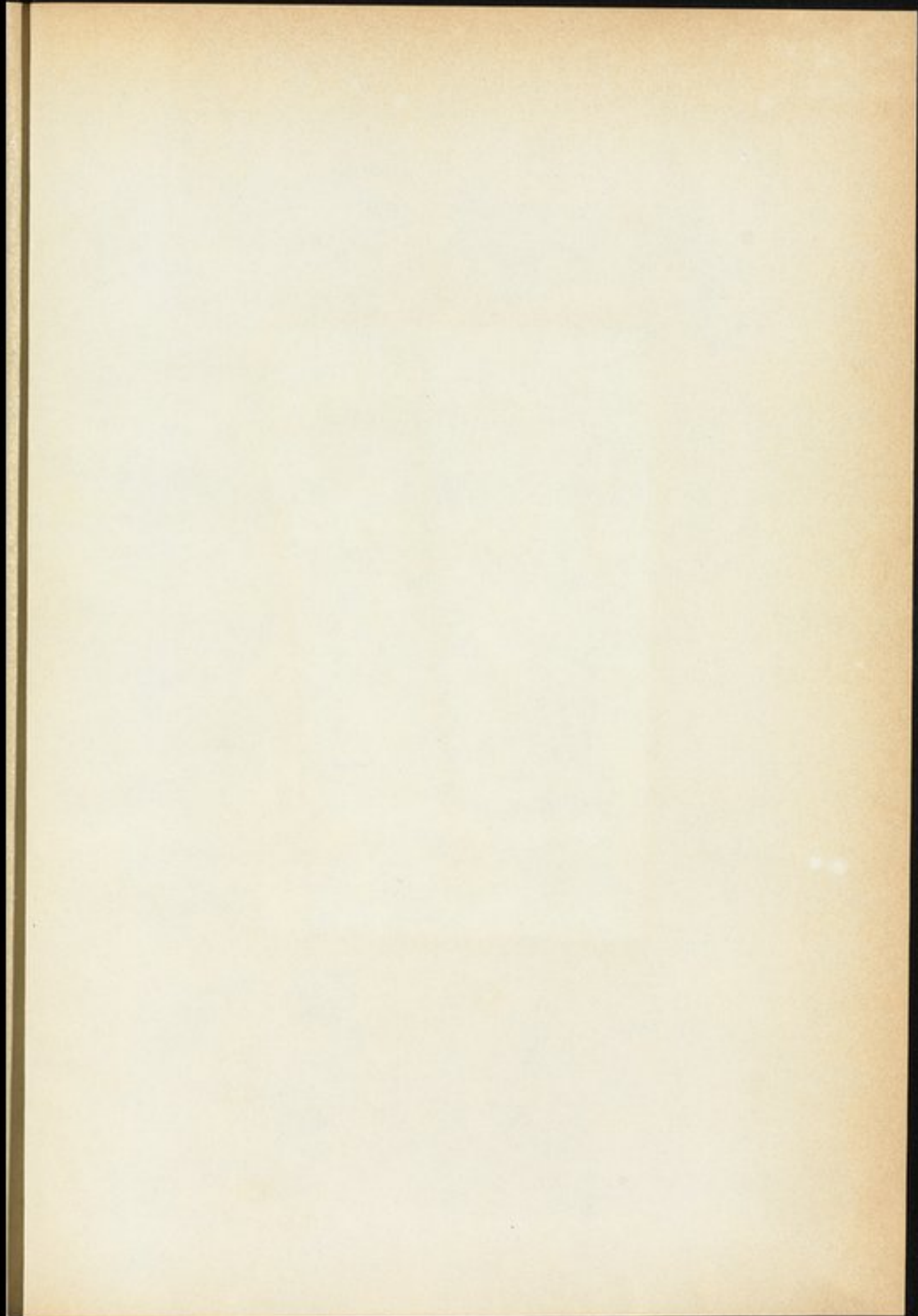
~~FEB 22 1955~~

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.







# عصر اسماعيل

بقلم

عبد الرحمن الراجحي بك

الجزء الأول

الطبعة الثانية

١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

محتويات الكتاب

( الجزء الأول ) يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد اسماعيل

( الجزء الثاني ) وفيه ختام الكلام عن عصر اسماعيل

ثمن الجزء الأول  
٣٠ قرشاً

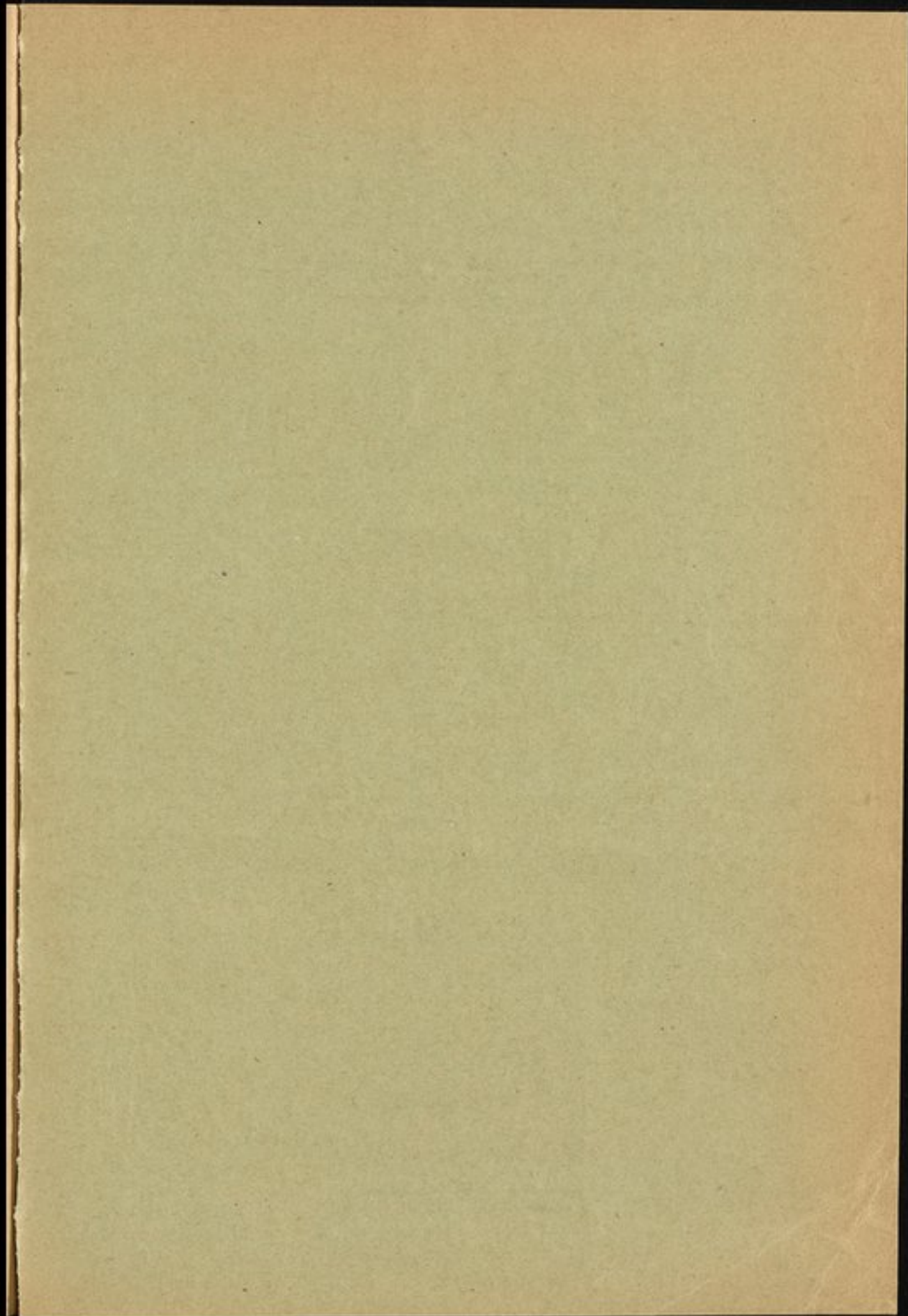
حقوق الطبع محفوظة

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ ش عدلي باشا - ت ٥١٣٩٤ - القاهرة

مطبعة دار الفكرة ش منشأة الفاضل





# عصر اسمعيل

بقلم  
عبد الرحمن الراجحي بك

الجزء الأول

الطبعة الثانية

١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

محتويات الكتاب

( الجزء الأول ) يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد اسماعيل

( الجزء الثاني ) وفيه ختام الكلام عن عصر اسماعيل

ثمن الجزء الأول  
٣٠ قرشاً

حقوق الطبع محفوظة

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ ش عدلى باشا - ت ٥١٣٩٤ - القاهرة

مطبعة دار الفكرة ش منشأة الفاضل

DT

106

R13

1947

u. 1

B719817

55

S

V.A.K

## مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، وشغلت بعدها بإخراج الحلقات التالية من هذه المجموعة ، وقد أفدت من الانتظار هذه السنين قبل إخراج الطبعة الثانية ، إذ تسنى لي أن أطلع على مظاهر خلالها من كتب وتراجم ، ومؤلفات ووثائق ، عن عصر اسماعيل ، يتفق بعضها مع وجهة نظري في الكتابة عنه ، وبعضها يعارضها ، وقد يكون رداً عليها ، ثم أمعنت النظر أيضاً في البحوث والمقالات والخطب التي ألقىتها سنة ١٩٤٥ في دار الأوبرا المللكية ، وفي غيرها من المحافل والمعاهد ، لمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاة الخديو اسماعيل ، وأعدت النظر فيما كتبت عنه سنة ١٩٣٢ ، لعل أكون قد أخطأت في موضع من المواضع ، فأصحح خطئي ، أو انحرفت عن الرأي الصواب ، فأعدل عن رأبي ، ولاغضاضة على الإنسان في أن يعدل عن رأيه إذا تبين له خطؤه فالحقيقة بنت البحث ، والعصمة لله وحده ، على أني بعد أن استكملت هذه الدراسة ازددت اطمئناناً إلى صحة ما كتبتُ ودونتُ عن عصر اسماعيل ، واعتقدت أكثر مما كنت أعتقد أني لم أتجاوز الحقيقة فيما ذكرت له أو عليه ، وهذا هو واجب المؤرخ في التراجم ، فعليه أن يذكر ما للترجم وما عليه ، أما أن يذكر الحسنات دون السيئات ، أو يقتصر على هذه ويغفل الحسنات ، فهذا ليس من التاريخ الصحيح ، وما لا ينبغي أن يكون أساس البحث والتدوين ، والتاريخ الصحيح يقتضي ذكر الحقائق بأكملها ، لتكون الصور التي يعرضها المؤرخ عن الحوادث والشخصيات صوراً صحيحة ، لا تشويه فيها ولا إبهام وعلى ذلك فإني أعيد طبع هذا الكتاب ، دون أن أغير أو أنقص منه شيئاً فالطبعة الثانية هي ذات الطبعة الأولى . لا تغيير فيها ولا تبديل ، ولم أزد عليها سوى إضافات بسيرة الجزء الثاني ، لا تتجاوز ثلاثاً ، وقد حرصتُ على أن أجعلها في هامش الكتاب ، لكي يبقى الأصل كما أخرجته أول مرة ، وأضفت إلى الوثائق التاريخية النص

الكامل لللائحة تأسيس مجلس شورى النواب ولائحته النظامية ، وكنت قد لحصت أحكامهما  
في الطبعة الأولى ، فأبقيت التلخيص كما هو ، وأضفت إليه نصوص اللائحتين ، وأردت  
من نشرها استكمال الوثائق التاريخية الهامة عن هذا العصر ، ولم أزد على ذلك شيئاً  
والله أسأل أن يلهمنا قول الحق ، ويجنبنا مواطن الزلل ، ويهدينا سواء  
السييل ٩

عبد الرحمن الراجحي

اكتوبر سنة ١٩٤٨

## مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

بهذا الكتاب ندخل في غمار العصر الحديث من تاريخ الحركة القومية ، إذ كان عهد الخديو اسماعيل أكثر العهود صلةً بعصرنا الحاضر ، وأقربها منا أثراً

آخر جنا قبل الآن ثلاثة أجزاء من هذا التاريخ ، بسطنا في الأول منها منشأ الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث ، وكشفنا عن الدور الأول من أدوارها وهو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر ، واشتمل الثاني على تنمة المقاومة الشعبية ووقائعها إلى انتهاء الحملة الفرنسية ، وتطور الحياة القومية من بعد ذلك إلى ارتقاء محمد علي أريكه مصر بإرادة الشعب ، ثم أفردنا الجزء الثالث لعصر محمد علي ، وفصلنا الكلام فيه عن ظهور الدولة المصرية الحديثة ، وتحقيق استقلالها ، وتأليف وحدتها القومية بفتح السودان وضمه إلى حظيرة الوطن ، وما تم في ذلك من جلائل الأعمال

وكتابتنا اليوم يتضمن الحديث عن خلفاء محمد علي وعصر اسماعيل ، وقد جعلناه في جزأين ، كتاباً مستقلاً ، لاشتماله على صفحة قائمة بذاتها في تاريخ مصر القومي ، وسنحذو هذا الحذو فيما نخرجه بمشيئة الله من سلسلة تاريخ الحركة القومية فنجعل لكل عهد منها كتاباً مجتمعاً ، فالكتاب الآتي في ( الثورة العراقية والاحتلال الإنجليزي ) ، والذي يليه عن ( مصطفى كامل ) ، وهلم جراً



إن الحقبة من الزمن التي تولى الحكم فيها عباس الأول ، ثم سعيد ، ثم اسماعيل ، هي صفحة هامة من تاريخ مصر القومي ، لأنها بمثابة دور الانتقال من عصر محمد علي إلى الثورة العراقية

انقضى عصر محمد علي وإبراهيم بعد أن توطدت دعائم الدولة المصرية المستقلة ،

وتأسس الجيش المصرى ، والأسطول المصرى ، والثقافة المصرية ، ووضعت قواعد النهضة العلية والاقتصادية فى البلاد

ثم جاء عهد عباس الأول ، ويصح اعتباره عهد الرجعية والنكسة ، لأن فيه وقفت حركة التقدم وفترت النهضة التى ظهرت على عهد محمد على

تم كان عهد سعيد ، ويمتاز بظهور نهضة وطنية جديدة بأن تعد من أدوار الحركة القومية ، ترجع إلى نزعة سعيد الوطنية ، وميله إلى خير المصريين ورفاهيتهم ، والعمل على تحريرهم من نير المظالم ، وبث روح القومية فى نفوسهم ، والنهوض بهم للمناصب العالية فى الجيش والإدارة ، ولكن إلى جانب هذه المحامد ، بدأت على عهده ثغرات التدخل الأجنبى فى شؤون مصر ، بإقراره لإنشاء قناة السويس على يد شركة أوروبية ، مخالفاً فى ذلك تعاليم أبيه العظيم ، وافتتاحه عهد القروض الأجنبية التى جرت الكوارث على البلاد ، وكانت سلاسلها وأغلالها

ثم جاء عهد اسماعيل ، وهو عصر طويل ، يتمثل فيه تاريخ مصر القومى والسياسى فى إبان النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ويعد عصرأ هاماً ، له أثره النافع ، كما له أثره الضار ، فى تطور الحركة القومية ، ذلك لما تفتحت فيه من آمال ، وما قام فيه من نهضة ورقى وعمران ، ثم ماتخلله واقترن به من أخطاء وأرزاء أدت إلى التدخل الأجنبى ، وإذا كانت مصر تشعر إلى اليوم بنتائج النهضة التى قامت فى ذلك العهد ، وتجنح من ثمارها ، وتلس آثارها بيديها ، فإنها أيضاً تعاني عواقب الأغلط التى وقعت فيه ، وتدفع ثمنها غالباً ، من مالها وحقوقها ومرافقها ، هذا إلى أن معظم القيود والنظم التى تقررت فى ذلك العصر لاتزال قائمة إلى اليوم ( ١٩٣٢ ) ، فالنشرىع المختلط ، وتغلغل الأجانب فى مرافق مصر والديون التى كبلت البلاد حكومة وشعباً ، والتدخل الأجنبى فى شؤون مصر المالية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع إلى عهد اسماعيل



كان هذا العهد عصر تقدم ونهضة ، إذ نال الحديو اسماعيل من تركيا أقصى ما يمكن من الحتموق والمزايا توصلها بمصر إلى الاستقلال التام ، وأكمل فتح السودان ، ومد

حدود الدولة المصرية إلى منابع النيل ، وشواطئ المحيط الهندي ، أى إلى تخومها الطبيعية ، فكان عمله من هذه الناحية عظيماً مجيداً ، وعنى بتنظيم الجيش وترقية التعليم الحربى ، وإنهاض البحرية المصرية ، وإقامة أعمال العمران فى مختلف النواحي ، وبعث النهضة العلمية والفكرية من مرقدتها ، بإنشاء المدارس والمعاهد ، وتأسيس الجمعيات العلمية ، وتشجيع التأليف والصحافة ، ورعاية العلوم والآداب والفنون ، وأسس نوعاً من الحياة النيابية بإنشائه مجلساً محدود السلطة يعرف بمجلس شورى النواب ، كان له الأثر البالغ فى تطور الحركة الوطنية

فى عصر اسماعيل حدثت نهضة زاهرة ، يزدان بها تاريخه ، ولكن هذه النهضة قد تعثرت فى سيرها لما شابهها من إسراف الخديو وبذخه ، وركونه إلى الأوربيين ، وشديد ثقته بهم ، واعتماده عليهم ، فأدت هذه العوامل مجتمعة إلى تورطه فى القروض الباهظة التى ناءت البلاد بحملها ، من حيث لم تسكن فى حاجة إليها ، فكانت الذريعة التى توسلت بها الدول الأجنبية لتعبت بحقوق مصر الخالدة ، فوقع هذا العبث ، وتعددت مظاهره ، فمن إنشاء صندوق الدين ، إلى فرض الرقابة الثنائية على مالية مصر ، إلى تأليف لجنة تحقيق أجنبية لفحص شؤون الحكومة المالية ، إلى تعيين وزيرين أوربيين فى الوزارة المصرية ، إلى تغلغل نفوذ الأجانب عامة فى مرافق البلاد ، فهذه الأحداث الجسام قد تصدع لها صرح الاستقلال الذى نالته مصر بجهودها وتضحياتها العظيمة من عهد محمد على



أثارت هذه السكوارث سخط الأحرار من ذوى الرأى والمكانة فى البلاد ، فظهرت فى صفوفهم حركة وطنية تردد صداها فى الصحف وفى مجلس شورى النواب ، واتجهت غايتها إلى إنقاذ مصر من التدخل الأجنبى ، وتقرير النظام الدستورى أساساً للحكم فيها ، وتبادل زعمائها الرأى فى اجتماعات عقدوها بدار السيد على البكرى ومنزل اسماعيل راغب باشا ، واجتمعت كلتهم فى ( الجمعية الوطنية ) على المطالبة بتأليف وزارة وطنية خالصة للمصريين ، خالية من الوزراء الأوربيين ، وتقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس شورى النواب ، فاستجاب الخديو اسماعيل لمطالب الأحرار ، وعهد إلى شريف

باشا الوزير المشهور تأليف الوزارة الوطنية ، على أن تكون خالية من العنصر الأوروبى ،  
مسئولة أمام مجلس الأمة ( وثيقة ٧ إبريل سنة ١٨٧٩ ) ، فألف شريف باشا الوزارة على  
هذا الأساس ، فكانت أول وزارة مسؤولة أنجبتها الحركة الوطنية فى تاريخ مصر الحديث ،  
وكان من أعظم أعمالها وأجلها شأنها أنها وضمت دستوراً على أحدث المبادئ العصرية  
وقدمته إلى مجلس شورى النواب لينال إقراره ، وخولت ذلك المجلس سلطة « جمعية  
تأسيسية » تملك حق إقرار الدستور وتعديله

على أن الدول الاستعمارية لم تنظر بعين الرضا إلى ظهور هذه الحركة واطرادها ،  
واشتداد ساعدتها ، بجمع كلمة الأمة حولها ، ومناصرة الخديو لها ، فسعت لإحباطها ،  
وبدأت مؤامرتها بالاعتراض على أول مشروع مالى للوزارة الوطنية ، ثم عملت على أن  
تخلع الخديو ، وكانت تركيا من الضعف وسوء النية نحو مصر بحيث أجابت طلب الدول ،  
وأعلنت خلع اسماعيل وإسناد منصب الخديوية إلى توفيق باشا ( يونيه سنة ١٨٧٩ )

ثم استمرت المصادمة بين الحركة القومية والمطامع الأوروبية ، إلى أن بلغت طوراً  
جديداً ، هو المعروف بالثورة العراقية ، فالثورة من هذه الناحية تعد ردّ فعل للتدخل  
الأجنبى الذى وقع فى عهد اسماعيل ، ومطالبها الأساسية هى فى جوهرها المطالب التى  
اجتمعت عليها كلمة الأحرار فى ( الجمعية الوطنية ) ، والدستور الذى تمخضت عنه الثورة  
سنة ١٨٨٢ ، مقتبس من دستور سنة ١٨٧٩



فإلى عهد اسماعيل ترجع إذن مقدمات الثورة العراقية ، وهى تطور للحركة الوطنية  
التي ظهرت فى ذلك العهد ، وعندى أن هذه الحركة كانت أسلم عاقبة وأدعى إلى الإعجاب  
والتقدير من الثورة العراقية ، ذلك أن الحركة الأولى كان قوامها نهضة الأفكار والآراء ،  
ونضج العقول والقرائح ، وتبادل الرأى والمشورة ، على حين جاءت الحركة العراقية وقوامها  
الاعتداد بقوة الجيش وحسب ، فتضامل العامل الفكرى والمعنوى ، فى طورها الأخير ،  
وخفّت صوت الحكمة والتعقل ، إلى جانب صوت السيف المدفع ، ومن ثم تنكبت الحركة  
سبيل الرشاد ، وركبت متن الشطط ، وانفسح المجال للدسائس الأجنبية تنصب أشراكها ،



والمطامع الاستعمارية تدبر مكايدها ، حتى انتهت الثورة بالاحتلال الانجليزى الذى مازلنا نعانيه إلى اليوم ( سنة ١٩٣٢ )

فليان التطورات التى تعاقبت على البلاد فى عهد خلفاء محمد على إلى انتهاء عصر اسماعيل ، قد خصصتُ هذا الكتاب ، جاعلا وجهتى السعى إلى استخلاص الحقائق والعضات ، من الحوادث وملابساتها ، لتعرف الحاضر على ضوء الماضى ، ونصل الأسباب بمسبباتها ، والنتائج بمقدماتها ، عسى أن يكون لنا فى ذلك ما نسترشد به فى حياتنا القومية .  
أو نستظهر به على ما نحن بسبيله من جهاد فى سبيل الوطن  
أسأل الله أن يعصمنا من الزلل ، ويلهمنا السداد فى القول والعمل ، ويوفقنا إلى ما فيه تحقق الأمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير

### للذكرى

اليوم ختام العام الخامس لوفاة فقيد الوطن المرحوم أمين بك الرافعى  
اليوم يطوى الزمان خمس سنوات على احتجابك عنا يا أمين ! ، وذكراك باقية فى  
النفوس ماثلة فى الأذهان . يجدها مر الليالى وكر الأعوام  
فالى روحك الطاهرة الثاوية فى دار الابدية ، أبعث بتحيات الذكرى ، يرسلها القلب  
وتفيض بها المشاعر ، ويحملها الرجاء الى عالم الأرواح .  
وإلى بارىء تلك النفس السكريمة ، أتوجه بالدعاء ، أن يسبغ عليها آية السكينة  
والطمأنينة ، فيانفس أمين ! ، اسكنى إلى جوار ربك راضية مرضية ، وياروح أمين !  
سلام ، وريحان ، وجنة ونعيم ؟

عبد الرحمن الرافعى

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٢

## الفصل الأول

### الرجعية في عهد عباس باشا الاول

١٨٤٨ - ١٨٥٤

يصح اعتبار عصر عباس باشا الأول عهد رجعية ، ففيه وقفت حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد محمد علي

ولي عباس حلي الحكم بعد وفاة ابراهيم ، وفي حياة محمد علي باشا ، وهو ابن طوسون بن محمد علي ، لم يرث عن جده مواهبه وعبقريته ، ولم يشبه عمه ابراهيم في عظمته وبطولته ، بل كان قبل ولايته الحكم وبعد أن تولاه خلواً من المزايا والصفات التي تجعل منه ملكاً عظيماً يضطلع بأعباء الحكم ويسلك بالبلاد سبيل التقدم والنهضة

#### نشأة عباس

بذل محمد علي شيئاً من العناية في تعويد عباس ولاية الحكم إذ كان أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً ، وبالتالي أحقهم بولاية الحكم بعد ابراهيم باشا ، فعهد اليه بالمنصب الادارية والحربية ، فتقلد من المناصب الإدارية منصب مدير الغربية ، ثم منصب السكتخدائية التي كانت بمنزلة رأسه النظار ، ولم يكن في إدارته مثالا للحاكم البار ، بل كان له من التصرفات ما ينم عن القسوة ، وكان يبلغ جده نبأ بعض هذه التصرفات ، فينهاه عنها ، ويحذره من مواقعها ، ولكن طبيعته كانت تتغلب على نصائح جده وأوامره

وأما من الوجهة الحربية فقد اشترك مع ابراهيم باشا في الحرب السورية ، وقاد فيها أحد الفيالق ، ولسكنه لم يتميز فيها بعمل يدل على البطولة أو الكفاءة الممتازة

وبالجملة فلم تسكن له ميزة تلفت النظر ، سوى أنه حفيد رجل عظيم أسس ملكاً

كبيراً ، فصار إليه هذا الملك ، دون أن تؤول إليه مواهب مؤسسه ، فكان شأنه شأن الوارث لتركة ضخمة جمعها مورثه بكفاءته وحسن تديره وتركها لمن هو خلو من المواهب والمزايا

وكان ابراهيم باشا لا يرضيه من عباس سلوكه وميله إلى القسوة وكثيراً ما نقم عليه نزعته إلى إرهاب الأهلين ، حتى اضطره إلى الهجرة للحجاز ، وبقي هناك إلى أن داهم الموت عمه العظيم

### ولايته الحكم

كان عباس باشا متغيباً بالحجاز لما عاجلت المنية ابراهيم باشا ، فام تدعى إلى مصر ليخلفه على دست الأحكام تنفيذاً لنظام التوارث القديم الذي يجعل ولاية الحكم للأرشد فالأرشد من نسل محمد علي ، وتولى الحكم في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨ ( ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ )

### أخلاقه

بقي عباس في الحكم خمس سنوات ونصفاً ، كان يبدو في خلالها غريب الأطوار ، شاذاً في حياته ، كثير التطير ، فيه ميل إلى القسوة ، سيء الظن بالناس ، ولهذا كان كثيراً ما يأوى إلى العزلة ، ويحتجب بين جدران قصوره ، وكان يتخير لبنائها الجهات الموعلة في الصحراء ، أو البعيدة عن الإنس ، ففيما عدا سراي الخرنفش ، وسراي الحلبيه بالقاهرة ، قد بنى قصرًا فخماً بالعباسية ( التي سميت من ذلك الحين باسمه ) ، وكانت إذ ذاك في جوف الصحراء ، وقد شاهد المسيو فردينان دلسبس هذا القصر سنة ١٨٥٥ ، فراعته ضخامته ، وذكر أن نوافذه بلغت ٢٠٠٠ نافذة ، وهذا وحده يعطينا فكرة عن عظم القصر واتساعه ، فسكانه بنى لنفسه مدينة في الصحراء ، وبنى قصرًا آخر نائباً في الدار البيضاء ، الواقعة بالجبل على طريق السويس المقفر ، ولا تزال آثاره باقية إلى اليوم ، وقصرًا بالعطف ( ذكره علي باشا مبارك في الخطط ج ٧ ص ٦٣ ) ، وقصرًا في بناها على ضفاف النيل ، بعيداً عن المدينة ، وهو الذي قتل فيه كما سيجيء بيانه

وقد أساء الظن بأفراد أسرته ، وبكثير من رجالات محمد علي وإبراهيم ، وخيل له الوهم أنهم يأتمرون به ، فأساء معاملتهم ، وخشى الكثير منهم على حياتهم ، فرحل بعضهم إلى الأستانة ، والبعض إلى أوروبا ، خوفاً من بطشه ، واشتد العداء بين الفريقين طول مدة حكمه ، وبلغ به حقه علي من يستهدفون لغضبه أنه حاول قتل عمته الأميرة نازلي هانم ، واشتدت العداوة بينهما حتى هاجرت إلى الأستانة خوفاً من بطشه

وسعى في أن يغير نظام وراثة العرش ليجعل إبنه إلهامى باشا خليفته في الحكم ، بدلاً من سعيد باشا ، واسكنه لم يفلح في مسعاه ، ونقم علي سعيد باشا الذي كان بحكم سنه ولي العهد ، واتهمه بالتآمر عليه ، واشتدت بينهما العداوة حتى اضطره أن يلزم الإسكندرية ، وأقام هناك بسرايه ( بالقبارى )

وانتشرت الجاسوسية في عهده انتشاراً مخيفاً ، فصار الرجل لا يأمن على نفسه من صاحبه وصديقه ، ومن يغضب عليه ينفيه إلى السودان ويصادر أملاكه ، وكان نفي المغضوب عليهم إلى أقصى السودان من الأمور المألوفة في ذلك العصر

وكان عباس مولعاً بركوب الخيل والمجن ، يقطع بها المسافات البعيدة في الصحراء ، وله ولع شديد باقتناء الجياد الكريمة ، يجلبها من مختلف البلاد ، ويعنى بتربيتها عناية كبرى ، ويبني لها الاصطبلات الضخمة ، وينفق عليها بسخاء ، شأن هواة الخيل

## أعماله

### سياسته العامة

يختلف عهد عباس عن عصر محمد علي ، فان حركة النهضة والتقدم والنشاط التي امتاز بها هذا العصر قد تراجعت كما قلنا في عهد عباس ، وهناك ظاهرة أخرى للفرق بين العهدين ؛ ذلك أن محمد علي كان يستعين بذوى العلم والخبرة من الفرنسيين في معظم مشاريع الإصلاح ، لكن عباس ، لسكونه لم يفكر في تعهد هذه الإصلاحات أقصى معظم هؤلاء الخبراء واستغنى عنهم ، وقم تضام النفوذ الفرنسي في عهده ، ولم يعد إلى الظهور إلا في عهد سعيد باشا ، ومن هنا نعرف سبباً لتحامل كثير من المؤرخين والمؤلفين الفرنسيين على عباس ، فانه وإن كانت أعماله لا تدعو إلى الإطراء ، لسكننا

نعتقد أن أحكام الفرنسيين عليه لا تخلو من التحامل ، لتأثرهم من تضاؤل النفوذ الفرنسي في عهده ، والفرنسيون لما اتصفوا به من الوطنية يكرهون كل ملك أو أمير يقترن عهده بتضاؤل النفوذ الفرنسي في بلاده ، من أجل ذلك نراهم يكيلون المدح جزافا لسعيد باشا ، ونعتقد أن هذا راجح إلى ميوله الفرنسية وعودة النفوذ الفرنسي إلى مصر في عهده ، على يد المسيو فردينان دلسبس وأمثاله ممن اتخذهم سعيد بطانته وأولياؤه

فعباس إذن قد أقصى عنه الخبراء من كبار الموظفين الفرنسيين ، فلم يعد لهم نفوذ لديه ، بل لم يسكن يعاملهم معاملة عطف واحترام ، واستغنى عن خدمة بعضهم

وعلى العكس ، بدأ النفوذ الانجليزي يظهر في عهده على يد المستر ( مري ) القنصل البريطاني في مصر وقتئذ ، فقد كان له عليه تأثير كبير ، وله عنده كلمة مسموعة

ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه المنزلة ، سوى أنها نتيجة المصادفة ، فإن الملوك والأمراء المستبدين ليس لهم قاعدة مستقرة ، ولا تصدر أعمالهم عن برنامج أو تفكير ، بل يتبعون الهوى في كثير من أعمالهم ، وقد يكون لسكفاءة المستر مري دخل فيما ناله عند عباس ، من النفوذ ، وقيل إنه كان يستعين به في السعي لدى حكومة الاستانة بوساطة سفير إنكلترا لتغيير نظام وراثة العرش ، كي يؤول إلى ابنه إلهامى ، وفي رواية أخرى إنه كان يستعين به وبالحكومة الانجليزية ليمنع تدخل حكومة الاستانة في شؤون مصر إذ كانت تبغى تطبيق القانون الأساسى المعروف بالتنظيمات على مصر .

### إصلاح الطريق بين القاهرة والسويس

ومهما يكن من السبب فالمستر مري كان له أثر ظاهر في اتجاه أفكار عباس ، ويتبين هذا النفوذ من أن أول أعماله بعد ولايته الحكم هو إصلاح طريق القاهرة إلى السويس ورصفه بالحجارة ، فجعله معبدا ، تسير فيه العربات بسهولة ، فهذه الفكرة وإن كانت في ذاتها فكرة عمرانية سديدة إلا أن الموعز بها هو المستر مري ، وغرضه منها تسهيل سبيل المواصلات البرية إلى الهند عن طريق مصر ؛ وسرعة نقل البريد البريطاني والسياح بين الهند وإنجلترا

وكانت السياسة الانجليزية ترمي إلى تعبيد طريق المواصلات بين إنجلترا والهند في

مصر بواسطة انشاء سكة حديدية ، تصل الاسكندرية بالقاهرة ، ومنها إلى السويس ، وكانت تعارض في أن تنشأ بمصر طريق بحرية للواصلات ، ولذلك عارضت في شق القناة البحرية في برزخ السويس ؛ وجذبت مد السكة الحديدية بين الاسكندرية والسويس ، وحجتها أن شق القناة يسهل على الدول البحرية المنافسة لها في الاستعمار طريق الوصول بسفنها الحربية إلى البحر الأحمر ؛ ثم إلى الهند ، فيتعرض سلطانها هناك للخطر ، أما فرنسا فكانت على العكس تحبذ فتح القناة ، وتعارض في مشروع السكة الحديدية ؛ لأنه مشروع انجليزي

### السكة الحديدية بين الاسكندرية والقاهرة

ولقد فازت السياسة الانجليزية بضم عباس إلى وجهة نظرها ، فتم على يده إصلاح طريق السويس ، ثم شرع في مد السكة الحديدية من الاسكندرية إلى القاهرة سنة ١٨٥٢ ، وعهد بتخطيط العمل إلى المهندس الانجليزي الشهير روبرت ستفنسن Stephenson ، يعاونه مهندسون مصريون ، لسكن المهندسين المصريين هم الذين تم على أيديهم انشاء الخط كما يقول المسيو مريو (١) Meruau ، ومنهم من صار لهم فيما بعد شأن كبير وتقلدوا كبرى المناصب ، مثل سلامة باشا ابراهيم ، وثاقب باشا . ومظهر باشا . وبهجت باشا ، واستخدم عباس في تعبئة الطريق وتركيب القضبان الجنود والبحارة المصريين ، وانشئ من سكة الحديد في عهده الخط الواصل بين الاسكندرية وكفر الزيات ( سنة ١٨٥٤ ) ، وتم الخط بأكمله في عهد سعيد ، ويثس المسيو فردينان دلسبس من نجاح مشروع شق القناة ، ولم يعاوده الأمل إلا بعد أن تولى سعيد باشا الحكم كما سيجيء بيانه وإذا نحن صرفنا النظر عن التزاحم السياسي بين انجلترا وفرنسا ، فما لا شك فيه ، من وجهة النظر المصرية ، أن مشروع السكة الحديدية بين الاسكندرية والقاهرة وبين هذه والسويس أنفع للبلاد ، وأبعد عن الضرر من مشروع القناة ، فان مصر لم تستفد شيئاً من فتح قناة السويس ، بل كانت القناة شؤماً عليها كما سنفصله في موضعه ، ولأن

(١) في كتابه ( مصر الحديثة ) ص ١٠٢ ، والمسيو مريو معاصر لعباس وسعيد واسماعيل



عباس باشا الأول والى مصر

من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٥٤

السكة الحديدية قد نهضت بعمران البلاد التي مرت بها ، بخلاف القناة  
فإصلاح طريق السويس ، والشروع في مد السكة الحديدية بين الاسكندرية والقاهرة ،  
هما من أول ما فكر فيه عباس ، وهما من المشاريع الجليلة ، ولعل هذا هو العمل الوحيد  
الإنشائي الذي يذكر لعباس ، لأنه لا يخفى أن السكك الحديدية هي من أعظم دعائم  
العمران والتقدم ، وكانت هذه السكة أول خط حديدي أنشئ في مصر ، بل في الشرق  
قاطبة ، فصر قد سبقت دول الشرق في أعمال العمران ، ولا يخفى أن تركيا وهي أقوى  
دول الشرق وقتئذ تأخرت عن مصر في مد السكك الحديدية واستخدام القطارات البخارية ،  
وإنك لتلح تقدم مصر وسبقها تركيا في ميسادين العمران حينما زار السلطان عبد العزيز  
مصر سنة ١٨٦٣ ، فانه لما ركب القطار من الاسكندرية إلى القاهرة تملكه العجب ، لأنه  
لم يكن رأى القطارات البخارية في حياته من قبل (١)

### ضبط الأمن

وعنى عباس باستتباب الأمن ، فضرب على أيدي الأشقياء وقطاع الطرق ، وطاردهم  
وعاملهم بالقسوة ، نخشوا بأسه ، وانقطع دابرهم ، وأمن الناس شرورهم ، فاستتب الأمن  
في عهده ، وهذا من خير أعماله

### المدارس والمصانع

أما المدارس ، فقد ساءت حالتها في عهده ، فألغى معظمها ( بعد الذي عطل منها  
في أواخر عهد محمد علي ) ، واقفلت أبوابها ، بين عالية وثانوية وابتدائية ، ولم يبق منها  
إلا النزر اليسير ، وكأما كان عباس يكره العلم والتعليم ، فانه لم يكتف بإغلاق معظم  
المدارس ، بل أنفذ الى السودان طائفة من كبار علماء مصر في ذلك العهد ، مثل رفاعة  
بك رافع . ومحمد بيومي أفندي ، ودقلة أفندي ؛ بحجة انشاء مدرسة ابتدائية بالخرطوم ؛  
والسبب الحقيقي هو إبعادهم ونفيهم من مصر ، وقد ساءت حالتهم كما بينا ذلك تفصيلا

(١) أنظر كتاب « سياحة السلطان عبد العزيز من الإستانة إلى القاهرة » ، للسيوجاردي



في ترجمة رفاة بك رافع (١) ، ومات منهم هناك محمد بيومي كبير أساتذة الهندسة والرياضيات في مدرسة المهندسخانة

وانتقى من تلاميذ المدارس التي ألغاهها عدداً منهم أدخلهم مدرسة أنشأها سنة ١٨٤٩ ، ودعاها «المفروزة» إشارة الى أنه أفرز تلاميذها من بين طلبة المدارس ، وكانت هذه المدرسة بمثابة مدرسة تجهيزية حرية

وأقفل ما بقي من المعامل والمصانع التي أنشأها جده بحجة الاقتصاد في النفقات

### البعثات

وأرسل إلى أوروبا ١٩ طالبا من تلاميذ المدارس المصرية لإتمام دروسهم بالمدارس الأوروبية ، على أنه استدعى معظم أعضاء البعثات الذين كانوا يتلقون العلم في فرنسا منذ عهد محمد علي

### السودان

لم يعن عباس بالسودان عناية جده به ، ولم يفكر يوما في زيارة ذلك الإقليم العظيم الذي يعد الجزء المكمل لمصر ، ليشارك بنفسه شؤون البلاد وأهلها ، ويتعرف أحوالها كما فعل محمد علي الذي لم تمنحه شيخوخته ومشاغله العديدة من أن يجوب السودان باحثا مستطلعا .

### الجيش والبحرية

أنفذ عباس بعض الإصلاحات الحربية التي فكر فيها إبراهيم باشا قبل وفاته ، كتجديد الإستحكامات ، وإنشاء الطرق الحربية ، وفيما عدا ذلك فإن الجيش في الجملة لم يكن موضع عنايته ، وقد تسرب الى إدارته الخلل وسوء النظام ، بعد أن كان مضرب الأمثال في النظام والكفاية على عهد محمد علي ، وزاد في اضمحلاله أنه أدمج فيه نحو ستة آلاف من الأرناؤود ، جعلهم خاصة جنده ، وسلحهم بالمسدسات ، فكانت لهم في عهده الصولة

(١) راجع «عصر محمد علي» ص ٤٨٨ (من الطبعة الأولى)

والسطوة ، وشمخوا بأنوفهم على المصريين ، جنودا وأفرادا ، وجر د عباس الأهلين من السلاح ؛ وحظر عليهم حملة ، فعاث الأرناءود في الأرض فسادا ، بما اشتهر عنهم من الظلم والعسف والإرهاق ، وبقي هؤلاء الاخلاط قوام الجيش في عهده وظل سليمان باشا الفرنسي القائد العام للجيش المصري ، ولكن يده غلت عن النهوض به واصلاح شؤونه

وساءت حالة البحرية بعد أن كانت زاهرة ، وأخذت في الاضمحلال . ويرجع ذلك الى إهمال عباس أعمال العمران عامة ، ثم الى سبب خاص ، وهو كراهيته لعمه سعيد باشا ، ومعلوم أن سعيد كانت نشأته في البحرية ، وكان قائدا عاما للأسطول في عهد محمد علي ، فلما تولى عباس الحكم حقد على البحرية جملة واحدة ، لحقده على سعيد باشا . ! فأهمل شأنها ، وتعطلت أعمال الترسانة ، ووقف إصلاح السفن ، فسرى اليها العطب والتلف

### اشترك مصر في حرب القرم

بقى الجيش المصري رغم ما أصابه من الخلل قوة لا يستهان بها ، وظهرت بسالته في حرب القرم ، وهي الحرب الوحيدة التي خاضت مصر غمارها في عهد عباس

شبت نار القتال بين تركيا والروسيا سنة ١٨٥٣ ، فطلب السلطان عبد المجيد الى عباس باشا أن يمدده بالجند والأساطيل ، فلبى عباس الطلب ، وكانت دار الصناعة ( الترسانة ) في ذلك الحين معطلة كما قدمنا ، فعاد اليها النشاط والعمل ، واستدعى اليها العمال الذين كانوا مصروفين عنها ، وجهاز الأسطول المصري ، وعهد بقيادته الى الأميرال حسن باشا الاسكندراني ، أحد خريجي البعثات في عهد محمد علي (١)

وأعد حملة مؤلفة في بدء الحرب من نحو ٢٠.٠٠٠ مقاتل بقيادة سليم باشا فتحمى أحد القواد الذين حاربوا تحت لواء ابراهيم باشا في حروب سوريا والأناضول ، فأقلعت الحملة على ظهر العمارة المصرية ووصلت الى الاستانة ، ومضت الى ميدان القتال على نهر الدانوب ، ورابط معظم الجيش المصري في ( ساستريا ) وكان الروس يهاجمونها ، فأبلى

(١) ترجمنا له في الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية (عصر محمد علي ص ٥٣١ من الطبعة الأولى)

المصريون بلاء حسنا في المدافعة عنها ، وأقاموا بها حصنا عرف بطايرة العرب ، كان له فضل كبير في الدفاع ، فاستطاع الجيش المصري أن يكسر هجمات الروس سنة ١٨٥٤ ، واستمرت الحرب الى عهد سعيد باشا كما سيجيء بيانه

وقد ساهم الأسطول المصري في الحرب البحرية ، فسار قسم منه الى شواطئ الأناضول الشمالية بالبحر الأسود ، ولسكن السفن الروسية أوقعت به ، واشتركت بقية السفن في نقل القوات الحربية الى ثغور البحر الأسود ، وبقيت تؤدي واجبها الى انتهاء الحملة

### مقتل عباس

اتفقت الروايات على أن عباس مات مقتولا في قصره بينها ، وهذا أمر مقطوع بصحته ، ولكن الخلاف في رواية مقتله ، وليس عجيبا أن يختلف الرواة في ذلك ، فان قتل عباس كان نتيجة مؤامرة من مؤامرات القصور ، وهذه المؤامرات لا يسهل اكتشاف حقيقتها ، أو الاتفاق على روايتها ؛ لما يكتنفها من الأسرار ، ولأنها تقع في جنح الظلام ؛ بعيدة عن الأنظار ، فلا يعرف الناس عنها الا ما تتناقله الألسنة بعد وقوعها ؛ ومن هنا ينشأ الاختلاف في الرواية ؛ ولدينا عن مقتل عباس روايتان ، إحداهما ذكرها اسماعيل باشا سرهنك في كتابه ( حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٦٥ ) والأخرى ذكرتها مدام أولمب ادوار كما سمعتها بمصر في أوائل عهد اسماعيل ودوتها في كتابها ( كشف الستار عن أسرار مصر ص ١٤٣ )

ويؤخذ من رواية اسماعيل باشا سرهنك ، أن ( عباس ) كانت له حاشية من المماليك يقر بهم اليه ويصطفاهم ، ويتخذ منهم خواص خدمه ، ولهم عنده من المنزلة ما جعله يصدق عليهم الرتب العسكرية العالية ، على غير كفاءة يستحقونها ، حتى حاز أكثرهم رتبة قائممقام وكان لهم كبير من خاصة غلبانه ، يسمى خليل درويش بك ، وعرف فيما بعد بحسين بك الصغير ؛ وقد أساء هذا الرئيس معاملة أولئك المماليك ، فاستظالوا عليه بالغمز واللز ، وخاصة لأنه كان صغير السن . فاتخذوا من حدائته مغمزا للأقويل ، فسخط عليهم ، وشكاهم الى مولاه ، فأمر بجلدهم ، فجلدوا ؛ وجردوا من ثيابهم العسكرية .

وألبسهم خشن اللباس. وأرسلهم الى الاصطبلات لخدمة الخيل ، فعز ذلك على ومصطفى باشا ، أمين خزانه عباس . لانهم كانوا من اتباعه المقربين اليه . فسمى جهده لدى سيده ليغفو عنهم . فلم ينل بادىء الأمر بغيته ، فلما ذهب عباس باشا الى قصره بينها يصحبه احمد باشا يكن و ابراهيم باشا الالفي محافظ العاصمة ، رجاها مصطفى باشا أن يطلبوا العفو عنهم ، فطلبوا ذلك الى عباس . فأجاب ملتئمهما . وأصدر أمرا بالعفو عنهم . ورددهم الى مناصبهم . فجاءوا الى بنها ليرفعوا واجب الشكر للأمير . ولسكنهم أضمر والفتك به انتقاما لما وقع بهم . فائتمروا به مع غلامين من خدمة السراى . يدعى أحدهما عمر وصنى والآخر شاكرك حسين . واتفق الجميع على قتله . وكان من عادة عباس عند نومه أن يقوم على حراسته غلامان من مماليكه . ففي ليلة ١٨ شوال سنة ١٢٧٠ ( ١٤ يولييه سنة ١٨٥٤ م ) كان الغلامان المذكوران يتوليان حراسته ، فجاء المؤتمرون فى غسق الليل على اتفاق مهمما . وفتحوا الباب ، فدخلوا غرفة الأمير ، وهونائم ، ولما أرادوا الفتك به استيقظ وحاول النجاة ، فصدده عمر وصنى ، وتكاثر عليه المؤتمرون ، وقتلوه ، ثم أوعزوا الى الغلامين بالهرب فهربا ، وكنتم المتآمرون الخبر الى اليوم التالى ولما لم يستيقظ الأمير فى مواعده دخل عليه احمد باشا يكن و ابراهيم باشا الالفي فوجداه مقتولا ، فذعرا لهذه الفاجعة ، واتفقا على اخفاء الخبر حتى نقل الأمير القتيلى الى القاهرة فى عربة ، ووصلا به الى قصره بالحلية ، وهناك ذاع خبر قتله

وأراد جماعة من أنصار عباس ، وعلى رأسهم ابراهيم باشا الالفي أن يجعلوا الحكم من بعده لنجله ابراهيم إلهامى باشا الذى كان وقتئذ بأوروبا ، فاتفقوا على استدعائه ليولوه الحكم ، ويمنعوا عنه عمه سعيد باشا أكبر أنجال محمد على وأحق الأمراء بالولاية طبقا للنظام القديم . وكان سعيد باشا وقتئذ بالاسكندرية ، يقيم بسرايه بالقبارى . فكتبوا سرا الى محافظ الاسكندرية اسماعيل سليم باشا . وأبلغوه بما اتفقوا عليه . وطلبوا اليه القيام على الثغر حتى يحضر إلهامى باشا . فلما تلا الرسالة لم يشاطرهم رأيهم . لعله أن الحكم من حق سعيد باشا ، فقصد اليه من فوره . وأنهى اليه خوى الرسالة . فشكره سعيد باشا على إخلاصه . وذهب صحبته الى سراى رأس التين . وأعلن اعتلاءه العرش . وأجريت حفلة الجلوس . وأطلقوا المدافع . ثم سافر سعيد باشا الى القاهرة يصحبه أمراء الأسرة الحاكمة الذين كانوا مبتعدين عن العاصمة لما بينهم وبين عباس من العداة

والنفور ، فلما وصلوا الى القاهرة ذهب سعيد الى القلعة وتولى زمام الحكم  
تلك خلاصة رواية اسماعيل باشا سرهنك

أما رواية مدام أولمب ادوار فخلاصتها ، أن الأميرة نازلى هانم عمه عباس هي  
التي ائتمرت به وهي في الاستانة ، وأنفذت مملوكين من أتباعها لقتله ، وانفقت وإياهما ،  
على أن يعرضا أنفسهما في سوق الرقيق بالقاهرة ؛ كي يشتريهما عباس ويدخلهما في خدمته ،  
وكان المملوكان على جانب من الجمال ، مما يرغب وكيل الأمير في شرائهما ، فجاء القاهرة  
فعلا ، ونزلا سوق الرقيق ، الى أن رأهما يوما وكيل الأمير ، فراقه جمالهما ، فاشتراهما  
وأدخلهما سراى مولاه بينها ؛ فأعجب بهما عباس ، وعهد اليهما بحراسته ليلا ، قالت  
ما دام أولمب ادوار ، فلما كانت الليلة الأولى لم يحسروا المملوكان على ارتكاب القتل ،  
لأنهما خشيا بأس عباس ، إذ كان قوى البنية ، شديد البطش ، وخافا أن يقاومهما وينجو  
من فتكهما ، فينكل بهما شر تنكيل ، ويوردهما موارد الهلاك المحتموم ، فانقضت الليلة  
الأولى بسلام ، ومرت أيام عدة وهما يستجمعان قوتها لانفاذ القتل عند سنوح الفرصة ،  
حتى جاءت النوبة ثانية لحراسة مولاها ، فاعتزما أن يكونا أكثر شجاعة من قبل ، فلم  
يكذبوا يستغرق عباس في النوم حتى انقضاء عليه وقتلاه ، ولم يدعاه له الوقت ليصبح أو يقاوم ،  
ولما ارتكبا الجريمة نزلا اصطبلات الخيل الملحقة بالسراى ، وطلبا إلى السائس أن يحجز  
لهما فورا جوادين بحجة أن الباشا يطلب حاجة له من قصره بالعباسية ، فلم يشك الخادم  
في الأمر ، وجهاز لهما الجوادين فسارا بهما عدوا إلى القاهرة ، ومن هناك فرا إلى  
الاستانة ، حيث نقدتهما الأميرة نازلى هانم مكافأة سخية على إنفاذ المؤامرة

وتقول مدام أولمب ادوار إن إلهامى باشا تعقب المملوكين القاتلين ليثار لآيه ،  
فالتقى بأحدهما في الاستانة ، فقتله رميا برصاص مسدسه ، ولم يستطع اللحاق بالثاني ولم  
يعثر له على مكان ، وقيل أنه أوى إلى بلاد الأرنامود فراراً من القتل (١)

فالروايتان ، مع اختلافهما في بيان المحرضين على القتل وطريقة ارتكاب الجريمة  
متفقتان كما عرى في أن عباس مات مقتولا إثر مؤامرة دبرت لقتله وأنفذت في  
قصره بينها

(١) كشف الستار عن أسرار مصر لمدام أولمب ادوار .

ميزة عباس

كان عهد عباس كما ترى خلوا من أعمال النهضة والعمران ، اللهم ما كان من إنشاء  
سكة الحديد بين القاهرة والاسكندرية ، وإصلاح سكة السويس الحجرية  
على أن لعباس ميزة يجب أن يذكرها له التاريخ ، وهي أنه لم يفتح على مصر أبواب  
التدخل الأجنبي ، فلم يمكن للاجانب في البلاد ، ولم يمد يده الى الاستدانة منهم ، بل  
ترك خزانة مصر حرة من أثقال الديون الأجنبية التي كبلها بها خلفاؤه من بعده ، وكان  
يحتمد دائما في سد عجز الميزانية ، دون أن يلجأ إلى القروض ، ولم يكن يميل إلى منح  
الأوروبيين امتيازات باستثمار مرافق البلاد ، فهذه ميزة يجب أن تذكر له بالخير ، ويمتاز  
( من هذه الناحية ) على سعيد واسماعيل ، خطأ سعيد باشا أنه منح المسيو فردينان داسبس  
امتياز حفر قناة السويس ، وافتتح عهد الاقتراض من الخارج ، وخطأ اسماعيل أنه  
كبل مصر بالديون الجسيمة التي اقترضها من البيوت الأوروبية

## الفصل الثاني

### النهضة الوطنية في عهد سعيد باشا

١٨٥٤ - ١٨٦٣

من النهضات الوطنية ما يصدر عن الشعب وزعمائه ؛ ومنها ما يكون مصدره الملوك والحكام ، ويمتاز عصر سعيد باشا بظهور نهضة وطنية جديدة بان تعد دورا من أدوار الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث

وترجع هذه النهضة الى ميول سعيد باشا ذاته ؛ فقد كان ذا نزعة وطنية ممدوحة ، نشأت فيه قبل أن يتولى الحكم ؛ ولازمته بعد أن تولاه ، وظهرت آثارها في كثير من اصلاحاته وأعماله ، وقوام هذه النزعة أنه كان يميل بجوارحه الى خير المصريين ورفاهيتهم ويعمل على تحريرهم من نير المظالم التي أصابتهم ؛ ويخفف عنهم عبء الضرائب التي ينوءون بها ؛ ويبث فيهم روح الوطنية . ويشجعهم على تقلد المناصب العالية في الجيش والادارة . بعد أن كانت من قبل وقفا على الترك والشراكسة

#### نشأته

هو ابن محمد علي الكبير . ولد سنة ١٨٢٢ ؛ ونشأ في حجر أبيه . محوطا بعطفه ورعايته . وكان أبوه يعزه ويعنى بتربيته وتثقيفه ، وتنشئته النشأة الحسنة . واختار له السلك البحري فدربه على فنون البحرية وجعل شأنه شأن تلاميذها . ولعل هذه النشأة مما حجب الى نفسه مبادئ الديمقراطية . فقد كان أثناء دراسته ومرانه زميلا لطائفة من التلاميذ . ممن خصصهم أبوه لدراسة الفنون البحرية . يعيش عيشتهم . ويسير على نهجهم . وينظر اليهم كما ينظر الطالب الى أقرانه وأصدقائه . ولما أتم دراسته انتظم في خدمة الأسطول قومندانا لإحدى البوارج التي كانت ترفع علم مصر فوق ظهر البحار . واعتاد النظام الذي هو أساس الحياة العسكرية . فكان يحترم رؤسائه . ويتساوى في ذلك وزملاؤه ضباط

الاسطول ، وبما يذكر عنه أنه لما نال حظا من الفنون البحرية ، وكان وقتئذ « سعيد بك » ، جعله أبوه معاونا لمطرش باشا ناظر البحرية وقومندان الاسطول ، وأصدر أمره اليه بأن يمثل لأوامره ، ويؤدي اليه التعظيم العسكري ، بوصف كونه رئيسا له ، وكان ذلك من سداد رأى محمد على ، إذ عود ابنه ، احترام النظام ، وارتقى سعيد في المراتب البحرية حتى وصل في أواخر عهد أبيه إلى « سرب » « سركر » الدوننمة ، أى القائد العام للأسطول

فهذه النشأة كان لها أثرها في إيلافه المبادئ الديمقراطية ، مما جعله عند ما تولى العرش يميل إلى المصريين ؛ ويعمل على ترقيةهم وتقديمهم ورفاهيتهم

### أخلاق سعيد

أهم الصفات البارزة في أخلاق سعيد ، طيبة قلبه . وسلامة قصده وكرمه . وشجاعته وصراحته . وميله للخير . وتسامحه . ووجهه للعدل . ونفوره من الظلم والإرهاق ولكنه إلى جانب ذلك . كان ضعيف الإرادة كثير التردد ، لا يستقر على رأى واحد . ومن هنا جاءت تقلباته في الخطط والبرامج والأعمال . وانصياعه لآراء خلطائه من الأوروبيين . وسرعة تأثره بما يسمعه . ثم سرعة غضبه . ورجوعه عن غضبه لأوهى الأسباب . وكانت نقطة الضعف فيه إسرافه . والتجاءه إلى الاستدانة من البيوت المالية الأوروبية . رحس ظنه بالأوروبيين . وشدة ركونه اليهم . وميوله الفرنسية التي جعلته يسترسل في الإصغاء لتأثيرات المسيو فردينان دلسبس وأضرابه . وفي عهده أخذ الأجانب يديسون أيديهم على مرافق البلاد ، ويستطيون على سلطة الحكومة وسيادتها . ويشتمخون بأنوفهم . وصار للقناصل نفوذ لم يكن لهم من قبل في عهد محمد على وإبراهيم وعباس

### إصلاحاته الزراعية

#### واللائحة السعيدية

بذل سعيد باشا جهوداً موفقة لإصلاح حالة الفلاحين والترفيه عنهم ، فحولهم حق



الملكية العقارية للأراضي الزراعية ، وسن لهذا الغرض قانونه المشهور باللائحة السعيدية الصادرة في ٥ اغسطس سنة ١٨٥٨ ( ٢٤ ذى الحجة سنة ١٢٧٤ هـ )<sup>(١)</sup> ، وهي من أعظم إصلاحاته ، لأنها أساس التشريع الخاص بملكية الأتبان في القطر المصري ، وهي من آثاره الخالدة التي تذكر له بالخير ، لأن الملكية هي من الدعائم الأساسية للهيئة الاجتماعية ، وكان الفلاح محروماً حق التملك في عهد محمد علي

وألغى أيضاً نظام احتكار الحاصلات الزراعية ، ذلك النظام الذي كان معمولاً به في عهد أبيه ، وأخذ في الاضمحلال في عهد عباس ، وصار للفلاح حرية التصرف في حاصلاته ، وحرية اختيار أنواع الزراعة التي يبتغيها

وخفف عن الأهالي عبء الضرائب ، فقد كان عليهم متأخرات من السنين الماضية تجاوز عنها جملة واحدة ، ولم تسكن هذه المتأخرات بالشئ اليسير ، فقد بلغ مقدارها كما يقول المسيو مريو<sup>(٢)</sup> ٨٠٠.٠٠٠ جنيه ، وهو مبلغ ضخم إذا قيس بثروة ذلك العصر ، فاستراح الفلاحون من اعباء المتأخرات القديمة التي كان عمال الجباية يرهقونهم للحصول عليها ، ويستولون على حاصلاتهم الزراعية ليستوفوا ما تأخر عليهم منها

ورغب إلى الأهالي سداد الضريبة نقداً لا عيناً ، وهذا التعديل متفرع عن إلغاء نظام احتكار الحاصلات الزراعية ، فبعد أن كانت الحكومة تضع يدها على الحاصلات وتتصرف فيها وتحاسب الفلاح على السعر الذي تقرره هي بمطلق إرادتها ، صار للفلاحين حق امتلاك حاصلاتهم ، والتصرف فيها بالبيع بالسعر الذي يرتضونه ، وأداء الضريبة نقداً ، وبذلك نالوا حق الملكية العقارية وملكية الحاصلات ، وحرية التصرف فيها ، وحياسة ثمنها ، وصار للفلاح وجود اقتصادي مستقل عن الحكومة ، بعد أن كان مستعبداً لها ، فكان هذا الإصلاح من أسباب نهضة الفلاح من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية

(١) منشورة في القاموس العام للإدارة والقضاء لفيليب جلاد ج ١ ص ١١٨ وفي كتاب

الأتبان والضرائب لجرجس بك حنين ص ٣٨٨

(٢) في كتابه ( مصر الحديثة ) ص ٦٤

واقترن تنفيذ هذا الإصلاح بمصاعب جمّة ، لأن الفلاحين لسبق استيلاء الحكومة كل سنة على حاصلاتهم ، لم يكن بأيديهم النقد الذي يستطيعون أن يؤدوا منه الضريبة بحسب النظام الجديد ، فقرر سعيد إمامهم في الدفع ، حتى يتسنى لهم بيع حاصلاتهم الجديدة وأداء الضريبة من ثمنها ، فشعر الفلاحون بالراحة والطمأنينة والرخاء وحسن المعاملة ، ووقف تيار الهجرة من القرى

وقد ألغى أيضاً ضريبة الدخولية التي كانت تجبي على الحاصلات والمتاجر مما تتبادله المدن والقرى في داخلية البلاد ، وهذه الضريبة مصدر إعانات وإرهاق للأهالي ، كما أنها عقبة تحول دون حرية التجارة الداخلية ، إذ كانت الحكومة تقتضي على المتاجر ١٢ في المائة من قيمتها عند دخولها أي مدينة أو قرية ، وهذا يؤدي إلى ارتفاع الأسعار واشتداد الغلاء ، ويضعف حركة المعاملات ، كما أن طريقة تحصيل هذه الضريبة تنطوي على نوع آخر من الإرهاق ، إذ كانت جبايتها موكولة إلى ملتزمين يبتزون الأهالي أكثر من قيمتها ، فالغاؤها فيه تخفيف عن الأهالي وتحرير للتجارة الداخلية مما كان يعترضها من العقبات والعراقيل

### لائحة المعاشات

ومن أعماله الاجتماعية سنة لائحة المعاشات للموظفين المتقاعدين ، وهي الأساس الذي بني عليه نظام المعاشات المتبع في مصر لموظفي الحكومة

### أعمال العمران

#### تطهير ترعة المحمودية

عنى سعيد باشا بتطهير ترعة المحمودية ، ذلك انها منذ إنشائها في عهد محمد علي لم تعن الحكومة بتطهيرها ، وانقضى عهد عباس دون أن يفكر في أمرها ، فلما تولى سعيد كاد الظمى المتراكم على مدى السنين يطمرها ويفسد استعمالها ، فلا تعود صالحة لمرور السفن ، ولا تجرى فيها مياه الري بالمقادير التي يتطلبها العمران فاعتزم سعيد باشا أن يطهرها ، ويكاد تطهيرها في هذه الظروف يشبه أن يكون

احتفارا لها من جديد ، لأن الطمي كان قد سد قاعها ، وقد استشار المسيو موجيل بك كبير المهندسين فيما يلزم من العمال والجهود لاجراء هذا العمل العظيم ، فحسب مقدار ما يجب رفعه من الأتربة من قاعها ، فبلغ ثلاثة ملايين متر مكعب ، على طول الترععة الذي يبلغ ثمانين كيلو متراً ، وقدر أن العامل يرفع متراً ونصف متر في اليوم ، فالعمل يقتضى سبعة وستين الف عامل ، وبذلك يتم تطهير الترععة على أيديهم في ثلاثين يوماً

فأصدر سعيد أمره إلى المديرية بإرسال هذا العدد من الفلاحين ، ولم تسكف المديرية بإرسال العدد المطلوب ، بل ضاعفت المهمة ، وأرسلت ١١٥ الف عامل ، فوزع هذا العدد على طول الترععة ، ووزعت عليهم الفؤوس ، بمعدل فأس لكل خمسة من العمال ، واحد منهم يحفر الأرض بفأسه ، والثاني يملأ الغلقان من الردم ، والثلاثة الآخرون يحملونها إلى جانب الترععة ، حيث أمر سعيد باشا بإنشاء طريق زراعى معبد ، عرضه عشرة أمتار ، وقد سار العمل على هذه الوتيرة ، وعنى سعيد باشا بالسهر على صحة العمال ، فأحضر أطباء يلاحظون حالتهم الصحية طول مدة العمل ، وتم تطهير الترععة وإنشاء الطريق في اثنين وعشرين يوماً ، دون أن يموت أحد من العمال ، بخلاف ما وقع حين إنشائها في عهد محمد على ، ولم يزد عدد المرضى الذين أعيامهم العمل عن خمسة في الآلاف (١)

فكان هذا العمل الضخم وإتمامه في هذه المدة القصيرة مدعاة للاعجاب ، لما تجلى فيه من مقدرة الفلاح المصرى على إنشاء أعمال العمران التى تنوء بها الجماعات من الشعوب الأخرى

وقد كان نجاح هذا المشروع مما شجع المسيو فردينان دلسبس على إغراء سعيد باشا بتسخير الآلاف من الفلاحين فى احتفار قناة السويس ، فرضى بتأثير هذا الإغراء أن يسخر الآلاف المؤلفه منهم فى عمل عاد بالضرر الويل على مصر والمصريين

#### السكك الحديدية والتلغرافات

توفى عباس قبل إتمام الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية ، فآتمه سعيد باشا سنة ١٨٥٦ وسار الخط عن طريق كفر الزيات وبنها حتى وصل إلى العاصمة ، ولم تكن

(١) مريبو ، مصر الحديثه ص ١٢٣

« الكبارى » بنيت على النيل ، فكان القطار عند اجتيازه الفرعين ينقل على مراكب خاصة تسير به من بر الى آخر

وأنشأ خطوطاً تلغرافية على الطريقة الحديثة من الاسكندرية والقاهرة والسويس بعد أن كان الموجود منها في عهد محمد على على طريقة ( شاب ) القديمة

ومد الخط الحديدي بين القاهرة والسويس . كتتمه لخط الاسكندرية والقاهرة ، وفتح للمواصلات سنة ١٨٥٨ ، فعاد على ميناء السويس وعمرانها بالفوائد الجمّة ، لأنه كان سبباً في زيادة ورود السفن التجارية الى هذا الثغر لنقل متاجرها وركابها الى القاهر ثم الى الاسكندرية بطريق السكة الحديدية ، فنشطت حركة العمران والتجارة فيها ، ولما كثر توارد السفن اليها شرع سعيد باشا في إصلاح مينائها

ومن أعماله في العمران الاحتفاظ بالآثار المصرية وجمعها في مخازن أعدت لها في بولاق ، وعهد بهذه المهمة الى العالم الأثرى ما ريدت ( باشا ) كما سيجيء بيانه ، وعهد الى العلامة محمود بك ( باشا ) الفلكي الرحلة الى دنقلة لرصد كسوف الشمس بها ، فقام بهذه المهمة واغتم هذه الرحلة لتحقيق ٤٢ موقعاً من المواقع الفلكية بين أسوان ودنقلة وبعد عودته كلفه سعيد باشا وضع خريطة مفصلة للقطر المصري ؛ فقام بهذا العمل خير قيام ، واشترك معه في أدائه طائفة من المهندسين المصريين

## إصلاحاته الحربية

### وبثه الروح القومية في الجيش

اشتهر سعيد باشا بميله إلى الجيش ، ولعل نشأته الأولى على ظهر الأسطول حبتت اليه الحياة الحربية ، برية كانت أم بحرية ، فعنى بعد أن ولى الحكم بترقية شؤون الجند ، وكثيراً ما كان يصرف أيامه في معسكر الجيش ، وتعرض عليه شؤون الحكومة وهو وسط جنوده ، ويطيب له أن يسير بهم متنقلاً في أنحاء البلاد

ولقد بذل جهداً كبيراً في سبيل ترقية الجيش من الوجهتين المادية والمعنوية ، وصبغه بالصبغة الوطنية ، وذلك أن الجيش كان قد اضمحل في عهد عباس الأول ، كما تقدم بيانه ، وفقد الروح التي كانت تفيض عليه صفات العظمة والبطولة في عهد محمد علي

وابراهيم ، فعمل سعيد على ن يرد إلى الجيش صبغته الوطنية ، وبذل جهداً كبيراً في إصلاح حالته

فقرر تقصير مدة الخدمة العسكرية ، وجعلها في الوقت نفسه إجبارية للجميع ، وكان لهذا الإصلاح أثر حسن في ترغيب الانتظام في سلك الجندية إلى الأهلين ، لأن التجنيد بحسب النظام القديم كان مقصوراً على الطبقات الفقيرة ( وهو الآن كذلك مع الأسف ) ، فوقر في أذهان الناس أن الخدمة العسكرية سخرة تبتلى بها تلك الطبقات ، وبما زاد في نفور الأهلين منها طول مدة التجنيد ، فكان المجندون تطول غيبتهم عن أهلهم ، وكثير منهم كانوا يلقون حتفهم في الحروب المتواصلة التي حدثت في عصر محمد علي ، فيجهد أقرباؤهم مصيرهم

فإصلاح هذه العيوب قصر سعيد باشا مدة الخدمة العسكرية ، ثم عممها على جميع الشبان ، على اختلاف طبقاتهم ، فجعل متوسط الخدمة سنة واحدة ، وبذلك أدخل في نفوس الناس الطمأنينة على مصير أبنائهم المجندين ، وأخذوا يشعرون بأنهم سيعودون قريباً إلى قراهم وعائلاتهم ، وأمر أن تعمم الخدمة العسكرية ، بحيث يقتصر أبناء المشايخ والعمد وأقاربهم كسائر الفلاحين ، ولا شك أن هذه الوسيلة من شأنها أن تنهض بمستوى الجندية ، وترغب الشبان في الخدمة العسكرية ، لأن العمدة والمشايخ هم في الجملة خلاصة أعيان البلاد ، فدخول أبنائهم في سلك الجيش تسكريم للجندية ، وتقويم لنفوس الشبان إذ يشعرون أن التجنيد واجب عام ، يشترك فيه الأغنياء والفقراء على السواء

وعلاوة على ما تقدم ، فإن سعيد باشا عني بترقية حالة الجنود والترفيه عليهم من جهة الغذاء والمسكن والملبس وحسن المعاملة ، حتى أخذوا يشعرون أنهم تحت لواء الجيش أحسن حالاً مما كانوا عليه في قراهم ، طعاماً ، ومسكناً ، وملبساً ومظهاً

وكان لهذا الإصلاح أثره في إيلاف الأهالي الخدمة العسكرية ، وفي تقدم حالة البلاد الاجتماعية ، لأن المجندين إذ يعودون إلى القرى بعد انتهاء مدة خدمتهم كانوا ينقلون إليها مبادئ النظام والتقدم والنظافة التي تعودوها في ظل الجندية

ولو استمر العمل بهذا النظام طويلاً لآلفت الأمة الخدمة العسكرية ، ولاعتادها الشبان من مختلف الطبقات

وكان لسعيد باشا ميلا الى ترقية الضباط المصريين واعطائهم حقهم في التقدم ، وفي عهده ارتقى كثير منهم الى المراتب العسكرية العالية ، بعد أن كانت منحصرة في الترك والشراكسة ، وقد نقل عنه عرابي باشا خطبة ألقاها في مأدبة بقصر النيل ، تدل على عواطف وطنية شريفة ، قال مخاطباً الحاضرين من العلماء والرؤساء الروحانيين وأفراد الأسرة الحاكمة ، وكبار رجال الحكومة المملوكيين والعسكريين :

« أيها الاخوان ، اني نظرت في أحوال هذا الشعب المصري من حيث التاريخ ، فوجدته مظلوماً مستعبداً لغيره من أمم الأرض ، فقد توالى عليه دول ظالمة له كثيرة ، كالعرب الرعاة (الهكسوس) والاشوريين ، والفرس ، حتى أهل ليبيا والسودان واليونان ، والرومان ، وهذا قبل الإسلام ، وبعده تغلب على هذه البلاد كثير من الدول الفاتحة ، كالأمويين ، والعباسيين ، والفاطميين من العرب ، والترك ، والأكراد ، والشركس ، وكثيراً ما أغارت فرنسا عليها حتى احتلتها في أوائل هذا القرن في زمن (بونابرت) ، وحيث أني أعتبر نفسي مصرياً ، فوجب على أن أربي أبناء هذا الشعب ، وأهذبه تهذيباً ، حتى أجعله صالحاً لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ، ويستغنى بنفسه عن الأجانب ، وقد وطدت نفسي على إبراز هذا الرأي من الفكر الى العمل ،<sup>(١)</sup>

ويقول عرابي باشا في مذكراته تعليقا على هذه الخطبة ، إنه لما انتهى سعيد باشا من القاها خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين ، حائقين ، مدهوشين مما سمعوا ، وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تهلل فرحاً واستبشاراً ، ويقول إنه اعتبر هذه الخطبة أول حجر في أساس مبدأ (مصر للمصريين) . قال : « وعلى هذا يكون المرحوم سعيد باشا هو واضع أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة في قلوب الأمة المصرية الكريمة ، هذا ما يقوله عرابي باشا ، وهو قول لا غبار عليه ، ونضيف اليه أنه لو بقيت هذه الروح سائدة في عهد خلفاء سعيد باشا لما كانت البلاد في حاجة الى شبوب الثورة العرابية ، لأن هذه الثورة قامت لتحقيق المبدأ الذي اتبعه سعيد باشا ، فلو سار خلفاؤه على هذا المبدأ لتم الغرض الذي دعا اليه العرابيون في سكينته وسلام ، ولما كانت البلاد في غنى عن قيام تلك الثورة ، التي مهما قيل لها أو عليها ، فلانستطيع أن نغفل تلك الحقيقة المؤلمة ، وهي أنها أنضت

(١) مذكرات عرابي ( كشف الستار عن سر الأسرار ) ص ١٦

بالبلاد الى الاحتلال الانجليزي، وليس يخفى أن الاستقلال والاحتلال ضدان لا يجتمعان  
ومن أعماله الحربية إنشاء (القلعة السعيدية) بالقناطر الخيرية . وكان يقيم بها أحياناً .  
وجعلها بحيث تستطيع صد هجمات الأعداء عن القاهرة إذا جاءوا من طريق النيل  
على أن سعيد باشا كان لا يستقر على وتيرة واحدة في اهتمامه بشؤون الجيش .  
ومرجع ذلك الى ضعف إرادته . وقلة حزمه . وتقلبه في الرأي . وقد كان هذا الخلق  
من مواضع ضعفه . فكثيراً ما لوحظ عليه أنه يرى في يومه نقيض ما رآه بالأمس .  
ولا يثبت على رأى واحد . فبينما هو يعنى بزيادة عدد الجيش إذا به يصرفه . فلا يبقى منه  
إلا النزر اليسير

ففي سنة ١٨٥٦ صرف معظم الجيش . ولم يبق منه إلا ست أورط من المشاة .  
وثلاثة بلوكات من الفرسان . وبلوكين من المدفعية . ولما سافر في رحلة الى السودان  
أواخر سنة ١٨٥٦ اصطحب اورطتين من الجيش وأبقى الاورط الأخرى  
بالقاهرة والاسكندرية وبني سويف . ثم جمع الضباط وجعل منهم مدرسة بالقلعة  
السعيدية بالقناطر الخيرية . وذلك خوفاً من أن يقوم الجيش بثورة في البلاد أثناء غيابه  
بالسودان

وفي سنة ١٨٦٠ أعاد الجيش ثانياً . وأعاد اليه الضباط . ونظم فيالقه . وكان غرضه  
الاستعداد للقتال حينما توترت العلاقات بينه وبين تركيا . بسبب مسألة قناة السويس .  
وقاد بنفسه هذا الجيش وعسكر به في مريوط . وأقام هناك ثلاثة أشهر . كان لا ينفك  
خلالها يجرى المناورات الحربية . وكان عدد الجيش وقتئذ ٦٤,٠٠٠ مقاتل كما أحصاه  
اسماعيل باشا سرهنگ في كتابه (ج ٢ ص ٢٧٥) ثم صرف معظم هذا الجيش بعد أن  
عادت العلاقات الودية بينه وبين تركيا

وفي سنة ١٨٦٢ أعاد تنظيم بعض الفرق ، وكان لا يقر له قرار إلا بين جنده  
وبلازمهم في معظم أوقاته

وذكر عنه المسيو فردينان دلسبس أنه نقص الجيش من ستين ألفاً الى ثمانية آلاف وأ عشرة  
آلاف مقاتل . وذلك لكي يخصص أكبر عدد من المقترعين لأعمال الحفر في قناة السويس<sup>(١)</sup>  
ومن هذا يتبين لك أن القناة . علاوة على ما جلبته لمصر من المضار كما سيجي . بيانه ،  
كانت من أسباب اضمحلال الجيش المصري

(١) وثائق عن تاريخ القناة للسيد فردينان دلسبس ج ٤ ص ٣٣٣

### البحرية

قلنا ان سعيد باشا نشأ نشأة بحرية ، وانتظم في سلك الأسطول قبل أن يتولى الحكم ، فكان ميالا بطبيعة نشأته إلى إحياء البحرية المصرية ، بعد ما أصابها من الاضمحلال والإهمال في عهد عباس

وقد وجه عنايته فعلا إلى ترقية شأن الأسطول ، فلما عادت السفن الحربية المصرية أن حرب القرم أمر بإصلاحها وإنشاء سفن أخرى جديدة ، ولكن انجلترا خشيت من تعود إلى مصر قوتها البحرية ، التي كانت لها في عهد محمد علي ، فأوعزت إلى الحكومة التركية أن تمنع سعيد باشا من تجديد الأسطول ، وزينت للسلطان هذا العمل موهمة إياه أن الأسطول اذا قوى شأنه يصبح خطراً يهدد تركيا كما كان في عهد محمد علي ، فاستمع السلطان لدسائس انجلترا ، وأصدر أمره إلى سعيد باشا بالسكف عن إصلاح سفن الأسطول وإنشاء سفن جديدة إلا بأمره ، فكان ذلك سبباً لاضمحلال قوة مصر البحرية ، وقد ذكر اسماعيل باشا سرهنك في كتابه حقائق الأخبار (ج ٢ ص ٢٧١) أن سعيد باشا إذ رأى أن معظم السفن الراسية أمام دار الصناعة بالاسكندرية لا تصلح للقتال إلا بعد إصلاح جسيم وانها إذا تركت وشأنها أصابها التلف ، أمر بتكسيرها وبيع أخشابها وإحراق ما لا يصلح منها ، وسرح معظم ضباطها ، وأدخل الكثيرين منهم في الوظائف الملكية ، وخاصة في مطبخه الواسعة ، ولما أنشأ إدارة للملاحة النيلية ، وهي التي دعيت مصلحة (الانجرارية) ابتاع لها كثيراً من البواخر النيلية ، واستخدم فيها بعض أولئك الضباط والجنود ، وهناك سبب آخر لاضمحلال البحرية في عهد سعيد ، ذلك أن الدول الأوروبية أخذت تستبدل بالسفن الحربية الشراعية السفن الجديدة البخارية التي صارت الأساطيل الحربية تتألف منها ، ولكن مصر قصرت عن مجاراة الأساطيل الأوروبية في هذا المضمار ، ومن هنا أمعنت البحرية المصرية في الضعف وآلت حالتها إلى الاضمحلال

ولو كان سعيد باشا على شيء من العزيمة التي امتاز بها أبوه العظيم لما ترك الأسطول الضخم الذي بذلت مصر في سبيل إنشائه ما بذلت من الجهود يتبدد ويتكسر ، ولما صدع بأوامر السلطان في هذا الصدد ، بل كان عليه أن يتعهد الأسطول ، فيصلح ما يعطب من



سفينته ، ويجدده بانشاء السفن الحربية البخارية بدلا من السفن الشراعية ، لئسكنه لم يفعل شيئا من ذلك ، وهو الذى كان يجدر به أن يقدر قيمة الأسطول إذ نشأ فى البحرية ومارس فنونها وعرف مبلغها من الجلال وخطر الشأن

أهمل إذن سعيد شأن البحرية الحربية ، على أنه عنى بالملاحة التجارية الداخلية والخارجية ، فأنشأ شركتين للملاحة ، إحداهما بحرية ، والأخرى نيلية

### شركة الملاحة النيلية

فالشركة الأولى للملاحة النيلية . أسست سنة ١٨٥٤ . والغرض منها نقل الحاصلات والمسافرين بطريق النيل على البواخر

والسبب الذى دعا سعيد باشا إلى تأسيس هذه الشركة أن المراكب الشراعية التى تنقل الغلال والمتاجر من داخلية البلاد إلى الاسكندرية عن طريق النيل وترعة المحمودية كانت تتأخر فى سيرها ، لمعاكسة الريح . فكانت تقطع المسافة بين القاهرة والاسكندرية فى خمسة عشر يوما . فى حين أن البواخر تقطعها فى ست وثلاثين ساعة . ولما كانت الاسكندرية تستمد أقواتها ومواد الغذاء من الداخل . فتأخر السفن الشراعية يؤدى إلى أزمة فى الأقوات . وخاصة بعد أن زاد عدد سكانها . هذا إلى ما فى استخدام المراكب الشراعية من تعطيل المواصلات التجارية عامة . فأسس سعيد باشا هذه الشركة لتسهيل سبل المواصلات النيلية

غير أن عيب هذه الشركة أنها شركة أجنبية ، مؤسسوها من الأوربيين ، ومعظم رموس أموالها أجنبية ، ولعل هذه أول شركة أجنبية أسست فى عهد سعيد باشا

ولم يكن من أعضائها من المصريين سوى رئيسها الفخرى ( الذى لم يكن له عمل ما ) وهو ذو الفقار باشا وزير المالية ، أما أصحاب الامتياز فهم ، فيما عدا ذو الفقار باشا جماعة من الممالين الأجانب من مختلف الأجناس ، وهم المسيو رويسنر Ruysenaers قنصل هولندا العام فى مصر ، والمسيو بوبولانى popolani ، وكونيج بك Koenig Bey سكرتير سعيد باشا الأوروبى ، وموجيل بك Mougel Bey كبير مهندسى الرى ، وأيدى Aide وليونيداس ليغونس Lyghounes ، ومدة امتياز هذه الشركة ١٥ سنة ، ومن شروط

عقد تأسيسها ، أنه عند وقوع خلاف بينها وبين الحكومة فلا يرفع الخلاف إلى القنصليات بل يحسم بواسطة التحكيم ، وأن بواخر الشركة ترفع العلم المصرى باعتبارها تابعة لشركة مصرية

سميت هذه الشركة ( الشركة المصرية للملاحة البخارية ) ، ولم تكن مصرية إلا بالاسم وكان فى إمكان الحكومة أن تشتري البواخر من مالها بدلا من الالتجاء إلى رءوس الأموال الأجنبية ، وقد سوغ أنصار سعيد باشا إعطاء هذا الامتياز لشركة أوروبية بقولهم ان الحكومة عهدت إلى الشركة بالقيام ببعض أعمال الإصلاح فى ترعة المحمودية دون تكليف الخزانة المصرية نفقاتها ، كتوسيع مأخذ الترعة من النيل ، وتوسيع مصبها فى البحر الأبيض المتوسط ، وتطهيرها ، وإنشاء طلبات عند العطف لتغذيتها

### شركة الملاحة البحرية ( الشركة المجيدية )

أما الشركة الثانية فهى شركة مساهمة للملاحة البحرية ، أسست سنة ١٨٥٧ رئيسها الأمير مصطفى فاضل بن ابراهيم باشا . ومجلس إدارتها خليط من الوطنيين والأجانب . وهم نوبار باشا ( وكان لم يزل بك ) نائبا للرئيس . وله فى غيبته أن يقوم بأعمال الرأسة . وعبدالله بك ، والمنسيو دمريكر Dumreicher وحسن كامل بك . واسماعيل فوزى بك . والمسيو لى . ومختار بك . والمسيو باسترى Pastre ، والمسيو رويسنر . وسعيد افندى ، وهوج توربرن Huge Thurburn والمسيو زكالى zaccali

وسميت ( القومبانية المجيدية ) . نسبة إلى إسم السلطان عبد المجيد الذى كان يتولى عرش السلطنة العثمانية وقتئذ . والغرض منها تسيير البواخر فى البحر الأحمر . ومنه إلى المحيط الهندى ثم الخليج الفارسى . وفى البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تقوم بالملاحة بين السويس و ثغور الحجاز واليمن والقصير وسواكن ومصوع وتنقل الحجاج ذهابا وإيابا إلى ثغور الحجاز . ولها بواخر أخرى بالبحر الأبيض المتوسط . ومدة امتيازها ثلاثون سنة . وبواخرها ترفع الراية المصرية . ومنازعاتها لا ترفع أمام محاكم القنصليات بل أمام المحاكم التجارية المصرية . ولها مستودعات ومحطات فى السويس والقصير ومصوع

ولسكن هذه الشركة قد سرى اليها الاضمحلال في أواخر عهد سعيد . لفساد ادارتها، فخلتها الحكومة . وتولت تصفيتها على عهد اسماعيل وأعدت الاسهم الى أصحابها مقسطة على عشر سنوات فبلغت مع فوائدها ٣٤٠.٠٠٠ جنيه . وحلت محلها الشركة العزيزية التي أنشأها اسماعيل كما سيحجى بيانه . .

### إصلاح ميناء السويس

نشطت حركة التجارة وال عمران في السويس بعد انشاء السكة الحديدية التي تصلها بالقاهرة . وبعد انشاء الشركة المجيدية للبواخر . واتخاذ السويس ميناء لخطوط الملاحة في البحر الاحمر . فعزم سعيد باشا على إصلاح مرفئها وتوسيعه ، وعهد بذلك إلى شركة فرنسية تعرف بشركة ( ديسو ) Dussau . وتعاقدوا يابها على انشاء حوض عائم بالميناء لأصلاح السفن . ثم على توسيع الميناء . وقد كملت أعمال الاصلاح في عهد الخديوى اسماعيل

### حروب مصر في عهد سعيد باشا

اشتركت مصر على عهد سعيد باشا في حريين ، الأولى حرب القرم ، والثانية حرب المكسيك

#### (١) حرب القرم

تقدم الكلام عن اشتراك مصر في هذه الحرب على عهد عباس باشا ، وحسن بلاء الجيش المصرى في الدفاع عن ( سلستريا )

وقد استمرت الحرب بعد وفاة عباس ، وأرسل سعيد باشا نجدة إلى الجيش المصرى فيها

ومما يذكر عن هذه الحرب أن المضرين عانوا فيها الشدائد والأهوال ، إذ كانوا يقاتلون في شدة البرد خلال شتاء عامى ١٨٥٤ و ١٨٥٥ ، ولقى الكثير منهم منيتهم في ميادين القتال ، أو من فتك الأمراض ، وقد دافعوا دفاعا مجيدا عن ( ايباتوريا ) ، وهى

مدينة من ثغور شبه جزيرة القرم ، احتلها الحلفاء لمهاجمة مواقع الروس الحصينة في شبه الجزيرة

واستشهد سليم باشا ( فتحى ) القائد العام للجيش المصرى فى حصار ( ايباتوريا ) ، ذلك أن الروس هاجموا المدينة بغتة ، وكان سليم باشا يتولى قيادة المصريين فيها ، فبينما هو قائم بأعباء القيادة أصابته رصاصة فى جبهته أردته قتيلًا ، ومع أن الروس ارتدوا عن المدينة ، لكن مقتل سليم باشا كان خسارة كبرى أصابت الجيش ، ووقعت وقعا أليما فى نفوس الجنود والضباط

ذكر المسيو ( فانترينييه ) Vingtrinier نبأ مقتله فى كتابه ( سليمان باشا ) . قال : « إن مصر شعرت بالألم الشديد لوفاة ، إذ فقدت فيه قائداً فذاً فى الكفاءة الحربية ، ورجلاً نزيهاً محباً للخير ، اكنسب يشجاعته اعجاب رؤسائه ومحبة زملائه ،

ولما قتل سليم باشا فتحى ، جعل سعيد باشا على القيادة العامة أحمد باشا المنكلى ، والأمير الاى على بك مبارك ( باشا ) من أركان حربه ، وكان وقتئذ ناظر المدرسة المهندسخانة . واشترك فى الحرب كما تراه فى ترجمته بالفصل التاسع

ونال الجيش المصرى فى حرب القرم ثناء مستطاباً بمن شهدوا حسن بلائه فى القتال نقل المسيو فانترينييه فى كتابه ( سليمان باشا ) ما ذكرته فى هذا الصدد جريدة المونيتور الفرنسية . قالت :

« أثبت المصريون أنهم خير الجنود الذين دافعوا عن ايباتوريا . ونالوا هذه المسكانة ذاتها فى حرب الدانوب . واحتملوا وحدهم معظم العبء فى الدفاع عن سلستريا ، وقالت فى موطن آخر : « ان المصريين يعرفون فى الجيش التركى وفى البلاد التركية بالعرب . وطريقتهم فى القتال تشبه طريقة تلك الشعوب الحربية التى تجمع الى الشجاعة والاقدام . الذكاء والنظام ،<sup>(١)</sup>

وشهد الجنرال اسمونت Osmont أحد قواد الجيش الفرنسى فى حرب القرم شهادة قيمة للجيش المصرى . قال ( ص ٥٧٤ من السكتاب المتقدم ذكره ) : « لقد اشترك قسم

(١) سليمان باشا للمسيو فانترينييه ص ٥٧٢

من الجيش المصرى معنا فى حرب القرم ، وحينما كنت محافظا لاباتوريا شاهدت فرقة من ذلك الجيش يبلغ عددها ١٢ الف جنسى ، يؤلفون جزءا من جيش عمر باشا ، ورأيت هذه الفرقة فى المناورات الحربية ، كما رأيتها وهى تخوض غمار الحرب ، بجانب فرقتين من الترك ، وأشهد إنها كانت تفوق الفرقتين التركيتين فى كل المزايا ،

وقال المسيو مريو فى كتابه مصر الحديثة يصف الجيش المصرى فى عهد سعيد باشا لمناسبة حرب القرم :

« إن كفاءة الفلاح المصرى فى فهم النظام الحربى ، واتباعه اياه ، وما اشتهر به من الثبات والشجاعة فى مواجهة الأعداء ؛ كل هذه المزايا قامت عليها البيئات ، لا فى ميادين القتال بجزيرة العرب وسوريا فى عصر محمد على فحسب ، بل بحسن دفاع الجيش المصرى عن سلسلتريا وايباتوريا فى حرب القرم الأخيرة ، <sup>(١)</sup>»

وقد غرق الأميرال حسن باشا الاسكندرانى قائد الاسطول المصرى فى تلك الحرب ، وذلك أنه كان عائدا باسطوله الى الاستانة لإصلاح بعض السفن ، فهبت على الاسطول ريج عاصفة ، وتكاثر عليه الضباب ، فحال دون اجتيازه بوغاز البوسفور بسلام ، واشتدت العاصفة عند مدخل البوغاز ، فاصطدمت السفينتان (مفتاح جهاد) (والبحيرة) ، فانكسرتا ، وغرق من بهما من الجنود والضباط . وعددهم ١٩٢٠ مقاتل . لم ينج منهم سوى ١٣٠ ، وكان من الغرقى حسن باشا الاسكندرانى وثمان بك من قواد الاسطول المصرى

وانتهت حرب القرم بفوز تركيا وحلفائها على الروس وسقوط قلعة سباستبول ، وأبرم الصلح سنة ١٨٥٦ فى مؤتمر باريس الذى سلبت فيه روسيا بمطالب الحلفاء

## (٢) حرب المكسيك

والحرب الثانية هى حرب المكسيك ، وقد تأخذك الدهشة من اشتراك مصر فى حرب المكسيك بأمرىكا ، إذ لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولكن كذلك شاءت ميول سعيد

(١) مصر الحديثة للسيد مريو ص ٤٢

نحو نابليون الثالث امبراطور فرنسا في ذلك العهد وصداقته له أن يلبي دعوته حينما طالب إليه أن يمدّه بقوة حربية مصرية تعاون الجيش الفرنسي بها

كانت المكسيك جمهورية تتخللها الفتن والثورات ، كما هو شأنها الى اليوم ، وكان يتولى رأسه جمهورية سنة ١٨٦١ المسيو جوارز Juarez ، فقامت بالبلاد فتنة بقصد إسقاطه وانتزاع السلطة من يده ، فصادفت هذه الحركة هوى في نفس الامبراطور نابليون الثالث ، واعتزم أن يعضدها ليبسط نفوذه على المكسيك ويؤسس بها امبراطورية تحت رعايته . وتذرع بما لحق الرعايا الأوروبيين في الحرب الأهلية من المضار ، فطالب الحكومة المكسيكية بتعويض هذه الخسائر ، فلما رفضت ألّب عليها انجلترا وأسبانيا ، ثم ما لبثت هاتان الدولتان أن نفضتا أيديهما من المسألة ، أما نابليون فقد جرد على المكسيك جيشاً كان مصيره الى الهزيمة ، واستنجد في خلال الحرب بصديقه سعيد باشا فصرعان ما أمده بكتيبة من الجنود السودانيين عددهم ١٢٠٠ مقاتل ، يقودهم البكباشي جبرة الله محمد السوداني ، والصاغ محمد افندي ألماس ، فأبحرت هذه القوة الى المكسيك سنة ١٨٦٢ ، وأبلى في الحرب هناك بلاء حسناً ، وشهد لها المارشال فوري Forey قائد الجيش الفرنسي بالشجاعة إذ قال عن جنودها : « إن هؤلاء ليسوا من الجنود ، بل هم أسود » (١) واستمرت الحرب سجالات بين الجيش الفرنسي وقوات الثورة ، وأعلنت الامبراطورية في عاصمة المكسيك فترة من الزمن ، واعتلى عرشها الأرشيدوق مكسميليان النمساوي سنة ١٨٦٤ ، ثم كانت الغلبة لقوات الثورة ، فجلا الفرنسيون عن البلاد ، وقتل الامبراطور مكسميليان رمياً بالرصاص سنة ١٨٦٧ ، وفي غضون ذلك ظلت الكتيبة لمصرية تكافح في تلك البلاد السحيقة نيفاً وأربع سنوات ، قتل في خلالها البكباشي جبرة الله ، فخلفه ألماس افندي ، وفي معظم رجالها ، ولم يبق منهم بعد انتهاء الحرب سوى بقية من ضباطها ، ونحو ثلثمائة من جنودها ، ولما جلا الجيش الفرنسي عن المكسيك عادت الكتيبة إلى فرنسا ، فاستعرضها الامبراطور نابليون الثالث ، يصحبه القائد

(١) راجع تاريخ هذه الكتيبة في البحث المسهب المنشور في مجلة مصر Revue d'Egypte بالسنة الأولى (١٨٩٤) ص ١٠٤ وما بعدها ، وما ذكره اسماعيل باشا سرهنك في كتابه حقائق

المصرى شاهين باشا ، الذى كان يزور باريس وقتئذ ، فهنا الأمير اطور ألماس افندى على شجاعة الكتبية وحسن نظامها ، ووزع الأوسمة على بعض المميزين من رجالها ، ورجعت إلى مصر فى مايو سنة ١٨٦٧ ، فاستعرضها الخديوى اسماعيل بسراى رأس التين بالاسكندرية ، وأمر بترقية طائفة منها ، وأقام لطيف باشا وزير البحرية مأدبة لضباطها تسكرياً لهم ولسائر رجال الكتبية

### السودان

مر عهد عباس الأول دون أن ينال السودان منه التفاتاً ما . ولم يحدث فى عهده مما يسترعى النظر سوى إنشاء المدرسة الابتدائية بالخرطوم ، وقد فصلنا الكلام عنها فى كتاب « عصر محمد على » ، ( ص ٤٨٨ )

وتولى منصب الحاكم العام للسودان فى عهد عباس خالد باشا الذى كان يشغله من عهد محمد على ، ثم عبد اللطيف باشا الذى أنشئت فى عهده مدرسة الخرطوم الابتدائية . ثم رستم باشا وقد مات بالخرطوم ، ثم اسماعيل باشا أبو جبل ، ثم سليم باشا ، ثم على باشا سرى

ولما توفى عباس الأول وخلفه سعيد باشا نال السودان نصيباً من اهتمامه ، فقد اقتبس من آية فضيلة العناية بهذا الإقليم العظيم المتمم لمصر ، وفى أول عهده جعل على باشا شركس حكامداراً للسودان ، وأوفد أخاه الأمير عبد الحلیم باشا للتفتيش على إدارته ، وإصلاح شؤونه ، ولسكن الأمير لم يطل البقاء فيه ، لظهور وباء جعله يعجل بالعودة إلى مصر ثم اعتزم سعيد أن يزور السودان بنفسه ليتفقد أحواله كما فعل أبوه من قبل ، فذهب إليه يصحبه طائفة من خاصة رجاله وأصدقائه ، مثل راغب باشا ، وذو الفقار باشا ، وإبراهيم بك النبراوى ، والمسيو فردينان دلسبس ، والدكتور أباته باشا ، وأراكيل بك أخى نوبار باشا وغيرهم ، ووصل إلى الخرطوم فى ١٦ يناير سنة ١٨٥٧ والتقى بأعيان الأهلين ، فقدموا له عرائض يشكون فيها من فداحة الضرائب ، ومظالم الحكام ، فاستمع لشكاياتهم ، وتألم لحالتهم ، وساورته يوماً فكرة إخلاء السودان ، ولسكن أعيان البلاد ومشايخها توسلوا إليه أن يعدل عن رأيه ، محتجين بأن إخلاء السودان يؤدى لا محالة إلى تفاقم الحالة فيه ،

إذ تعمه الفوضى ، فعدل سعيد عن رأيه ، واعتزم إصلاح حالته ، فأمر بإعفاء الأهالي من المتأخر عليهم من الأموال ، وخفض الضرائب تخفيضاً عظيماً ووضع قاعدة ثابتة لتقدير قيمتها بأن جعلها تتبع عدد السواقي في الأطيان ، لأن السواقي تبين مبلغ خصب الأرض ، ودرجة إنتاجها ، فجعل على مجموع الأرض التي تروى من ساقية واحدة ٢٠٠ قرش ، وأما الأطيان التي تروى من غير حاجة إلى السواقي فجعل على الفدان الواحد منها ضريبة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ قرشا

وقرر عزل الموظفين الترك الذين كان الأهالي يشكون من سوء معاملتهم ، واعتزم تعريد الأهالي حكم أنفسهم بإنشاء مجالس محلية مؤلفة من أعضاء يختارون من رؤساء العشائر والعائلات<sup>(١)</sup>، ورفع المظالم عن الأهالي ، وفك أسار الكثيرين منهم ، ورسم بالغاء السخرة ، وأمر مديري الأقاليم السودانية بأن يحسنوا معاملة الأهالي ، وألا يرهقونهم في جباية الضرائب ، وقضى أن لا يعهد إلى الجنود في تحصيل الضرائب لما اشتهر عنهم من القسوة

ومن إصلاحاته بالسودان أنه أنشأ محطات في صحراء (كروسكو) ، لتسهيل نقل البريد والمسافرين بين مصر والسودان ، ونظم البريد بين مختلف أنحاء السودان ، وأنشأ نقطة عسكرية على نهر سوباط لمنع تجارة الرقيق ومطاردة النخاسين

ولما عاد إلى مصر عهد إلى موجين بك كبير المهندسين تسهيل سبيل المواصلات بين وادي حلفا والخرطوم ، فرأى موجيل بك أن خير وسيلة لإدراك هذا الغرض إنشاء سكة حديد ووضع مشروعاً لذلك ، ولسكنه لم ينفذ لسكثرة ما يقتضيه من النفقات ، وقد أبطل منصب الحاكم العام ( حاكم دار السودان ) ، وجعل من السودان خمس مديريات مستقلة في إدارتها بعضها عن بعض ، ترجع كل منها في شؤونها إلى وزارة الداخلية ، شأن مديريات القطر المصري ، وجعل من الخرطوم وسنار مديرية واحدة ، وعين أراكيل بك نوبار مديراً لها ، لكي يشرف على الإصلاحات التي قررها ، وقد بقي يتولى منصبه إلى أن توفي سنة ١٨٥٩ ، ثم خلفه حسن بك سلامة حتى عزل ، وخلفه محمد بك راسخ

(١) ذكر ذلك المسير فردينان دلسيس في كتابه ( ذكريات أربعين سنة ) ج ٢



ثم رأى سعيد باشا أن استقلال مديري الأقاليم جعلهم ينجحون إلى الاستبداد والظلم ، ويسئون إلى الأهلين ، فألغى استقلالهم ، وأعاد منصب حكامدار السودان ، وقلد موسى باشا حمدي هذا المنصب ، فكان من أعظم ولاة السودان شأنًا ، وله فيه إصلاحات جمة ، منها أنه عين من الأهلين نظار أقسام (مأموري مراكز) ، ومعاونين ، وعقد رؤسائهم مجلساً ، وسن قوانين جديدة لتنظيم الضرائب ، وتسهيل جبايتها

رقد عضد سعيد الرحلات والاكتشافات الجغرافية في أنحاء السودان ، فكثرت عدد المكتشفين في عهده ، ولكنه لم يحد حذو أيه في إيصال بعثات مصرية كالبعثة التي أنفذها محمد علي إلى السودان بقيادة البكباشي سليم بك قبطان أحد ضباط البحرية المصرية ، بل ترك أمر هذه الرحلات للمكتشفين الأجانب ، وهي ناحية ضعف وقع فيها هو واسماعيل من بعده

#### رحلة سعيد باشا إلى الحجاز

قصد سعيد باشا إلى الحجاز في أوائل سنة ١٨٦١ ، وتدل ملابس هذه الرحلة على أن لها غرضاً سياسياً ، فإنه لم يذهب إلى الحجاز في موسم الحج واقتصر على زيارة المدينة المنورة ، وكانت الرحلة أشبه بتجريدة عسكرية ، إذ كان يصحبه من الجند والحاشية نحو ألفي رجل من مشاة وفرسان ومدفعية واتباع ، واختلفت الآراء في الباعث لسعيد على هذه الرحلة ، ويؤخذ من رواية محمد بك صادق (باشا) <sup>(١)</sup> الذي رافق الأمير في رحلته أن لها سبباً سياسياً ، وهو استدعاء الحكومة التركية إياه للحضور إلى الاستانة ، فرفض الذهاب إليها ، واعتزم زيارة المدينة لكي يتمحل الاعذار ويجد مسوغاً للرفض ، وبدأ سعيد باشا رحلته في ١١ رجب سنة ١٢٧٧ هـ (٢٣ يناير سنة ١٨٦١) فقصد من القاهرة إلى السويس ، ومنها إلى (الوجه) من ثغور الحجاز ، ثم سارت الحملة براً إلى المدينة المنورة ، وصلت في أول شعبان (١٢ فبراير) ، وبعد أن زار سعيد باشا قبر المصطفى بنمادر المدينة في اليوم السادس منه ، وسار إلى ينبع ، ومنها استقل الباخرة (نجد) إلى السويس فوصل إليها في ١٧ منه (٢٨ فبراير)

(١) في بحثه المنشور بمجلة الجمعية الجغرافية عدد مايو سنة ١٨٨٠ ص ١٩ تحت عنوان

## التعليم

لم يوجه سعيد باشا عنايته إلى إحياء النهضة العلمية ، واستمر الجمود الذي أصابها في عهد عباس ، وهذا موضع نقد شديد في تاريخه

وقد حاول المسيو ( مريو ) ، وهو من المعجبين بسعيد ، أن يتلمس مسوغاً لهذا التقصير المعيب ، فلم يجد ما ينهض بدفاعه ، قال في كتابه ( مصر الحديثة ) :

« لا يخفى أن المدارس قد أهملها عباس ، فاصابها الاضمحلال والتدهور ، وبلغت حين تولى سعيد الحكم درجة من التقهقر والفوضى جعل الباشا يرى من الحكمة إقفالها نهائياً ، بدلا من السعى في تنظيمها . إذ كان السعى عبثاً لا يجدى ، (١) »

وهذا دفاع كما ترى لا يسوغ عمل سعيد ، إذ ليس من المعقول ولا مما يقبله المنطق أن يعالج التقهقر في المدارس بإقفالها ، بل العلاج المشروع هو تنظيمها وإصلاحها ، وإذا كانت عزيمة محمد علي قد أوجدت المدارس من العدم ، فأسهل من ذلك إصلاح ما اختل من شؤونها

تولى سعيد الحكم وليس بالقطر المصري من المدارس التي أنشئت في عهد محمد علي سوى النزر اليسير ، فلم يعمل على إحياء ما اندثر منها . بل ظهر عدم اكثرائه بشؤون التعليم بالغاء ديوان المدارس ( وزارة المعارف ) وكان يديره وقتئذ عبدي شكري باشا وألغى أيضاً مدرسة المهندسخانه ببولاق سنة ١٨٥٤ ، وكان يتولى نظارتها العلامة علي بك مبارك ( باشا ) فأنفذه سعيد ضمن الحملة التي أرسلها لمساعدة تركيا في حرب القرم واغتتم هذه الفرصة لإقفال المدرسة ، وألغى أيضاً مدرسة ( المفروزة ) سنة ١٨٥٥ وأنشأ مدرسة حربية بالقلعة عهد بنظارتها الى العلامة رفاعه بك رافع وسميت مدرسة أركان حرب

ثم أعاد سعيد فتح مدرسة المهندسخانه سنة ١٨٥٨ وجعلها مدرسة حربية نقلها الى القلعة السعيدية بالقناطر الخيرية وسميت المدرسة الحربية ، وأعاد فتح المدرسة البحرية

(١) مصر الحديثة . للمسيو مريوس ٨٢



سعيد باشا والى مصر

من سنة ١٨٥٤ الى ١٨٦٣

بالاسكندرية، وفي عهده أقفلت مدرسة الطب بقصر العيني، ثم أعاد فتحها سنة ١٨٥٦ وأنشأ بها مدرسة للقابلات عهد بنظارتها والتدريس فيها الى السيدة جليلة مرهان التي تلقت علومها الطبية في مدرسة القابلات القديمة المنشأة على عهد محمد علي والملغاة في عهد عباس

وقبرت حركة البعثات العلمية فلم يرسل الى أوروبا سوى ١٤ طالباً

ومع جمود حركة التعليم الى هذا الحد فانه لم يبخل على البعثات الاجنبية الدينية بمساعداته كي تفتح مدارسها، فمنح إعانات سنوية لراهبات البون باستور، Bon Pasteur (الراعي الصالح) وكانت لمن مدرستان بمصر والاسكندرية، ولراهبات الصدقة بالاسكندرية، ووهب للبعثة الامريكية بناء بمصر لتتخذ مدرسة لها، وأعطى أول مدرسة إيطالية أنشأتها الحكومة الايطالية بالاسكندرية إعانة قدرها ٢٤ر٠٠٠ جنيه، ووهب لها قطعة أرض في أجود جهات الاسكندرية لتنشئ بها المدرسة، فكانت عنايته بنشر التعليم الاجنبي أكبر من عنايته بنشر التعليم الأهلي، وهذا من متناقضاته

## نظام الحكم في عهد عباس وسعيد

### النظام السياسي

بقى الحكم في عهد عباس وسعيد حكماً مطلقاً يتولاه ولي الأمر إذ كان يجمع في يده السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، فهو المرجع في كليات الأمور وجزئياتها وأهمل (مجلس المشورة) الذي أسسه محمد علي وانعقد على عهده حيناً وكان نواة لنظام شورى (راجع كتاب «عصر محمد علي»، ص ٥٧٢) فلم يظهر له أثر في عهد عباس وسعيد

### المجلس الخصوصي

ذكرنا في كتاب عصر محمد علي، (ص ٥٧٩) ان محمد علي أنشأ سنة ١٨٤٧ مجلساً دعاه (المجلس الخصوصي)، واختصاصه النظر في شؤون الحكومة الكبرى، وسن اللوائح والقوانين، وإصدار التعليمات لجميع مصالح الحكومة، وكان يرأسه ابراهيم باشا

وقد أعيد تأليف هذا المجلس في عهد عباس الأول بمقتضى لائحة صدرت في ٨ ربيع الآخر سنة ١٢٦٥ (١٨٤٩) وتولى رأسه السكتخدا باشا وهو أكبر موظف بالحكومة ، وأعضاؤه من كبار الذوات والعلماء ، واختص بنظر المسائل العامة للحكومة وسن اللوائح والقوانين وترتيب النظم العمومية وتنصيب رؤساء المصالح الكبرى ، فكان بمنزلة مجلس النظار ، وتولى السلطة التشريعية ، وشاركه فيها مجلس الأحكام ، وقد بقي هذا المجلس قائما الى أن خلفه مجلس النظار في عهد اسماعيل

### الوزارات

وفي سنة ١٨٥٧ أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين فجعل منها أربع وزارات وهي الداخلية ، وقد عهد بها الى الأمير احمد رفعت ، والمالية وعهد بها الى الأمير مصطفى فاضل والحربية وتولاها الأمير محمد عبد الحلیم ، والخارجية وتقلدها اسطفان بك أحد خريجي البعثات في عهد محمد علي

### النظام القضائي

#### مجلس الأحكام

وكان في البلاد منذ عهد محمد علي هيئة قضائية عليا تسمى (جمعية الحقانية) انشئت سنة ١٨٤٢ وقد سميت هذه الهيئة منذ سنة ١٨٤٩ مجلس الأحكام ، وهو المجلس الذي كان له شأن كبير في عهد سعيد واسماعيل ، وكان بمثابة الهيئة الاستئنافية العليا في البلاد ، ويتألف من تسعة أعضاء من الكبراء ومن عالين أحدهما حنفي والآخر شافعي ، وكان أيضا يشارك (المجلس الخصوصي) في السلطة التشريعية

#### مجالس أو محاكم الأقاليم

بقيت المحاكم الشرعية كما كانت في عهد محمد علي ، وبقي لها اختصاصها في المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية وانتقال الملكية ، غير أنه انشئت محاكم أو مجالس ، جديدة للفصل في المسائل المدنية والتجارية سميت (مجالس الأقاليم) ، بلغ عددها خمسة

في بداءة تأسيسها ، وهي ( مجلس طنطا ) ويختص بنظر قضايا الغربية والمنوفية والبحيرة ، و ( مجلس سمنود ) ويختص بنظر قضايا الدقهلية والشرقية والقليوبية ، و ( مجلس الفشن ) ويختص بنظر قضايا الجيزة والمنيا وبنى مزار وبنى سويف والفيوم ، و ( مجلس جرجا ) ويختص بنظر قضايا أسيوط واسنا وقنا ، و ( مجلس الخرطوم ) ويختص بنظر قضايا السودان

وكان كل مجلس يتألف من رئيس وأربعة أعضاء ، وأربعة كتاب عدا ( مجلس سمنود ) فإنه يتألف من رئيس وعضوين

وعين لكل مجلس اثنان من العلماء بوظائف مفتين أحدهما حنفي والآخر شافعي وكان ( المجلس الخصوصي ) و ( مجلس الأحكام ) يصدران اللوائح والقوانين لهذه المجالس ، فكان بمثابة الهيئتين التشريعتين في البلاد ، ويتبين من ذلك أن مجلس الأحكام فوق كونه هيئة قضائية عليا كان أيضا هيئة تشريعية

#### ولاية القضاء

إن أهم إصلاح قضائي تم في عهد سعيد أنه نال من السلطان حق اختيار القضاة بعد أن كان العمل جارياً على أن قاضي القضاة المولى من قبل السلطان هو الذي يعينهم<sup>(١)</sup> وهذا الإصلاح فضلا عما فيه من تحقيق الإستقلال القضائي لمصر فإنه منع مصدراً من مصادر الفساد في النظام القضائي ، فإن قاضي القضاة كان يعين القضاة حسبما تولى عليه أهواؤه ، وكثيراً ما يجعل تعيينهم مقابل جعل من المال ، وفي ذلك من إفساد القضاء ما لا يخفى عن الأذهان

#### إلغاء مجلس الأحكام ثم إعادته

وفي سنة ١٨٥٥ غضب سعيد باشا على مجلس الأحكام ، فأصدر أمراً بالغائه ، وقيل أن سبب هذا الإلغاء اعتقاد سعيد باشا أن أعضائه لم ينهجوا طريق الاستقامة ، وقد أمر بإحالة الدعاوى التي كانت من خصائص المجلس على الأمير اسماعيل باشا ( الخديو )

(١) مصر الحديثة للسيو مريوس ١

وكلفه عرض ما يلزم عرضه على سعيد باشا ذاته ، أى أنه لم ينشئ هيئة أخرى مكان مجلس الأحكام المذكور ، ولكنه رجع وأمر بإعادة تأليف مجلس الأحكام وأسنده رأسه الى الأمير اسماعيل باشا سنة ١٨٥٦ ، وألفه من عشرين عضواً منهم أحد عشر عضواً من الأعيان وتسعة من الذوات

ولم يمض عامان على تأليف هذا المجلس حتى عاد سعيد باشا وغضب عليه ، وكان سعيد مشهوراً بكثرة تقلبه فى الآراء والميول ، وسبب غضبه أنه انتهى إليه أن أعضاءه ارتكبوا الرشوة فى قضية عرضت عليهم ، فارتأى الغاءه سنة ١٨٦٠ ، وألغى كذلك ( مجالس الأقاليم )

على أنه عاد بعد ذلك سنة ١٨٦١ وأمر بإعادة مجلس الأحكام وعين محمد شريف باشا ( الذى صار فيما بعد الوزير المشهور ) رئيساً له ، وكان من قبل ناظرًا للخارجية ، وأعاد كذلك مجالس الأقاليم ، ولكنه اقتصر منها على مجلسين ، أحدهما بطنطا ، ويختص بنظر قضايا الوجه البحرى ، والثانى بأسىوط ، ويختص بنظر قضايا الوجه القبلى

وكان العمل أمام ( مجلس الأحكام ) ومجالس الأقاليم يجرى طبقاً للقانون العثمانى والقوانين التى أصدرها سعيد باشا

وكان مجلسا طنطا وأسىوط يحكان ابتدائياً فى المنازعات ، ومجلس الأحكام ينظر فيها بصفة استئنافية ، ولما تولى الخديو اسماعيل أعاد تأليف مجالس الأقاليم بأن عممها فى المديرىات كما سيجىء بياته

### قضاء الأجانب

بقيت محاكم التجارة التى أنشئت فى عهد محمد على قائمة الى عهد سعيد واسماعيل وهى المسماة ( مجالس التجار ) فى الاسكندرية ومصر ، وكانت المحافظات والضبطيات تنظر فى المشاكل الخاصة بالأجانب ، ولكن كثرة نزوح الأجانب الى مصر وما استتبعه من ازدياد هذه المشاكل جعل جهات الادارة لا تستطيع التفرغ لحسمها ، فانشئ سنة ١٨٦١ مجلس خاص باسم ( قومسيون مصر ) أو مجلس القومسيون ، يتألف من رئيس مصرى وعضوين مصرين ، وعضو أوروبى ، وآخر يونانى ، وعضوا اسرائيلى ، وآخر أرمنى (١)

(١) انظر كتاب المحاماة لفتحى باشا زغلول ص ٨٥ ملحقات

ويختص بنظر القضايا التي ترفع من الاجانب على الرعايا المحليين ، وللقنصليات أن ترسل مندوبا من قبلها لحضور الجلسات ، وأحكامه تستأنف أمام ( مجلس الأحكام ) ولم يكن من اختصاصه النظر في المسائل المتعلقة بالعقار ، بل كان النظر فيها من اختصاص المحاكم الشرعية باعتبارها وقتئذ المحاكم العادية في البلاد

### ثغرات التدخل الأجنبي

اجتمع في سعيد باشا عيبان جوهر يان ، الأول ضعف إرادته وقلة حظه من الحزم والعزم ، والثاني وهو أكبر خطراً وأسوأ أثراً من الأول ، ونعني به ثقته بالاجانب ثقة مطلقة ، بحيث لم يكن يقوى على أن يخالف لهم رأياً ، أو يرد لهم طلباً ، وقد اتخذ منهم بطانته وموضع سره ، فانفتحت في كيان مصر ثغرات التدخل الأجنبي ، وأهم هذه الثغرات منح امتياز قناة السويس ، والاستدانة من البيوت المالية الأجنبية

### (١) امتياز قناة السويس

#### نظرة عامة

يعد مؤرخو أوروبا ، والفرنسيون منهم خاصة ، مشروع قناة السويس مفخرة سعيد باشا ، ويقولون انه بهذا العمل قد أدى أعظم خدمة للإنسانية والحضارة ، وهم فيما يقولون إنما ينظرون إلى هذا العمل من وجهة النظر الأوروبية ، فلا شك أن قناة السويس قد أفادت التجارة الأوروبية فوائد كبرى ، بتقريبها طريق المواصلات بين أوروبا والشرق ، وأفادت أيضا الاستعمار الأوروبي ، لأنها مكنت الدول الاستعمارية من ارسال الحملات والتجاريد الحربية من طريق القناة الى آسيا وأفريقية لاختضاع ممالك الشرق وشعوبه ، ورفعت عن تلك الدول مشقات اجتياز طريق المحيط الاطلنطي ورأس الرجاء الصالح ، ذلك الطريق الطويل المحفوف بالمكاره والاختطار

فمن الوجهة الأوروبية لا جدال في أن فتح قناة السويس عاد بأعظم الفوائد على التجارة الأوروبية والاستعمار الأوروبي

أما من وجهة النظر المصرية ، فالقناة كانت شوما على البلاد واستقلالها ، لأنها



أطمعت فيها دول الاستعمار ، وجعلتها تسعى سعياً حثيثاً للاستيلاء على مصر ، وتضاعف جهودها القديمة لتحقيق هذا الغرض ، ومن المحقق أن مساعي إنجلترا خاصة في احتلال مصر قد تضاعفت واشتدت بعد أن شقت القناة أرض مصر ، وحجتها في ذلك أنها أرادت الاطمئنان على هذا الطريق الجديد الواصل الى الهند ، وتستأثر بوضع يدها عليه ، وهي حجة لا أساس لها من الحق والإنصاف ولكنها الامر الواقع الذي توحى به مطامع الفتح والاستعمار ، فإنجلترا بعد فتح القناة صارت أكثر تطلعا وأقوى تحفزا الى احتلال مصر ، فلا عجب أن كانت مصر ضحية قناة السويس ، تلك حقيقة واقعة ، كان يجب أن لا تفوت سعيد باشا عندما منح امتياز القناة ، وأن يفظر اليها اسماعيل باشا عندما بذل تأييده للمشروع بعد اعتلائه العرش حتى وصل به الى غايته

وإذا كان المؤرخون الافرنج يعدون مشروع القناة أكبر مفخرة لسعيد باشا ، فإننا نعهده بالعكس أكبر غلطة له في تاريخه ، لانه بعمله هذا قد فتح باب التدخل الاستعماري في مصر على مصراعيه ، وجعلها هدفا للمطامع الاوروبية

ويزيد في تبعته أنه كان عالما برأي أيه العظيم محمد علي ومعارضته في فتح القناة ، ويعلم عندما منح امتيازه أنه خالف وصايا أيه الذي كان يعد القناة بوسفورا ثانيا يجعل مصر واستقلالها عرضة للخطر

إن المسألة المصرية قد دخلت دوراً جديداً بعد فتح القناة ، إذ صار ينظر اليها كأنها هي مسألة قناة السويس ، فكأنها اندمجت فيها ، وتبدلت أوضاعها تبعاً لهذا الاندماج ، وصار النظر اليها من ناحية الدول الاستعمارية مرتبطاً بوجهة نظرها في مسألة القناة ، ومعلوم أن إنجلترا جعلت خطتها في مسألة القناة أن تسعى جهدها في وضع يدها عليها وعلى الأرض التي تجتازها ، وأن يكون بيدها مفاتيح القناة ، ولذلك وضعت نصب عينها أن تحتل مصر بعد أن تم فتح هذا الطريق البحرية الخطيرة الواصلة إلى مستعمراتها في الشرق

ففتح القناة يعادل في تأثيره الاستعماري بالنسبة للمسألة المصرية غزوة نابليون بونابرت ، فكما أن الحملة الفرنسية جعلت إنجلترا تتطلع إلى احتلال مصر ، كذلك كان شأن قناة السويس ، الفارق بين الحادثين أن إنجلترا قد أخفقت في تحقيق مطامعها التي

أثارها الحملة الفرنسية ، وارتدت عن السكنانة دون أن تنال منها منالاً ، وسويت المسألة المصرية في عصر محمد علي طبقاً لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، تلك المعاهدة التي كفلت لمصر استقلالها الداخلي التام ، وبقيت المسألة المصرية سائرة على منهاج تلك المعاهدة إلى أن تم فتح القناة ، ومن ثم تغيرت أوضاعها ، وسعت إنجلترا من جديد في تحقيق أطماعها القديمة التي أخفقت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فلا جرم أن كان فتح القناة مقدمة دور جديد للمسألة المصرية ، ولقد كان هذا الدور شؤماً على البلاد ، إذ اجتمعت فيه الظروف السيئة التي مكنت إنجلترا من تحقيق أطماعها في مصر ، فان فتح القناة في ذاته ، وبيع اسماعيل أسهم مصر فيها إلى الحكومة الإنجليزية ، قد هيا لانجلترا أن تخطو أول خطوة نحو الاحتلال

فسيعد باشا لم ينظر إلى القناة كعمل حيوي لمصر ، وأغلب الظن انه لم يوازن بين مزاياها ، ومضارها ، بل نظر إلى فائدتها للانسانية فحسب ، ولقد زينت له نصائح المسيو فردينان دلسبس أنه بهذا العمل يعد من أكبر خدام الحضارة ، وبديهي أن النظر إلى القناة من وجهة فائدتها للانسانية هو وهم لا يليق بالأمم التي تقدر معنى الوجود والحياة ، لأن حياة الأمة واستقلالها مقدمان على كل خدمة عامة للانسانية ، وليس في تاريخ الشعوب قديماً وحديثاً أمة رضيت أن تضحي بأية مصلحة لها مهما ضوّلت ، بله استقلالها ، في سبيل خدمة الانسانية ، فالحق أن هذه أوهاام لا تجوز إلا على الأمم المستضعفة ، فاننا على العكس نرى الأمم التي تتخذها مثالا للتقدم والعظمة تهزأ بتلك الأوهام ، وتضحي بمصالح الأمم والانسانية جمعاء تحقيقاً لأطماعها الاستعمارية بل تستبيح كل الوسائل في سبيل السيطرة على العالم ، واستعباد الشعوب

فن أضعف النظريات وأبعدها عن العقل والمنطق أن يقال ان سيعد واسماعيل يستحقان الإعجاب لانهما خدما الانسانية بإنفاذ مشروع القناة ، والحقيقة المؤلمة انهما بعملهما هذا قد مهدا السبيل لاحتلال إنجلترا مصر

والآن ننقل من الإجمال إلى التفصيل فنقول ، إن سيعد باشا بمنحه المسيو دلسبس امتياز القناة قد جلب على البلاد مضار جسيمة نذكرها فيما يلي :

أولاً - ان القناة عرضت استقلال مصر للخطر ، ولم يكن هذا الخطر ليخفى على ذي بصيرة في الأمور ، فلقد أدركه السياسيون الأوروبيون من يوم البدء في المشروع

ومما يذكر في هذا الصدد أنه لما تم منح الامتياز كتب المستر بروس Bruce قنصل إنجلترا في مصر وقتئذ إلى حكومته ينبئها بالخبر ، ويقول في حتام رسالته : « إن فتح القناة سيؤدي إلى ازدياد المواصلات التجارية بين أوروبا والبلاد الواقعة على البحر الأحمر ، وستنشأ طبعاً مراكز للدول الأجنبية في هذه البلاد ، ومن المنتظر أن تحدث منازعات بينها وبين تلك الشعوب ، فتتخذ ذريعة إلى التدخل المسلح في شؤونها ، وهذا التدخل يفضى إلى الاحتلال الدائم ، ويتوقع أن تحدث هذه النتائج في مصر ذاتها ،

فهذا التنبؤ الذي أدركه القنصل الإنجليزي سنة ١٨٥٤ هو ما كان يجب أن يتوقعه كل من عنده قليل من بعد النظر في السياسة ؛ وهو ما وقع على مر السنين ، فإن إنجلترا بعد أن تم فتح القناة سعت سعيها في احتلال مصر ، وتم لها ذلك سنة ١٨٨٢ أى بعد اثني عشر عاماً من افتتاح القناة للملاحة ، إذ كان افتتاحها سنة ١٨٦٩ . ومن مصادفات القدر أنه عندما فتحت القناة كان المستر غلادستون على رأس الوزارة الإنجليزية ، وعندما احتلت إنجلترا مصر سنة ١٨٨٢ كان هو أيضاً يشغل هذا المنصب

ويدخل في هذا السياق ، أنه لما اشتدت معارضة إنجلترا في فتح القناة ، وجرت مفاوضات بشأن إقناعها بالعدول عن معارضتها ، كان مما اشترطته الحكومة الإنجليزية لموافقتها على المشروع احتلالها السويس ، وحمايتها للقناة ، فيتبين من ذلك أن إنجلترا لم تكن تخفي نياتها الاستعمارية نحو مصر عند إنشاء القناة ، ولم يكن خافياً أن هذا المشروع يجعل استقلال مصر هدفاً لمطامعها الاستعمارية

وفي هذا الصدد يقول مؤلف ( تاريخ مصر المالي ) وهو من الكتّاب الأوروبيين المشهود لهم بالاعتدال وإصالة الرأي : « إن منح امتياز القناة إلى المسيو دلسبس قد فتح أبواب الدلتا على مصراعيها للأوروبيين ،<sup>(١)</sup>

ويقول المسيو كوشري Cocheris : « إن بدء الارتبكات المالية والتدخل الأوروبي

---

(١) تاريخ مصر المالي ص ٣ لمؤلف لم يعلن اسمه ( ولعله المسيو بابونو Paponot ) ويعد كتابه من أهم المراجع في بيان حالة مصر المالية على عهد سعيد وإسماعيل

المشؤوم في شؤون مصر يرجع في الحقيقة الى سنة ١٨٥٤ وهى السنة التى منح فيها امتياز قناة السويس الى المسيو دلسيس،<sup>(١)</sup>

(ثانيا) ان سعيد باشا بقبوله انشاء القناة على يد شركة أجنبية فتح ثغرة ثانية للتدخل الأجنبي ، وكان الضرر أخف وطأة لو فتحتها مصر بنفسها وحسابها  
(ثالثا) أنه أسرف في منح الشركة امتيازات وحقوقا جعلتها شريكة مصر في سيادتها وجعلت منها حكومة داخل الحكومة كما سيجىء بيانه

(رابعا) لم تستفد مصر من الوجهة الاقتصادية فائدة ما من القناة ، بل على العكس أضرتها اقتصاديا ، لأن طريق التجارة بين أوروبا والشرق تحولت من داخل مصر إلى القناة المائية التى أصبحت ملكا لشركة أوروبية ، فخسرت مصر الأرباح التى كانت تعود عليها من مرور المتاجر في وسط الدلتا ، بطريق النيل أو السكك الحديدية المصرية ، وانتقلت هذه الأرباح إلى شركة القناة ، وهذا من غير شك خسران كبير

(خامسا) على الرغم من مضار المشروع لمصر فإنها انفقته عليه من مالها نيفا وستة عشر مليون جنيه ، بذلت في أسهم اكتتبت فيها ، وأملاك تنازلت عنها ، وأعمال قامت بها ، وتعويزات أدتها للشركة ، وقد خسرت هذه الملايين في وقت كانت أحوج ماتكون إليها ، ولإنفاذ مشروع كان شؤما عليها من كل الوجوه

ولئن عادت القناة يوما إلى مصر فلا يمكن أن ننسى أن مصر خسرت فيها ثمنا باهظا وتضحيات جسيمة ، ويكفى أنها بذلت لها ستة عشر مليون جنيه من أموالها ، ثم حرمت ما هو أعز من المال ، وهو الاستقلال ، وعندما استرد مصر استقلالها تاما فستكون قد حرمت استقلالها بسبب القناة ردحا طويلا من الزمن ، وهو حرمان لا يعوض بمال

### نبذة وجيزة في تاريخ المشروع

لم يسبق لحكومة مصرية قديمة أو حديثة أن وصلت البحرين الأبيض والأحمر بقناة ملحة تخترق برزخ السويس

(١) المركز الدولى لمصر والسودان للسيسو كوشرى ص ٦٧

### في عهد الفراعنة والفتح الإسلامى

وإنما وقع الاتصال عن طريق النيل ، فكانت ترعة الفراعنة القديمة تخرج من فرع النيل البيلوزى القديم ، وتسير بمحاذاة وادى الطميلات ، ثم تنثنى جنوباً فتخترق البحيرات المرة ، ثم تصب فى البحر الأحمر

وفى عهدالفتح الإسلامى أنشأ عمرو بن العاص ، الخليفة ، المعروف بخليج أمير المؤمنين ، بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ٢٣ هجرية ، وكان يصل النيل بالبحر الأحمر ، ويبدأ من مصر القديمة ، حيث يبتدىء خليج مصر اليوم حتى القاهرة ، ومنها إلى المطرية ، ومنها إلى العباسية ، ثم يتبع آثار ترعة الفراعنة القديمة

### فى عهد الحملة الفرنسية

وفى عهد الحملة الفرنسية فكر نابليون كما أسلفنا فى الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ( ص ١٢٤ ) فى وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، وعهد بدرس هذا المشروع إلى المسيو ( لويير ) كبير مهندسى الرى والطرق والجسور ، ففضى عامين فى درسه وخصه ، وعاونه فيه بعض مهندسى الحملة ، وقدم تقريراً إلى نابليون بعد مغادرته مصر ، وكان تصميم المشروع كما وضعه المسيو لويير أن تحفر قناة من السويس إلى البحيرات المرة ، ويعاد حفر خليج أمير المؤمنين إلى أن يتلاقى مع بحر موسى بقرب بوباسط ( الزقازيق ) ، ومن بحر موسى إلى فرع دمياط ، ومنه إلى ترعة الفرعونية ، ومنها إلى فرع رشيد ، ومنه إلى الاسكندرية بواسطة ترعة الاسكندرية ، وحيد المسيو لويير أيضاً فكرة وصل البحرين رأساً بواسطة ترعة أخرى تخترق برزخ السويس ، فيما بين بيلوز ( الطينة ) على البحر الأبيض المتوسط ، ومدينة السويس على البحر الأحمر ، غير أنه اعتقد خطأ أن البحر الأحمر يعاود عن سطح البحر الأبيض بنحو تسعة أمتار ، وقد نشر لويير مشروعه فى كتاب ( تخطيط مصر ) بالجزء الحادى عشر ، وفيه بحث مستفيض عن تخطيط ترعة الفراعنة القديمة ، وخليج أمير المؤمنين ، وتخطيط الجهات التى ينفذ فيها المشروع ، ونفقات إنفاذه ، ويقع هذا البحث فى أكثر من ثلاثمائة صفحة ، وهو من أجل الأبحاث التى وضعها علماء الحملة الفرنسية

في عهد محمد علي

جاء المسيو فردينان دلسبس الى مصر لأول مرة سنة ١٨٣١ ، على عهد محمد علي باشا ، متوليا منصب مساعد للقنصل الفرنسي ، فأبدى الباشا نحوه عطفًا كبيراً لما كان بينهما وبين أبيه الكونت ماتيو دلسبس Mathieu Delesseps من صلات الصداقة القديمة منذ كان قنصلاً لفرنسا في مصر سنة ١٨٠٣ ، واتصل فردينان دلسبس بالأمير محمد سعيد ، إذ عهد إليه أبوه أن يعنى بتربيته الرياضية ، فتعلم الأمير على يده أنواع الرياضة والمهارة في ركوب الخيل ، ومن هنا نشأت صلات الود بينهما ، واستمرت صداقتهما طول حياة سعيد باشا وقد وقع في يد المسيو دلسبس وهو في الاسكندرية بحث المسيو لويير عن وصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر ، وأكب على هذا البحث يدرسه درسا عميقا ، فلم يلبث أن اتجهت نفسه الى تحقيق مشروع الاتصال بين البحرين بقناة بحرية ، ثم انتقل من منصبه بالقطر المصري ، وطوحت به المناصب السياسية الى مختلف الأقطار ، على أنه كان لا يفتأ يفكر في أمر هذا المشروع

لجنة سنة ١٨٤٦

وكان مشروع وصل البحرين بقناة ملحة موضع البحث والتفكير في أوروبا بين مختلف المهندسين من يوم أن وضع المسيو لويير تقريره عنه في عهد نابليون ، وكان الخطأ الذي وقع فيه المسيو لويير إذ ظن أن البحر الأحمر يعلو عن سطح البحر الأبيض بنحو تسعة أمتار عقبه يراها رجال الفن حائلة دون إمكان وصل البحرين عن طريق برزخ السويس

على أنه في سنة ١٨٤٦ تألفت من بعض المهندسين من مختلف الأمم لجنة فنية لدرس مشروع حفر القناة ، وجاء أعضاؤها الى مصر لفحص المشروع في أواخر عهد محمد علي ، واستمروا على عهد عباس ، وعاونتهم الحكومة في إجراء تلك المباحث ، وعهدت بتخطيط المواقع الى بعض كبار المهندسين مثل لينان بك (باشا) وسلامه افندى ابراهيم (باشا) وإبراهيم بك رمضان وطائل افندى وغيرهم ، وانتهت اللجنة الى أن فرق مستوى البحرين ليس أمراً ذا بال ، ورأت الوصل بينهما بشق ترعة تجتاز الدلتا

وكان محمد علي منذ البداية معرضاً عن مشروع القناة ، غير راغب فيه ، لما يتوقعه إذا تم من العواقب الوخيمة ، فلم يستجب لدعوة المهندسين والمالين الأوربيين الذين زينوا له المشروع ، بل كان يردمهم بلطف وحكمة ، ويعدمهم ويمنيهم ، وفي الوقت نفسه يضمن الإعراض عن هذا المشروع حتى انتهى حكمه

وقد بلغ به بعد النظر أنه لم يقبل أن يعهد إلى شركة انجليزية مد سكة حديد بين القاهرة والسويس ، حتى لا تكون هذه السكة ذريعة إلى التدخل الأجنبي ؛ وكذلك أعرض عباس باشا الأول عن مشروع القناة ، وضرب صفحاً عن أبحاث اللجنة ، وحاول المسيو فردينان دلسبس أن يقنعه بفائدة المشروع ، وأرسل تقريراً عنه إلى المسيو رويسنر Ruysanaers قنصل هولندا العام في مصر ليعرضه على عباس ، ولما سكت الفكرة لم تلق من الأمير قبولا ، واتجه فكره إلى تسهيل سبيل المواصلات بطريق البر بين الاسكندرية والسويس ، بدلا من شق ترعة ملحة بين البحرين ، فأصلح الطريق بين مصر والسويس وجعله صالحا لمرور العربات من غير عناء ولا مشقة ، ثم شرع في انشاء سكة الحديد بين الاسكندرية والقاهرة كما تقدم بيانه ، ويئس المسيو دلسبس من نجاح مشروعه على يد عباس الأول

#### في عهد سعيد

فلما مات عباس وتولى الحكم سعيد باشا استبشر المسيو فردينان دلسبس خيرا بنجاح فكرته ، على يد صديقه القديم ، فأرسل إليه يهنئه بارتقاء العرش ، ويبلغه عزمه على الحضور ليقدم له فروض التهنئة ، فأجابه سعيد على تهنئته ، واستدعاه إلى مصر ، فسرعان ما جاء الاسكندرية ( في نوفمبر سنة ١٨٥٤ ) ، وقابله الباشا بحفاوة كبيرة ، ذاكر أصداقته القديمة ، ثم اصطحبه في رحلة من رحلاته الحربية التي كان يسير فيها على رأس جنده ، وسار معه من الاسكندرية إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية ، وكان الأمير يقود في هذه الرحلة جيشاً مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل

فاغتنم المسيو دلسبس هذه الفرصة ليفتح سعيد باشا في أمر المشروع ، وكان لمهارته في ركوب الخيل أثر في تمهيد السبيل لنجاح مسعاه ، ذلك أنه امتطى صهوة جواد أهده له الأمير ، فوثب به يوماً عن حاجز من الأحجار ، على مرأى من قواد الجنود حاشية

سعيد ، فأعجبو به وبمهارته وفروسيته ، وفي مقدمة المعجبين به ذو الفقار باشا وزير المالية الذي كانت له منزلة كبيرة لدى سعيد باشا

ففي اليوم التالي ، فاتح المسيو دلسيس سعيد باشا في أمر المشروع ، وزين له أنه إذا وفق اليه خلد ذكره واكتسب ثناء العالم بأسره<sup>(١)</sup> ، وبالرغم من أن سعيد باشا كان يصرح بأنه لا يخالف وصايا أبيه في الإعراض عن فتح القناة ، فإنه ضعف أمام إغراء المسيو دلسيس ، وقبل المشروع ، ووعده بمساعدته ، وتأيدته في تحقيقه ، واستدعى قواد جنده ، وعرض عليهم الفكرة ، وكانوا متأثرين إعجاباً بفروسية المسيو دلسيس ، فسارعوا إلى استحسان المشروع ، دون أن يبحثوه ، أو يوازنوا بين مضاره ومزاياه ، فكانوا هم وسعيد في قصر النظر سواء

فانظر الى ما صارت اليه شؤون الدولة في عهد سعيد ، وكيف كانت عظام الأمور يبت فيها من غير بحث أو روية ، ولا نظر في العواقب ، وهذا من أسباب الضعف الذي أصاب مصر في عهد خلفاء محمد علي ، وإذ لما يدعو الى الدهشة والألم معاً ، أن مشروعاً خطيراً أكتفناه السويس يقرر في رحلة صحراوية ، من غير تمحيص ولا تفكير ، وأن مجرد إعجاب رجال الدولة ، بفروسية المسيو دلسيس ومهارته في ركوب الخيل كان كافياً لإقرار المشروع . . . !

ولم يفت المسيو دلسيس ملاحظة هذه الحقيقة المؤلمة ، فقد أشار اليها ، في شيء من التهمك والسخرية ، قال في هذا الصدد: « جمع سعيد باشا قواد جنده ، وشاورهم في الأمر ، ولما كانوا على استعداد لتقدير من يجيد ركوب الخيل ويقفز بجواده على الحواجز والخنادق أكثر من تقديرهم للرجل العالم المثقف ، انحازوا الى جانبي ، ولما عرض عليهم الباشا تقريرى عن المشروع ، بادروا الى القول بأنه لا يصح أن يرفض طلب صديقه ، وكانت النتيجة أن منحنى الباشا ذلك الامتياز العظيم<sup>(٢)</sup> ،

وقال في موضع آخر : « بعد أن قبل سعيد باشا المشروع استدعى قواد جنده ، ودعاهم

(١) مراسلات ويوميات ووثائق عند قناة السويس للمسيو دلسيس ج ١ ص ٤

(٢) أصول قناة السويس ص ١٥



الى الجلوس أمامه ، وقص عليهم الحديث الذى دار بيننا ، وطلب اليهم أن يبدو رأيهم فى مشروع « صديقه » . فلم يكن من هؤلاء المستشارين ، وقد فوجئوا بهذا الاقتراح وهم أقدر على إبداء رأى فى مناورات الخيل منهم فى التكلم عن مشروع عظيم لا يستطيعون فهم مراميه ، إلا أن نظروا إلى « بملء أعينهم » ، كما يريدون إفهامى أن صديق مولاهم الذى رأوه يقفز على الحائط راكبا جواده بتلك المهارة ، لا يمكن أن يدلى إلا بأراء صائبة ، وكانوا أثناء الحديث يرفعون أيديهم الى رءوسهم بين آونة وأخرى علامة على الموافقة، (١) وذكر عن سعيد باشا ذاته ( ص ٥٧ ) أنه قال له بعد أن منحه الامتياز : « أعتز لك بأنى لم أفكر طويلا فى الموضوع ، وإنما هى مسألة شعور ، وليس من عادتي أن أقلد الناس فى ما يتبعون ويعملون »

### منح امتياز القناة

٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤

ولما بلغ سعيد باشا القاهرة أنزل المسيو دلسبس ضيفا عنده ، محفوا بالاكرام والرعاية ، ولم تمض أيام معدودات حتى منحه بمقتضى العقد المؤرخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ امتياز تأسيس شركة عامة لحفر قناة السويس ، واستثمارها لمدة ٩٩ سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة (٢) . وهكذا نال دلسبس بغيته التى كان يسعى لها منذ ثلاث وعشرين سنة وهذا العقد هو المعروف بعقد الامتياز الأول : تمييزا له عن عقد الامتياز الثانى المؤرخ ٥ يناير سنة ١٨٥٦ الذى سيرد الكلام عنه

وقد عهد سعيد باشا الى مهندسيه لينان بك ، وموجيل بك ، أن يرافقا المسيو دلسبس الى برزخ السويس ، لدرس المشروع وتطبيقه على طبيعة الأرض ، ورفع تقرير اليه عن نتيجة مباحثهم ، وكان رأيهما من قبل فى جانب المشروع

(١) أصول قناة السويس ص ٤٠

(٢) فتحت القناة للملاحة يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ أى أن مدة الامتياز تنتهى فى ١٦

نوفمبر سنة ١٩٦٨ وتصبح القناة بعدها ملكا لمصر

فقام المهندسان الفرنسيان والمسيو دلسيس بهذه المهمة ، وانهى بهم البحث الى الاتفاق على طريقة تنفيذ المشروع ، وهى أن تنشأ القناة مستقيمة فى أضيق نقطة فى البرزخ : بين موقع بيلوزه (بورسعيد الآن) على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر

### حصص التأسيس

ثم جمع المسيو دلسيس من بعض المسالين حصص التأسيس لشركة القناة التى أزمع تأليفها ، وجعل قيمة الحصة خمسة آلاف فرنك ( ٢٠٠ جنيه ) وخصص قيمة هذه الحصص لنفقات المشروع الأولى ، على أن تحول قيمة الحصص الى أسهم خاصة فى الشركة عند ما يتم تأليفها

### لجنة دولية لدرس المشروع

وانتخب المسيو دلسيس باتفاقه مع سعيد باشا (فى نوفمبر سنة ١٨٥٥) لجنة دولية من المهندسين الفنيين لدراسة المشروع ثانية، بعد اطلاعها على تقرير لينان بك وموجيل بك ، لتبدي رأيها فى صلاح المشروع وامكان تنفيذه ، وذلك حتى يطمئن الناس إلى نجاحه ، فيقبلون على الاكتتاب فى أسهم الشركة عند تأليفها

فذهب أعضاء اللجنة إلى برزخ السويس ، وأجروا مباحثهم الهندسية ، ووافقوا على المشروع كما وضعه لينان وموجيل ، بعد أن ثبت لهم أن سطح البحرين واحد ، وأن الأرض صالحة لاجتياز القناة الملحة

### شروط الامتياز

٥ يناير سنة ١٨٥٦

ولما أتمت اللجنة مباحثها عرض المسيو دلسيس نتيجة هذه المباحث على سعيد باشا ، فأصدر له عقد الامتياز الثانى بتاريخ ٥ يناير سنة ١٨٥٦ م - ( ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢ هـ ) ، صدق فيه على الامتياز السابق منحه إلى المسيو دلسيس ، وضمته شروط الامتياز التى خولها الشركة ، وكانت شروطا فادحة ، لا ترضى بها حكومة رشيدة ساهرة على مصالح البلاد ، وهالك خلاصتها

(١) منحت الحكومة الشركة امتياز إنشاء قناة السويس بين خليج الطينة على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر ، وإنشاء ترعة للياه العذبة صالحة للملاحة النيلية تستقي من النيل ، وتصب في القناة الملحة ، وإنشاء فرعين للرعى والشرب يستمدان مياههما من الترعة المذكورة ، ويصلان إلى السويس والطينة ( بور سعيد ) ( مادة ١ من عقد الامتياز )

(٢) تنازلت الحكومة للشركة مجاناً عن جميع الأراضي المملوكة لها والمطلوبة لإنشاء القناة الملحة وترعة المياه العذبة وتوابعها ، وهي مساحات شاسعة على طول القناة والترع المزمع انشاؤها ، بعرض كيلو مترين من الجانبين<sup>(١)</sup> ، تنازلت عنها الحكومة بلامقابل ، مع إعفائها على الدوام من الضرائب ، وتنازلت أيضاً عن جميع الأراضي القابلة للزراعة لتستصاحبها الشركة وترويه وتزرعها ، مع إعفاء هذه الأقطان من الضرائب بمدة عشر سنوات من تاريخ استثمارها ( مادة ١٠ )

(٣) خولت الشركة ( عدا ما تقدم ) حق انتزاع الأراضي المملوكة للأفراد بما ترى لزومها لاجراء الأعمال والانتفاع بالامتياز ، في مقابل أن تدفع الشركة لاصحابها تعويضات « عادلة » ، ( مادة ١٢ ) ، ومعنى ذلك نزع ملكية الأفراد لمصاحبة الشركة

(٤) على أصحاب الأقطان الواقعة أملاكهم على ضفاف الترع التي تنشئها الشركة إذا أرادوا رى أراضيهم بمياهها أن يحصلوا على ترخيص بذلك من الشركة في مقابل تعويض يؤدونه لها ( مادة ٨ )

(٥) منحت الحكومة الشركة طول مدة الامتياز الحق في أن تستخرج من المناجم والمحاجر الأميرية كل المواد اللازمة لأعمال المباني وصيانتها وملحقات المشروع ، دون دفع أى رسم أو ضريبة أو تعويض ، وتعفى الحكومة الشركة من الرسوم الجمركية ، والعواید عن جميع الآلات والمواد التي تستوردها من الخارج ( مادة ١٣ )

(٦) حدد أجل الامتياز بمدة ٩٩ سنة من افتتاح القناة البحرية للملاحة ، وبعد انتهاء هذه المدة تؤول القناة إلى الحكومة المصرية ( مادة ١٦ )

(١) مراسلات ويوميات ووثائق عن القناة للسيد دلسيس ج ٢ ص ٣٥٦

ولكن هذه المادة قيدت هذا الحق بشرط قد يؤدي إلى تعطيله ، أو يفتح بابا للمشاكل ، وهو وجوب أخذ الحكومة في هذه الحالة جميع المهمات والمعدات Materiel et approvisionnements المخصصة لاعمال المشروع البحرية ، وأن تدفع للشركة قيمتها التي تقدر سواء بالتراضى أو بناء على تقدير الخبراء

وليس ما يمنع الشركة أن تبالغ في تقويم المعدات التي خصصتها أو تخصصها في المستقبل للشروع ، أو أن تعتمد الإسراف فيها لتعجيز الحكومة ، ولكي تخلق العقبات التي تعترض حق مصر في استرداد القناة

ثم ان المادة ١٦ لم تذكر شيئا عن المنشآت التابعة للقناة ، كالمباني ، وقد كان العقد الأول ( مادة ١٠ ) ينص على أن شأنها شأن القناة في رجوعها للحكومة . دون مقابل ، فالعقد الثاني كما ترى صيغ في أسلوب بحذف بحقوق مصر كل الإجحاف ، وهذا يدل على الروح التي أملت شروطه ، وأغلب الظن أن سعيد باشا ترك تحريرها الى « صديقه » المسيو دلسيبس ( كما يصفه في العقد ) ولم يراجعها في شيء من نصوصه

(٧) خولت الشركة حق فرض ما تشاء من الرسوم على السفن التي تمر في القناة البحرية أو الترع والثغور التابعة لها على شرط أن لا تزيد في النهاية العظمى عن عشرة فرنكات عن كل طن وكل شخص من المسافرين ( مادة ١٧ )

(٨) في مقابل الأراضي والامتيازات الممنوحة للشركة تحصل الحكومة المصرية على حصة قدرها ١٥ في المائة من صافي الأرباح السنوية ( مادة ١٨ )

وقد خسرت مصر هذه الحصة سنة ١٨٧٩ ، وذلك أنه لما ارتبكت أحوالها المالية بسبب إسراف اسماعيل باعت هذا النصيب إلى البنك العقاري بفرنسا مقابل ٢٢ مليون فرنك

(٩) يكون أربعة أخماس العمال من المصريين ( مادة ٢ ) ، وتعهدت الحكومة ببذل مساعداتها للشركة وتكليف جميع موظفيها وعمالها في جميع دوائر المصالح أن يمدوا الشركة بمساعداتهم لها ( مادة ٢٢ ) ، وقد فسرت الشركة هذه النصوص على أنها تعهد من الحكومة بتسخير أربعة أخماس العدد الذي تطلبه الشركة من العمال ، وأن يكونوا من الفعلة والفلاحين المصريين لإجراء أعمال الحفر والانشاء ووضعهم تحت تصرف الشركة لتشغيلهم فيما تطلبه من الأعمال مقابل دفع أجورهم

وكان عقد الامتياز الأول ( مادة ٢ ) يخول الحكومة حق تعيين مديري الشركة ،  
ولكن هذا الحق لم يظهر له أثر في عقد الامتياز الثاني ، وهذا العقد يقضى بالغاء النصوص  
الواردة في العقد الأول بما يخالف أحكام العقد الثاني ، واقتضت المادة ( ٢٠ ) من  
العقد الثاني على أنه « يرأس الشركة ويديرها صديقنا ووكيلنا المسيو فردينان دلسبس  
بصفته المؤسس لها طوال المدة التي تستغرقها الأعمال ، ثم لمدة أخرى قدرها عشر سنوات  
تبتدىء من تاريخ استغلال الامتياز » ، ومعنى ذلك أن الحكومة المصرية خسرت في عقد  
الامتياز الثاني حق تعيين مديري الشركة ، وحفظ لها فقط حق تعيين « مندوب » عنها لدى  
الشركة يمثل حقوق الحكومة ومصالحها في تنفيذ العقد

وكان العقد الأول ينص ( بالمادة ٤ ) على أن الحصون التي ترى الحكومة لزوم انشائها  
في منطقة القناة لا تكلف بها الشركة ، وقد أغفل هذا النص في العقد الثاني ، وفسر  
إغفاله بأن لا حق للحكومة في إقامة الحصون في هذه المنطقة

ولأنك لترى في هذه الشروط روح التساهل والإسراف التي تعاقدها سعيد باشا مع  
الشركة ، فانه خوفاً من أيا جعلها تشارك الحكومة المصرية في حقوق ملكيتها العامة  
وسيادتها ، وملكها مرافق ومنافع عامة ليس للأفراد من أهل البلاد حق تملكها ، وهكذا  
جعل منها دولة داخل الدولة المصرية ، وليس من عجب أن يحوى عقد الامتياز تلك  
الشروط الفادحة فان المسيو دلسبس هو الذي تولى تحرير العقد ووضع فيه ما شاء من  
النصوص والأحكام

### مقاومة إنجلترا للمشروع

اشترط سعيد باشا لصحة الامتياز أن يصدق عليه السلطان العثماني ، على أنه كان  
معتزماً بتنفيذه بصرف النظر عن هذا التصديق ، وأعطى المسيو دلسبس العهود والمواثيق  
أن لا ينظر الى هذا التصديق إلا كمظهر شكلي ليس بذى بال ، وفي الواقع إن ما نالته  
مصر من حقوق الاستقلال الداخلي طبقاً لمعاهدة لندن لا يجعل مثل هذا التصديق  
ضرورياً لصحة الامتياز ، ولكن دلسبس أراد زيادة الاطمئنان على مشروعه ، فذهب  
الى الاستانة يلتمس فرمان التصديق ، فألني مناهضة للمشروع من السفير البريطاني بايعاز  
من اللورد بالمرستون وزير خارجية إنجلترا في ذلك الحين

وكانت السياسة الانجليزية ترمي حينذاك الى عرقلة المشروع خشية امتداد النفوذ الفرنسي في مصر، وخوفا على طريق المرور الى الهند أن يصبح تحت سيطرة دولة سواها فقاومت المشروع من طريق الحكومة التركية ، إذ حرصتها على رفض التصديق ، ثم من طريق الأسواق المالية إذ ألقت في روع المالمين أن المشروع خيالي لا يمكن تحقيقه

### معاوضة سعيد للمشروع

على أن سعيد باشا قابل هذه المقاومة بمعاوضة المسيو دلسيس في مشروعه ، وكانت صداقته لدلسيس تدفعه الى تذليل العقبات لإنجاح المشروع، فبذل له أوالالمبالغ المتوفرة في خزانة الحكومة وقتئذ وقدرها ١٠٠ الف جنيه ليستعين بها على العمل

### تأليف الشركة

وفي ٥ نوفمبر سنة ١٨٥٨ عرض دلسيس أسهم الشركة للاكتتاب العام بفرنسا وغيرها من البلدان ، فلقبت إقبالا عظيما، وغطيت أسهم الاكتتاب عدة مرات، وتألفت الشركة في ديسمبر سنة ١٨٥٨

وجعل رأس مالها ٢٠٠ مليون فرنك ( ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه تقريبا ) موزعة على ٤٠٠٠٠٠ سهم، قيمة السهم خمسمائة فرنك ( ٢٠٠ جنيتها )، ثم قسم السهم الى نصفين فصار عدد الأسهم ٨٠٠٠٠٠٠ سهم ، وقد صارت قيمة السهم الأصلي الآن ( سنة ١٩٣٢ ) حوالي ١٥٠٠٠ فرنك بعد أن كانت ٥٠٠ فرنك

واكتب سعيد باشا ب ١٧٧٦٤٢ سهما<sup>(١)</sup> أي بما يقرب من نصف مجموع الأسهم، ودفع جزءا من ثمنها وقسط الباقي على سنوات

### البدء في حفر القناة

٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩

وفي ٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩ ذهب المسيو دلسيس يصحبه أعضاء مجالس إدارة الشركة الى شاطئ البحر الأبيض ، في الموقع الذي انشئت فيه بعد ذلك مدينة بور سعيد، وأقيم

(١) مراسلات ويوميات ووثائق عن القناة ج ٤ ص ١٣٣

هناك احتفال حافل ضرب فيه دلنسبس أول معول في أرض القناة ، واقتدى به الحاضرون ، فكانت تلك الضربة إيذانا بالشروع في العمل ، وكانت في الواقع أول ضربة في صرح استقلال مصر

ثم أخذ العمال يعملون في حفر الأرض ، ولم يسكن قد صدر الفرمان العثماني بالتصديق على الامتياز ، ولكن سعيد أراد أن يضع تركيا وانجلترا أمام الأمر الواقع ، ويعضد المشروع بكل ما لديه من حول وقوة ومال



ابتداء العمل في حفر القناة ( ٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩ )

وترى في الصورة المسيو دلنسبس ممسكا بيده معولا للحفر وحوله العمال المصريون يبدأون في حفر القناة

وقد هاج هذا العمل غضب الحكومة الانجليزية ، فسعت سعيها لدى تركيا لوقف العمل ، ومرت ظروف ساعدت انجلترا في مسعاها ، ففي مايو سنة ١٨٥٩ شبت الحرب في ربوع ايطاليا بين فرنسا والنمسا ، فالت فرنسا الى محاسنة انجلترا ، وتراخت في تأييد المشروع ارضاء للحكومة الانجليزية ، وكادت انجلترا تنجح في مسعاها لإجباط المشروع ودبرت مع الباب العالي خلع سعيد باشا ، وجاء الأسطول الانجليزي الى ثغر الاسكندرية في يونيه سنة ١٨٥٩<sup>(١)</sup> ، ولكن التدبير لم يتم ، وتردد سعيد في الأمر ، وعهد إلى شريف باشا وزير الخارجية وقتئذ أن يرسل للمسيو دلنسبس كتابا يطلب اليه فيه وقف العمل<sup>(٢)</sup> ،

(١) ورد ذكر الأسطول الانجليزي وحضوره الى الثغور المصرية في كتاب مراسلات ويوميات ووثائق عن القناة ، ج ٣ ص ١٢٤

(٢) مراسلات ويوميات ووثائق عن القناة ج ٣ ص ١٣٣

على ان الحرب بين فرنسا والنمسا ما لبثت أن وضعت أوزارها ، وعقدت بين الدولتين الهدنة المعروفة بمصالحة ( فيلا فرنكا ) Villa Franca ، فنفذت كلبة فرنسا في ميدان السياسة العامة ، وعادت إلى مناصرة المشروع وتأييده ، غير أن الحكومة الانجليزية ما فتئت تسعى لدى حكومة الاستانة حتى جعلتها تصدر أمرا إلى سعيد باشا بوقف أعمال الحفر في برزخ السويس ، وأوفدت مندوبا عنها يدعى مختار بك الى مصر يحمل هذا الأمر الى سعيد

فعاد نابليون الثالث يبذل نفوذه لدى تركيا لملها على إبطال هذا الأمر ، وهكذا كان للسياسة الفرنسية اليد الطولى في نجاح المشروع ، واطمأن سعيد باشا إلى رعايتها إياه ، وعاد إلى معاضدة المشروع بكل قواه ، وبلغ به تفانيه في تعضيده أن سخر الفلاحين ليعملوا في حفر القناة ، وكان يأمر بجلبهم من بلادهم وقراهم ، وبلغ عددهم نحو ٢٥٠٠٠٠ عامل ، كانوا يقاسون الشدائد والأهوال في عمل لم تنتفع منه مصر بأية فائدة ، بل عاد عليها بالوبال والخسران

وقد سار العمل في إنفاذ المشروع وحفر القناة الملحة إن أن جرت فيها مياه البحر الأبيض حتى بحيرة التمساح ، وذلك في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٢<sup>(١)</sup> ، وإلى هذه المرحلة وصلت القناة في عهد سعيد باشا ، إذ أدركته الوفاة بعد ذلك بشهرين في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، تاركاً لاسماعيل إتمام ما بدأ به ، والوصول بالمشروع إلى نهايته

## - ٢ -

### بدء القروض الأجنبية

بدأ عهد القروض الأجنبية خلال حكم سعيد باشا ، فكانت هذه البداية نذير الكوارث المالية والأحداث السياسية التي أصابت البلاد في عهد اسماعيل وتوفيق ولا ندرى ما الذي حمل سعيد ، على أن يوجه وجهته نحو الاقتراض ، ولم يكن

(١) مراسلات وپوميات ووثائق عن القناة ح ٥ ص ٦



ذلك من سنة أيه ، كما أن الحكومة لم تكن في حاجة مُلحّة الى الاستدانة من البيوت المالية ، فان سنوات سعيد كانت في الجملة سنوات يُدسّر ورخاء ، ولم تقع في خلالها حروب طويلة تستنفذ موارد الحكومة المالية

يقولون إن نفقات الجيش زادت عن المقدر لها في الميزانية ، فاضطر سعيد الى الاقتراض ، ولكن هذا السبب لا ينهض حجة لتسويغ عمله ، فان « سعيد » ذاته كان لا يستقر على وتيرة واحدة في تقوية الجيش وزيادة عدده ، بل كان - لأسباب غير مالية - يصرف أحيانا معظم قواته الحربية ، وقد كان أجدر به أن ينقص من ميزانية جيشه إذا وجد أن حالة الخزانة لا تسمح باستبقاء جيش عرمرم يكلف البلاد ما لا طاقة لها به من النفقات ، والواقع أن قصر النظر السياسي هو الذي دعاه إلى مد يد الاستدانة من الخارج ، ففتح على البلاد باب التدخل الأجنبي

وفي ذلك يقول مؤلف (تاريخ مصر المالي) : « الى سعيد باشا يرجع الفضل التعس في عقد أول قرض اقترضته مصر من أوروبا ،<sup>(١)</sup> »

وقال في معرض المقارنة بينه وبين محمد علي وإبراهيم :

« لقد استطاع محمد علي وابنه الأكبر إبراهيم أن ينهضا بالبلاد ويجهدا في سبيل استقلالها ، ذلك الجهاد الذي كلل بالنصر ، دون أن يكون ليهما من الموارد المالية سوى اميزانية لا تتجاوز خمسين مليون فرنك ، »

ذلك ما يقوله أوروبى خبير ، لا يمكن أن يرمى بالتحامل على بلاده ، فهو يصارحنا في كتابه بان الاستدانة من أوروبا كان عملا تعسا

عقد سعيد أول قرض ثابت سنة ١٨٦٢ ، ومقداره الاسمي ٣٠٢٤٢٠٠٠ جنيه انجليزي من بنك فروهلنج وجوشن بلندن بفائدة ٧ في المائة ، أما قيمته الحقيقية فكانت ٢٠٠٠٠٠٠ ر. ٢٤٠٠٠٠ جنيه تقريبا ، أى ان مصر خسرت من رأس ماله ٠٠٠٠٠٠ ر. ٨٠٠٠٠٠ جنيه وزيادة ، وتعهدت بوفاء هذا الدين على ثلاثين سنة ، قيمة القسط السنوى من رأس مال وفوائد ٢٦٤٠٠٠ جنيه ، أى ان مجموع الأقساط ٧٩٢٠٠٠٠ ر. ٧٩٢٠٠٠٠ جنيه ، في حين ان أصل الدين

(١) تاريخ مصر المالي ص ١

٢٤٠٠٠٠٠٠ جنيه ، وعدا هذا القرض الثابت فانه ابتدع طريقة السندات على الخزانة وهي أن يستدين من المرابين ديونا سائرة بواسطة سندات يحررها على الخزانة بالقيمة المقترضة ، وتلك وسيلة خطيرة على مالية البلاد ، لأنها استدانة لا ضابط لها ولا حساب ، ولا رقابة عليها ، فاذا اندفعت الحكومة في سبيلها تورطت في الديون المعروفة بالديون السائرة ، دون أن تلتفت إلى الخطر الذي ينجم عن الاستزادة منها

وقد اختلفت الآراء في إحصاء الدين السائر الذي استدانه سعيد باشا ، وكلها متفقة على انه كان متلافا للنقود ، لكثرة نفقاته على قصوره ، ومعيشته الخاصة ، وطمع المرابين فيه لما جبل عليه من السخاء وعدم التدقيق في حسابه

وإذا أخذنا بإحصاء مؤلف (تاريخ مصر المالي) الذي عرف عنه الاعتدال في كتابته كان الدين العام الذي تركه سعيد حين وفاته ١١٦٠٠٠٠٠٠ جنيه<sup>(١)</sup> ، فاذا استبعدنا منه الدين الثابت بلغت الديون السائرة ٧٨٦٨٠٠٠٠٠ تقريبا ، وهو مبلغ فادح تنوء به مالية البلاد في ذلك العصر

ولو سلم عهد سعيد من القروض الأجنبية ، ولم يمنح امتياز القناة ، لكان محتملا أن تتغير المصائر وتبديل النتائج في تاريخنا القومي

### وفاة سعيد باشا

١٨ يناير سنة ١٨٦٣

ذهب سعيد باشا إلى أوروبا ليستشفى من مرض عضال أصابه ، ولم ينجع فيه دواء ، فرجع إلى الاسكندرية في أواخر سنة ١٨٦٢ ، والداء قد استعصى علاجه ، فما زال يشتد به ويهد من قواه حتى أدركته منيته في صبيحة ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ (٢٧ رجب سنة ١٢٧٩) وله من العمر ٤٢ سنة ، وكانت مدة حكمه ثمان سنوات وتسعة أشهر وستة أيام<sup>(٢)</sup> ، ودفن بالاسكندرية بمسجد النبي دانيال ، ولا يزال قبره هناك

(١) تاريخ مصر المالي ص ١٢

(٢) عن التوفيقات الالهامية للواء المصري محمد مختار باشا ص ٦٤ ، وهذا التاريخ (١٨ يناير)

يوافق ما ذكره المسيو دلسيس في وثائق القناة ج ٤ ص ٢٧٦

## الفصل الثالث

### عصر الخديوى اسماعيل

١٨٦٣ - ١٨٧٩

نظرة عامة

ان عصر الخديوى اسماعيل هو فى مجموعته صورة لتاريخ مصر القومى والسياسى والاقتصادى فى إبان النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، إلى مقدمات الثورة العرابية ، واذا أردنا ان نصفه بكلمة عامة ، فهو كما قلنا فى مقدمة الكتاب عصر له أثره النافع كما له أثره الضار فى تطور الحركة القومية ، ذلك لما تفتحت فيه من آمال ، وما قام فيه من حضارة وعمران ، وما تخلله واقرن به من أخطاء وأرزاء أفضت إلى تدخل الدول الاجنبية فى شؤون مصر ، وتصدّع لها بناء الاستقلال المالى ثم السياسى

بهذه الكلمة الوجيزة ، يمكننا ان نلخص عصر اسماعيل ، فهو يمثل من ناحية عهد تقدم وعمران ، ويعد من ناحية أخرى عهد القروض المشؤومة والاغلاط المتلاحقة التى عصفت باستقلال البلاد

واذا كانت مصر تشعر إلى اليوم بنتائج النهضة التى قامت فى ذلك العصر ، وتلبس آثارها بيديها ، فانها أيضا تعانى الى اليوم نتائج الأرزاء والأحداث التى وقعت فيه ، وتدفع ثمنها غالبا ، من مالها ، وحقوقها ، وحريتها ، واستقلالها

ويعد هذا العصر أقرب العصور صلة بالعصر الحاضر ، لأن معظم القيود والنظم التى حلت بمصر على عهده لا تزال قائمة إلى اليوم (١٩٣٢) ، فالتشريع المختلط ، وتغلغل الأجانب فى مرافق البلاد ، والديون التى كبّلت البلاد حكومة وشعباً ، والتدخل الأجنبى فى شؤون مصر المالية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع الى عصر اسماعيل



اسماعيل باشا

خديو مصر

من سنة ١٨٦٣ إلى ١٨٧٩

### نشأة اسماعيل

هو اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ، وهو ثاني أنجال ابراهيم باشا ، من والده غير والدتي أخويه الأميرين احمد رفعت ومصطفى فاضل ولد في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠ ، في قصر المسافر خانة بالقاهرة ( بالجمالية ) ، وعنى أبوه بتربيته ، فتعلم مبادئ العلوم ، واللغات العربية والتركية والفارسية ، وقليلاً من الرياضيات والطبيعات ، وأرسله أبوه إلى فيينا عاصمة النمسا ، وهو بعد في الرابعة عشرة من عمره ، ليعالج بها من رمد صديدي أصابه ، ولتكمّل تربيته ، وقضى بها عامين ، ثم انتقل إلى باريس لينتظم في سلك البعثة المصرية الخامسة ، فانضم إلى تلاميذها ، وكان من بينهم الأمير احمد رفعت أخوه ، والأميران عبد الحلّيم وحسين من أنجال محمد علي ، ونال في باريس حظاً من العلوم الهندسية والرياضية والطبيعية ، وأتقن اللغة الفرنسية كتابةً وكلاماً ، وبهرته باريس وما فيها من جمال وروعة ، وغواية وفتنة ، ومن هنا نشأت ميوله الباريسية ، التي لازمتها طول حياته ، وجعلته بعد أن تولى الحكم يسعى في أن يجعل القاهرة باريساً ثانية ، ولو كلفه ذلك أن يمد يده إلى القروض التي ناءت بها البلاد ، وظاهر من مبلغ تعلمه أنه لم ينل من المعارف والثقافة في باريس أو في فيينا حظاً كبيراً ، بل اقتصر على مبادئ من العلوم ، ولم يستفد من مكثه بيايس إلا نصيباً قليلاً من العلوم الهندسية والحربية ، وأتقن اللغة الفرنسية التي كان يتكلمها كأحد أبنائها ، وكان له في ذكائه بعض العوض عما ينقصه من العلوم

عاد اسماعيل إلى مصر في عهد ولاية أبيه ابراهيم باشا ، ولما مات ابراهيم خلفه في الحكم عباس الأول ، وكان يحقد على عمه ويجفوه ، فلما تولى الحكم شعر اسماعيل وأخوته بكرهية عباس لهم ، ثم مات محمد علي ، واشتد الخصام بين عباس وبقية الأمراء على تقسيم ميراث جده ، وارتحل اسماعيل وبعض الأمراء إلى الاستانة ، وعينه السلطان عبد المجيد عضواً بمجلس أحكام الدولة العثمانية ، وانعم عليه بالباشوية ؛ ولم يعد إلى مصر إلا بعد مقتل عباس في أثناء حكم سعيد ، ولما عاد من الاستانة لقي من عمه سعيد باشا عطفاً كبيراً ، وعهد إليه برأسة ( مجلس الأحكام ) الذي كان أكبر هيئة قضائية في البلاد ، وأوفده سنة ١٨٥٥ في مهمة سياسية لدى الامبراطور نابليون الثالث تتعلق بسعي سعيد لدى الدول في توسيع نطاق استقلال مصر ، بعد اشتراكها مع الحلفاء في حرب القرم ،

فأدى اسماعيل هذه المهمة بما امتاز به من ذكاء ولباقة ، ووعده نابليون الثالث بتأييد مقترحه في مؤتمر الصلح بباريس ، ولما لم يحقق وعده ، وكذلك قابل البابا (بيو التاسع) في رحلته موفداً من قبل سعيد ، فأكرم الخبر الروماني مشواه ، ثم عاد الى مصر

ولم يكن اسماعيل يفكر أثناء حكم سعيد باشا في أن يؤول اليه العرش من بعده ، إذ كان يحجبه عنه أخوه الأكبر الأمير احمد رفعت ، ولما حدثت جثاينا ساقته الأقدار سنة ١٨٥٨ أزال العقبه القائمة في سبيله ليكون ولياً للعهد ، ذلك أن سعيد باشا أقام بالاسكندرية حفلة دعا اليها أمراء البيت العلوي ، فلبوا الدعوة ، ومن بينهم احمد رفعت ، أما اسماعيل فقد اعتذر عن اجابتها لوعك في صحته ، وفيما كان الأميران عبدالحليم و احمد رفعت عائدين الى القاهرة بقطار خاص مع حاشيتهما ، سقطت العربه التي تقلهما في النيل عند كفر الزيات ، فغرق احمد رفعت ، ونجا عبد الحليم ، فأصبح اسماعيل بعد غرق أخيه ولي عهد الأريكة المصرية بحكم نظام الوراثة القديم

وقد مر ن اسماعيل على بعض مناصب الدولة ، وهو بعد ولي للعهد ، فاستخلفه سعيد مرتين ، وجعله نائباً عنه (قائم مقام) أثناء غيبته عن مصر ، المرة الأولى حينما زار سوريا سنة ١٨٥٩ ، والمرة الثانية حينما ذهب الى الحجاز لزيارة المدينة المنورة في أوائل سنة ١٨٦١ وكان سعيد يبدى لابن أخيه ارتياحه من الطريقة التي أدى بها أعمال النيابة عنه ، ولما عاد للمرة الثانية الى مصر جعله سرداراً للجيش المصرى ، وعهد اليه اخماد فتنة بعض القبائل في السودان ، فاضطلع بهذه المهمة دون أن يسفك فيها قطرة من الدماء ولما أدركت سعيد ، الوفاة خلفه على عرش مصر في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣

## سياسة مصر الخارجية

### في عهد اسماعيل

بدأ بالكلام عن سياسة مصر الخارجية ، لأنها كانت ذات الأثر الفعال في شؤونها الداخلية ، ولعل ذلك ناشئ عن أن اسماعيل كان يضع السياسة الخارجية والخطط المرتبطة بها في المكان الأول من الأهمية ، وتليها المسائل الداخلية

فلنبحث إذن عن سياسة مصر الخارجية ، ولهذه السياسة وجهان ، أولها علاقة مصر  
بتركيا ، والثاني علاقتها بالدول الأوروبية

ففيما يتعلق بتركيا كانت الخطة التي رسمتها اسماعيل هي توسيع نطاق استقلال  
مصر ، وكسب أكثر ما يمكن من الحقوق والمزايا من الحكومة العثمانية ، حتى يصل  
بالبلاد الى الاستقلال التام

ولا شك أن هذه نزعة ممدوحة ، تعد من مفاخر اسماعيل ، فإن الوصول بالبلاد الى  
استقلالها التام هي الغاية التي ترمي اليها الحركة القومية

أما فيما يخص علاقات مصر بالدول الأوروبية ، فقد كان اسماعيل يصدر عن فكرة  
أخرى ، تنافي فكرته في علاقته بتركيا ، فبينما هو يعمل على تحرير البلاد من بقايا السيادة  
التركية ، إذ هو لا يفادي مصر من النير الاجنبي المالى والسياسى ، بل كان يتسبب في  
تطويقها بسلاسل التدخل الاوروبى ، بحيث لم يوشك عهده أن يقارب نهايته ، حتى  
تصدع بناء الاستقلال المالى والسياسى الذى كسبته مصر فى عصر محمد على

ولو أنه بذل فى سبيل بقاء البلاد حرة من اخطار التدخل الاجنبي جزءا ولو يسيرا  
بما كان يبذله للانفصال عن تركيا ، لحقق مشروع الاستقلال التام لمصر والسودان ،  
ولاقترب اسمه فى التاريخ بهذا المشروع القومى العظيم ، ولكنه كان لا يحسب حسابا  
للتدخل الأوروبى ، وما ينطوى عليه من المطامع التى تهدم كيان الاستقلال ، وهذا الخطأ  
الجسيم ، فى سياسة اسماعيل الخارجية ، ناشئ عن نزعة الأوروبية ، فإن هذه النزعة  
جعلته يثق بأوروبا ، والدول الأوروبية ، والجاليات الأوروبية ، ثقة عمياء ، ويركن اليها ،  
ويعتقد فيها حسن النية ، ولا يفطن لمطامعها الاستعمارية ، ففتح أبواب البلاد على مصراعها  
للتدخل الأجنبي ، وسمح للأوروبيين أن يتغلغلوا فى مرافقها ، ويتولوا المناصب والمراكز  
الرفيعة فى حكومتها ، وبلغت به الثقة فى سلامة نيتهم حدا جعله يقترض القروض  
الجسيمة بلا حساب من المرابين والبيوت المالية الاجنبية ، حتى صار للجانب فى عهده  
نفوذ مالى وسياسى لم يكن لهم من قبل ، وانقلب هذا النفوذ الى حقوق ومزايم  
ادعوها ، وما لبثوا أن نالوها ، بإنشاء صندوق الدين ، وفرض الرقابة الثنائية على مالية  
البلاد ، وتعيين وزيرين أجنيين فى الوزارة المصرية ، كما سيحىء بيانه

فسياسة اسماعيل الخارجية حيال الدول الأوروبية كانت اذن سياسة خاطئة ، أوقعت مصر تحت النير الأجنبي المالى والسياسى ، مما نشعر بنتأجه السيئة الى اليوم (١٩٣٢)  
هذه كلمة اجمالية عن سياسة اسماعيل الخارجية ، حيال تركيا والدول الأوروبية ، نهد بها الى بيان هذه السياسة تفصيلا فيما يلي

## (١) سياسة اسماعيل حيال تركيا

### العلاقات الودية

جول اسماعيل نصب عينيه تحرير مصر من قيود السيادة التركية التى فرضتها عليها معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وفرمانات سنة ١٨٤١<sup>(١)</sup> ، أى أنه أكمل العمل الذى بدأه محمد على ، ولكن الفرق بينه وبين جده أن محمد على كسب لمصر حقوق الاستقلال بقوة الجيش المصرى ، أما اسماعيل فقد اعتمد على سلاح المال والرشوة يبذلها لرجال الاستانة ، ليحصل على الفرمانات التى وسع بها نطاق الاستقلال

وليس يخفى أن وسيلة محمد على هى صفحة مجيدة من تاريخ مصر الحديث ، تقرأ فيها الأجيال للمتعاقبة مفاخر الجهاد القومى ، أما وسيلة اسماعيل فلا تستثير فى النفوس إحساس المجد والفخار ، هذا فضلا عن أنها من الأسباب التى دعت اسماعيل إلى الاستدانة من البيوت المالية الأجنبية ، فكانت من هذه الناحية ، من العوامل التى أدت إلى تصدع بناء الاستقلال الحقيقى ، وقد بذل اسماعيل تضحيات مالية جسيمة فى سبيل الحصول على الامتيازات التى نالها ، إذ لم تكن حكومة الاستانة تصدر فرمانا إلا فى مقابل الأموال الطائلة من الرشا والهدايا ، يقدمها اسماعيل لرجال الاستانة ، على اختلاف مراتبهم ، ولا يستثنى منهم السلطان ذاته ، والصدور العظام ، فبلغت هذه الأموال طوال حكمه نحو اثنى عشر مليوناً من الجنيهات

بدأ اسماعيل حكمه بالتودد إلى السلطان عبد العزيز ، ورجال حكومته ، فلما تولى

(١) راجع (عصر محمد على) ص ٣١٠ وما بعدها



الأريكة المصرية ذهب إلى الاستانة ليقدم له فروض الولاء ، وانتهز هذه الزيارة لإحكام روابط الود بينه وبين تركيا ، وتودد إلى السلطان عبد العزيز ، ودعاه إلى زيارة مصر ، فوعده بقبول الدعوة

## زيارة السلطان عبد العزيز لمصر

ابريل سنة ١٨٦٣

بر عبد العزيز بوعده ، فجاء مصر في شهر ابريل سنة ١٨٦٣ م ( شوال سنة ١٢٧٩ هـ ) ، ونزل بالاسكندرية ، ثم ذهب إلى القاهرة ، وقضى في ضيافة اسماعيل عشرة أيام ، لقي فيها من مظاهر الإكرام والحفاوة البالغة ما جعل لاسماعيل منزلة كبيرة عنده ولا غرو فقد كان عبد العزيز هو السلطان العثماني الوحيد الذي جاء مصر زائراً ، بعد السلطان سليم الذي دخلها فاتحاً ، فكانت هذه الزيارة تسكريما كبيراً لاسماعيل ، وتعظيماً لشأنه

واغتتم هذه الفرصة ، فاستغل المنزلة التي نالها ليكسب من تركيا حقوقاً ومزايا جديدة ، واستخدم إلى جانب ذلك المال يبذله بسخاء ، فغمر السلطان وحاشيته بالهدايا والتحف الفاخرة ، حتى ملأها سفينة بأكملها ، وزود الصدر الأعظم فؤاد باشا وحده بستين ألفاً من الجنيهات رشوة ليتخذ منه عوناً له في مساعيه لدى الحكومة التركية ، وعاد عبد العزيز من زيارته مغتبطاً بما لقيه من الإكرام ، ومهدت هذه الزيارة الطريق أمام اسماعيل لينال رغائبه

## تغيير نظام توارث العرش

وفرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦

أول ماوجه إليه اسماعيل جهده ، هو العمل على تغيير نظام توارث العرش ، فقد كان النظام القديم الذي فرضه فرمان سنة ١٨٤١ يقضى بأن يؤول عرش مصر إلى أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً ، كالنظام المتبع في تركيا

فسعى اسماعيل جهده في أن يؤول العرش إلى أكبر أنجاله ، ونجح في مسعاه ، بفضل المثابرة ، والدأب على الطلب ، وبفضل الأموال الطائلة التي بذلها في الاستانة ، وقد بلغت ثلاثة ملايين من الجنيهات ، فكان هذا السعى من الأسباب الأولى لديون اسماعيل ، وليس ثمة شك في أن هذه التضحية المالية لا توازيها الفائدة التي نالتها مصر من هذا التغيير ، لأن طريقة توارث العرش ليست مسألة جوهرية تمه البلاد حتى تبذل في سبيلها هذه الملايين ، هذا إلى أنها كلفت مصر تضحية مالية أخرى ، ذلك أن تركيا اشترطت مقابل هذا التغيير زيادة الجزية السنوية من ٤٠٠ الف جنيه عماني ، إلى ٧٥٠ الف ، أى إلى ما يقرب من الضعف ، وهي زيادة فادحة ، تحملتها مصر باستمرار من ذلك الحين إلى الوقت الحاضر ، فبلغت نيفا وخمسة عشر مليون جنيه مصرى لغاية سنة ١٩١٤ ، وهي السنة التي زالت فيها السيادة العثمانية عن مصر ، واحتملتها بعد زوال هذه السيادة ، لأن الحكومة الخديوية قبلت تحويل الجزية إلى دائتي تركيا ، وتعهدت بدفع أقساط ديونهم السنوية خصما من الجزية لغاية سنة ١٩٥٥ ، فإذا حسبنا خسارة مصر في زيادة الجزية من سنة ١٨٦٦ لغاية سنة ١٩٥٥ ، ابلغت نيفا وخمسة وعشرين مليون جنيه مصرى ، عدا فوائدها ، وهي خسارة جسيمة لا مبرر ولا مسوغ لها

ومن الإسراف في القول ما يزعمه بعض المؤرخين أن اسماعيل قصد بسعيه في هذه المسألة مصلحة البلاد ، وأغلب الظن أن الباعث له على هذا التغيير هو ما كان بينه وبين أخيه من أبيه مصطفى فاضل وعمه عبد الحلیم من الشقاق والشحناء ، ولم يكن اسماعيل يخفى كرهه لها وحقده عليهما ، وكان الأميران أيضا لا يكتمان من ناحيتهما كراهيتهما لاسماعيل ، ومن أجل ذلك سعى في حرمانهما من وراثة العرش وجعلها في ذريته من صلبه

وقد اغتتم حكام تركيا وذوو النفوذ فيها فرصة هذا التناس ، ليهتروا من أموال مصر ما تصل إليه أيديهم ، فقد بذل الأميران عبد الحلیم ومصطفى فاضل أموالا طائلة في الاستانة ، لإحباط مساعي اسماعيل ، فاستفادت من الناحيتين ، ولسكن اسماعيل كان أكثر مالا ، وأعز جانبا ، فنجح في مسعاه ، وهكذا كان للبال الأثر الفعال في نفوس حكام الاستانة

وساعد اسماعيل في نجاح مسعاه عامل آخر غير المال ، وهو أن عبد العزيز سلطان تركيا وقتئذ كان يميل أيضا الى تغيير نظام توارث العرش ، ويتمنى أن يؤول عرش تركيا من بعده الى ابنه يوسف عز الدين ، فأيد اسماعيل في مسعاه ، كي يمهّد السبيل لنفسه ، ولسكنه لم يستطع أن يقدم على هذا التغيير ، لما فيه من الخروج على التقاليد الموروثة عن آل عثمان

كانت نتيجة مساعي اسماعيل صدور فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ ( ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ ) القاضي بانتقال مسند ولاية مصر وملحقاتها وقائم مقاميتي سواكن ومصوع الى أكبر أولاده ، ومن هذا الى أكبر ابنائه ، وهلم جرا

ونص في هذا فرمان على امكان زيادة الجيش المصرى الى ثلاثين الف جندى ، وكان في الواقع يزيد على هذا العدد من قبل ، وإقرار حقها في ضرب نقود مختلفة العيار عن نقود السلطنة العثمانية ، ومنح الرتب المدنية لغاية الرتبة الثانية<sup>(١)</sup>

واستتبع هذا فرمان صدور فرمان آخر في ٢ صفر سنة ١٢٨٣ ( ١٥ يونيه سنة ١٨٦٦ )<sup>(٢)</sup> ، بترتيب نظام للوصاية على من يتقلد مسند الولاية اذا كان قاصرا

وقد أبلغ الباب العالم فرمان السابق الى الدول العظمى التي اشتركت في إبرام معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، مما جعل له صفة المعاهدة التي تربط تركيا دوليا إزاء مصر ، بحيث لا تملك تعديله الا بموافقة مصر ، وخاصة لانه صدر مقابل زيادة في الجزية

قلنا إن هذا التغيير في نظام التوارث لا يعد مكسباً كبيراً لمصر ، حتى تبذل من أجله تلك التضحيات المالية الباهظة ، ولقد برهنت الحوادث على صحة هذا القول ، لأن النتيجة الأولى للنظام الجديد كانت أيلولة العرش الى الخديو توفيق ، أكبر أنجال اسماعيل ، ومعلوم أن توفيق باشا لم تسكن ولايته خيراً على البلاد ، وهو الذى اعتلى العرش حينما خلع أبوه ، ولم يظهر نحوه من الوفاء ما كان ينتظره الأب من ولده ، ومضى

(١) قاموس الادارة والقضاء لفيليب جلاد ج ٦ ص ٧٣٠

(٢) الوثائق الدولية للسلطنة العثمانية ( لنور ادنجيان افندى ج ٣ ص ٢٥٥ . وقاموس

اسماعيل سنوات النفي ، واحتمل غصصه وآلامه ، دون أن يلقى من ابنه عطفاً عليه في محنته ، وإذا اغضبنا النظر عن هذه الاعتبارات العائلية ، فلا يمكننا أن ننسى انه في عهد توفيق رزئت البلاد بالاحتلال الانجليزي ، وكان عليه جانب كبير من تبعه وقوعه ، فلو لم يتقرر نظام التوارث الجديد ، لكان جائزاً ان يخلف اسماعيل على العرش أمير أنفع للبلاد وأخلص لها من توفيق باشا

وقد كان صدور الفرمان بهذا التغيير سبباً لاتساع هوة الخلاف والنفور بين اسماعيل وأخيه مصطفى فاضل ، الذي كان ولياً للعهد طبقاً لنظام الوراثة القديم ، واستمر العداء بينهما طول الحياة ، وكذلك اشتدت الكراهية بينه وبين عمه الأمير عبد الحلیم بن محمد علي ، فانه كان يتطلع إلى الأريكة المصرية ، فجاء هذا الفرمان قاضياً على آماله

وأدت هذه الحالة الى اشتداد الدسائس بين الفريقين ، مما شغل اسماعيل وجعله يبذل جهوداً كبيرة وأموا لا طائلة في سبيل إضعاف مركز منافسيه ، ولو بذلت هذه الجهود والأموال في سبيل مصلحة البلاد لكان ذلك خيراً وأولى

وأفضت هذه الكراهية ، وما استتبعها من الوشائات والمؤامرات ، الى رحيل الأميرين المذكورين واسرتيهما من مصر ، واتخاذهما الاستانة وأوروبا مقراً لهما ، ونقم الأمير مصطفى فاضل على حكومة السلطان عبد العزيز لتغييرها نظام توارث الأريكة المصرية ، وعلم بما بذله اسماعيل في هذا السبيل من الأموال الطائلة ، فانضم الى أحرار تركيا الناقمين على الحكم الاستبدادي فيها ، والذين كانوا يعملون على قلب نظام الحكم والتخلص من استبداد السلاطين ، وعاونهم بنفوذه وماله ، ومن هنا جاءت تسميته بأبي الأحرار في تركيا

أما عبد الحلیم ، فقد نفاه اسماعيل من مصر إثر اكتشاف مكيدة لاغتياله ، قيل ان الأمير دبرها ، فاتخذ اسماعيل هذه الرواية ذريعة للتخلص منه ، فقرر نفيه

فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧

والحصول على لقب خديو

واستمرت العلاقات الودية بين مصر و تركيا ، وظل اسماعيل يبذل المال بسخاء على

ضغاف البوسنمور ، فحصل في ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ ( ٥ صفر سنة ١٢٨٤ ) على فرمان جديد ، يخوله وخلفاءه لقب (خديو) ، بعد ان كان ( واليا ) ، فارتقى صاحب العرش بهذا اللقب السامى الى مرتبة تقرب من مراتب الملوك والسلاطين ، وأقر هذا فرمان حق الحكومة المصرية واستقلالها في ادارة شؤونها الداخلية والمالية ، وحقها في عقد المعاهدات الخاصة بالبريد والجمارك ومرور البضائع والركاب في داخلية البلاد ، وشؤون الضبط للجانبات الاجنبية (١)

## فتور العلاقات ثم الجفاء

### بين مصر وتركيا

على أن علاقة مصر بتركيا ما لبثت ان اعترها الفتور والجفاء ، ثم الخصام والعداء ، ويرجع السبب الجوهرى في هذا التحول الى رغبة اسماعيل في الانفصال عن تركيا ، والظهور بمظهر العاهل المستقل

ذكر محمود باشا فهمى في كتابه ( البحر الزاخر ج ١ ص ١٩٩ ) انه في خلال حملة كريت ( التى سيرد الكلام عنها ) طلب اسماعيل من الباب العالى ان يخوله حق تعيين سفراء لمصر لدى الدول الاجنبية ، فرأى الباب العالى ان مقصده الاستقلال والانفصال عن تركيا ، فرفض طلبه ، وكان من نتائج الرفض ان غضب اسماعيل ، وتهدد الحكومة التركية بسحب جنوده من جزيرة كريت ، أو يستحوذ على الجزيرة اذا لم تجب طلباته

وذكر اسماعيل باشا سرهنك في كتابه ( حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٤١ ) ما يدل على اشتداد الجفاء بين اسماعيل وتركيا خلال حملة كريت ، مما يؤيد رواية محمود باشا فهمى ، وكلاهما معاصر لهذه الحوادث ، قال انه لما وقع هذا الخلاف أوعز الخديو الى شاهين باشا قائد الجيش المصرى في حملة كريت أن يعمل على ترغيب سكان الجزيرة في الانضمام لمصر ، فأخذ هذا يتوعد الى زعماء الجزيرة ، ويجتذبهم بالمال والهدايا ، فلما علمت الحكومة التركية بذلك طلبت الى الخديو عزل شاهين باشا من قيادة الجيش المصرى

(١) قاموس جلاذ ج ٦ ص ٧٣٢

في كريت ، فاضطر إلى استدعائه ، وجعل مكانه قائداً آخر هو الفريق اسماعيل سليم باشا وزير الحرية وقتئذ

وقد تعددت الحوادث والمظاهر التي تدل على سعي اسماعيل للانفصال عن تركيا فن ذلك مفاوضته الدول الأوروبية رأساً في صدد إنشاء النظام القضائي المختلط ، دون وساطة الباب العالي ، واشترাকে في معرض باريس العام سنة ١٨٦٧ ، وظهوره فيه بمظهر الملك المستقل ، وإقامته به قسماً خاصاً لمصر جمع فيه صنوف البهجة والعظمة ليكون جديراً بتمثيل مملكة مستقلة ، ثم توصيته بالمعامل الفرنسية على صنع ثلاث بوارج حربية مصفحة ، وعدة آلاف من البنادق الحديثة الطراز ، لتسليح الجيش المصري ، مما جعل الحكومة التركية تتوجس خيفة من مقاصد اسماعيل ، وتتوقع أن يستعد ويتأهب لإعلان الاستقلال التام

واستفاضت الأنباء بأن تركيا عازمة على إرسال جيوشها إلى مصر بعد إخماد ثورة كريت ، وخشى اسماعيل أن تنفذ تركيا يوماً وعيدها ، فاستعد للدفاع والحرب ، وأنشأ حصوناً جديدة بين الاسكندرية وبور سعيد ، ورمم الحصون القديمة ، وابتاع من معمل ارمسترنج بانجلترا نحو مائتي مدفع من المدافع الضخمة ، سلح بها تلك القلاع ، ويلاحظ أن كثيراً من هذه المدافع باقية إلى اليوم في حصون الاسكندرية وأبو قير ودمياط ورأس البر ، وقد علاها الصدا من الإهمال وتوالي السنين ، وعلى أكثرها تاريخ السنة التي أنشئت فيها وهي سنة ١٨٦٩ ، أي السنة التي اشتد فيها الخلاف بين مصر وتركيا

وازدادت العلاقات فتوراً بين البلدين لدعوة اسماعيل ملوك أوروبا ورؤساء حكوماتها إلى حضور حفلات افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، دون وساطة تركيا ، فاعتبر السلطان هذه الدعوة إغفالاً لواجب الولاء نحوه ، واحتج لدى الدول على مسلك الخديو ، فلم يكثر اسماعيل لهذا الاحتجاج ، واستمر ماضياً في دعوته ، وأقام حفلات القناة برأسته ، وحضرها ملوك أوروبا وأمراؤها

وكان معترفاً بإعلان استقلال مصر التام في تلك الحفلات ، ولكن الحكومات الأوروبية لم تسأله في غرضه ، ونصحته أن يعدل عن عزمه ، وانتهت حفلات القناة والجفاء مستحكماً بين اسماعيل والباب العالي

## فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩

وما فيه من القيود

كان من نتائج هذا الجفاء صدور فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ (٢٤ شعبان سنة ١٢٨٦) ،  
حملة رسول من الباب العالى إلى مصر عقب انقضاء حفلات القناة ، فجاء صدمة لآمال  
اسماعيل ، إذ بينما هو يأمل لمناسبة تلك الحفلات أن يصل إلى الاستقلال التام ، كانت  
النتيجة صدور فرمان ينتقص من سلطته

قيد السلطان بهذا فرمان حقوق الخديو ، فنص فيه على أنه لا يجوز له أن يقترض  
قروضا جديدة دون أن يبين وجه الحاجة إليها ، ويحصل على إذن من السلطان بعقدها<sup>(١)</sup> ،  
وكان السبب الظاهر لهذا التقييد غيرة الباب العالى على مصالح مصر ، واستيائه من تورط  
اسماعيل فى الديون الباهظة التى استدانها

وفى الحق أن اسماعيل كان فى حاجة الى من يغل يده عن الإسراف فى الاستدانة ،  
ويقيده فى تصرفاته المالية ، وحبذا لو أن هذا القيد جاء من ناحية الأمة ، أو بعبارة  
أخرى من ناحية مجلس شورى النواب ، الذى كان ينعقد كل عام ، على أننا لانتقد أن  
الباب العالى كان يقصد الى مصلحة مصر فى تقييد اسماعيل بهذا القيد ، بل أغلب الظن أنه  
كان يرمى الى استرداد حقوق جديدة لى يكيد للخديو ويسمى اليه  
وقد استاء الخديو من هذا فرمان ، ولم يعقد احتفالا حافلا لتلاوته بالأبهة المعتادة ،  
بل قرىء فى قصر النيل دون جلبة ولا إعلان

## تحسين العلاقات

فرمان سبتمبر سنة ١٨٧٢

على أن اسماعيل أخذ يسعى فى تحسين علاقته بتركيا ، لما رأى أنه فى حاجة الى

---

(١) راجع نص فرمان فى القاموس العام للإدارة والقضاء لفيليب جلاذ ج ٦ ص ٧٣٣

عضدها ، بعد أن خذلتها الدول الأوروبية ، واشتدت ورطته المالية ، فقصده الى الاستانة في صيف سنة ١٨٧٢ يصحبه اسماعيل صديق باشا وزير المالية ، ونوبار باشا وزير الخارجية ، ليسعوا في إعادة المياه الى مجاريها ، وبذلوا هناك ما بذلوا من مظاهر الولاء ، ومن المال والرشا والهدايا ، حتى عادت علاقات الود بين الخديو والحكومة التركية

فنال في سنة واحدة فرمانا في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢ ( ٧ رجب سنة ١٢٨٩ ) يثبت الامتيازات السابق منحه اياها ، وينسخ القيود الواردة في فرمان سنة ١٨٦٩ ، وخطأ شريفاً في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ ( ٢٢ رجب سنة ١٢٨٩ ) يؤكد فيه مزايها فرمان ١٠ سبتمبر ، ويخوله صراحة حق الاستدانة من الخارج دون شرط ولا قيد

وقد ابتهج الخديو ابتهاجاً عظيماً لورود الفرمان والخط الشريف الى مصر يحملهما كبير كتاب المايين ، وعقد لتلاوتهما احتفالاً فخماً في ديوان الغورى بالقلعة وقرناً بحضور المدعويين ، وأطلقت المدافع ايذاناً بهذا النصر المبين ، ونشر نصهما في الجريدة الرسمية (١)

وكان من نتائج صدور الفرمان والخط الشريف المذكورين عقد قرض سنة ١٨٧٣ ذلك القرض المشؤوم الذي كان طامة كبرى على البلاد كما سنبينه فيما يلي

### الفرمان الجامح ( ٨ يوزيه سنة ١٨٧٣ )

لم يسكتف الخديو اسماعيل بهذا الفرمان ، بل أراد أن يحصل على فرمان جامع للزاي التي نالتها مصر منذ تولية محمد علي حكم مصر بطريق التوارث الى ذلك العهد ، فقصده الى الاستانة في صيف سنة ١٨٧٣ متذرعاً بالأموال يرشو بها رجال الحكومة التركية ، وصحبه في رحلته جمع من أركان حكومته وبطانته كنوبار باشا وزير الخارجية ، واسماعيل صديق وزير الداخلية ، ورياض باشا مستشار مجلس الوزراء (المجلس الخصوصي العالي) وغيرهم ، وما زال يسعى حتى نال الفرمان المؤرخ ٨ يوزيه سنة ١٨٧٣ ( ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ ) (٢) ، وهو الفرمان الجامع الذي ثبت المزاي الواردة في الفرمانات القديمة والحديثة ، وتتلخص هذه المزاي في الحقوق الآتية :

(١) الوقائع المصرية عدد ٤٨٠ الصادر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧٢

(٢) الوثائق الدولية للسلطنة العثمانية لنور ادنچيان افندي ج ٣ ص ٢٤٧



- (١) توارث عرش مصر في أكبر انجال الخديو ، ومن بعده إلى أكبر أولاد هذا الأكبر وهلم جرا
- (٢) تشمل أملاك الخديوية المصرية مصر وملحقاتها (السودان) الجارية إدارتها بمعرفة مع ماصار إلحاقه بها من قائممقامتي سواكن ومصوع وملحقاتهما
- (٣) حق الحكومة المصرية في سن القوانين والنظامات الداخلية على اختلاف أنواعها
- (٤) حق عقد الاتفاقات الجمركية والمعاهدات التجارية
- (٥) حق الاقتراض من الخارج من غير استئذان من الحكومة التركية
- (٦) زيادة الجيش إلى أي عدد يبتغيه الخديو
- (٧) حق بناء السفن الحربية ماعدا المدرعات التي يجب لانشاءها استئذان الحكومة التركية
- وصفوة القول أن هذا الفرمان الجامع قد ثبت لمصر حقوقها الكاملة في الاستقلال التام ، فيما عدا دفع الجزية السنوية ، وقدرها ٧٥٠ ألف جنيه عثماني ، وعدم عقسد المعاهدات السياسية ، وحق التمثيل الخارجي ، وعدم صنع المدرعات الحربية وقد نشر هذا الفرمان في العدد ٥١٧ من (الوقائع المصرية) الصادر في ١٧ يولييه سنة ١٨٧٣

### عود الجفاء

على أن هذه الفرمانات لم تصل إلى إحلال الوثام بين مصر وتركيا محل الجفاء والخصام ، بل على الرغم من الظواهر ، فإن تركيا كانت لا تخلص النية نحو مصر ، كما أن اسماعيل كان يسيء بها الظن ويعتقد بحق أنها لا تتردد في استرداد الامتيازات التي نالتها مصر إذا استطاعت إلى ذلك سيلا

وبدا سوء نية تركيا نحو مصر من ممالاتها الدول الأوروبية في خلافها مع الخديو اسماعيل ، ذلك الخلاف الذي أدى إلى خلعه ، كما سنبينه في موضعه ، فإن مطالب الحكومات الأوروبية في هذا الخلاف كانت مطالب جائرة لا يقرها عدل ، ولا يسوغها منطق ، وظهر فيها الافتيات الصارخ على حقوق مصر ، وانهاز الدول الارتباك المالى لتحقيق أطماعها الاستعمارية ، وبالرغم من ذلك لم يتردد الباب العالي في الانضمام إلى

الدول الأوروبية ، والنزول على إرادتها ، ولم يكند يتبين رغبتها في التخلص من اسماعيل حتى بادره برسالته التلغرافية القاضية بخلعه من منصب الخديوية ، وتعيين نجله توفيق باشا خلفا له ، ولم يكن هذا العمل لصالح مصر ، ولا لصالح تركيا أيضا ، بل كان تمسكينا للنفوذ الأجنبي في مصر ، ولسكن تحبب السياسة التركية وسوء نيتها نحو مصر جعلها تستجيب لمطالب الدول ، وتلك أول مرة خلع فيها ولي الأمر في مصر على عهد الأسرة العلوية برغبة الحكومات الأوروبية ، وبمالة الحكومة التركية ، وفي ذلك أعظم افتيات على حقوق مصر واستقلالها

(٢)

### سياسة اسماعيل حيال الدول الأوروبية

كانت القاعدة العامة لسياسة اسماعيل الخارجية الركون إلى الدول الأوروبية ، وحسن الظن بها ، والعمل على كسب رضاها ، وهذا من غلطاته السياسية ، لأنه من المعلوم أن الدول والجاليات الأوروبية على اختلاف أجناسها ، إنما ترمى إلى تحقيق أطماعها الاستعمارية في بلاد الشرق قاطبة ، ومصر في طليعتها وتلك لعمرى حقيقة يعترف بها الأوروبيون المنصفون ، فقد كتب المسيون ( فان بملن ) Van Bellen وهو قاض هولندي تولى القضاء في المحاكم المختلطة على عهد اسماعيل يقول في هذا الصدد :

« إن علاقات الحكومات الأوروبية بمصر لم تقم إلا على قاعدة تحقيق مصالحها ومصالح رعاياها ، وان سياستها المبنية على الأثرة والأنانية لم يتخللها أى شعور بالعطف أو بالرأفة أو بالواجب نحو مصر ، ومعظم الأوروبيين الذين جاءوا إلى هذه البلاد كانوا من أحط الطبقات ، ولم يكن همهم إلا الإثراء على حساب البلاد ،<sup>(١)</sup>»

هكذا ما يقوله قاض أوروبى عادل مثقف سبر غور الأمور في مصر ، وتلك هى الحقيقة التى يطالعاها فى كتابه ، ولسكن الخديو اسماعيل لم يفتن الى تلك الحقائق

(١) مصر وأوروبا . للقاضى المختلط فان بملن ج ١ ص ١١٦

وهنا يبدو الفرق جلياً بين محمد علي و اسماعيل ، فمحمد علي كان يقبَس من التمدن الأوروبي وسائل النهضة والقوة والتقدم ، ويستعين بخبرة علماء أوروبا ومهندسيها ، ولسكنه في الوقت نفسه يحذر تدخل الأوروبيين حكومات و جاليات في شؤون البلاد . ولا يطمئن اليهم ، ولذلك بقيت البلاد في عهده سليمة من تدخل النفوذ الأوروبي ، سواء من الوجهة السياسية أو من الوجهة المالية والاقتصادية ، ويكفيك دليلاً على بعد نظره وحكمته أنه لم يقبل إنفاذ مشروع قناة السويس ، رغم إلحاح المالمين والسياسيين الأجانب عليه ، وكذلك لم يقبل أن يعهد الى شركة مالية انجليزية لإنشاء الخط الحديدي بين مصر والسويس ، ولم يمد يده الى الاقتراض من البيوت المالية الأجنبية ، كل ذلك لكي يصون البلاد من أخطار التدخل الأجنبي

لكن اسماعيل ، لزعته الأوروبية ، لم يحسب حساباً لهذا التدخل ، ولعله كان يتوهم حسن نية الدول الأوروبية نحوه ونحو مصر ، فما زال الوهم متسلطاً عليه حتى أدرك خطأه في آخر عهده ، إذ رأى الدول والجاليات الأوروبية ، التي طالما تودذ اليها ، وممكن لها من مرافق البلاد ، تضطره إلى بيع أملاكه وأملاك عائلته وفاء لديونه ، ورأى النفوذ الأوروبي يشل سلطته ، فحاول عبثاً أن يقاومه أو يضع له حداً ، ولسكن هذا النفوذ كان قد طغى واستفحل ، فلم يستطع له دفعا ، وانتهى الأمر بأن اقتلعت إرادة الدول الأوروبية عن الأريكة الحديدية

والآن نتكلم عن سياسة اسماعيل نحو الدولتين اللتين تنافستا على النفوذ والسلطة في مصر ، وهما فرنسا وانجلترا

### فرنسا

كانت السنوات الأولى من حكم اسماعيل هي الفترة التي أخذ فيها النفوذ الأجنبي يتغلغل في البلاد ، مالياً واقتصادياً ثم انقلب هذا النفوذ في أواخر عهده إلى سيطرة مالية وسياسية شديدة الوطأة

وكان لفرنسا بادي الأمر نفوذ أدبي كبير على اسماعيل ، وهذا يرجع أولاً ، إلى تربيته الفرنسية ، والسنوات التي قضاها في باريس ، ومعاشرته الطويلة للفرنسيين ، واتصاله

بهم ، وإتقانه لغتهم ، وميله الى تقليدهم في معيشتهم ، واقتباسه أساليبهم وعوائدهم ،  
فيما خلا فضيلة التدبير والاقتصاد التي اشتهروا بها ، والتي تعد من أعظم فضائلهم القومية  
وهناك عامل آخر ساعد على امتداد النفوذ الفرنسي ، وهو صلة الخديو اسماعيل  
بالأمبراطور نابليون الثالث ، وصداقته له وإعجاب به ، ومحاكاته إياه في مظاهر الأبهة  
والعظمة ، وسعيه في كسب ثقته وتوثيق روابط الود بينهما

ويتجلى لك مبلغ اننفوذالفرنسي ، في أنه لما قام الخلاف بين اسماعيل وشركة قناة  
السويس في أوائل عهده بالحكم ، ارتضى تدخل الأمبراطور نابليون الثالث لحسم الخلاف ،  
ورضى أن يجعله حكماً بينه وبين الشركة ، مع أنه يعلم بالبدهة ان امبراطور الفرنسيين  
لا يمكن أن يكون حكماً عادلاً في مثل هذا الخلاف ، وان حكمه لا يمكن أن يخلو من  
المحاباة للشركة الفرنسية ، وقد أصدر نابليون الثالث فعلاً حكمه بالزام الحكومة المصرية  
بتعويضات باهظة للشركة تبلغ عدة ملايين من الجنيهات

ويبدو هذا النفوذ أيضاً في استخدام اسماعيل لطائفة من الفرنسيين في كثير من  
معاملاته المالية وقروضه ، وإسناد كثير من مشروعات العمران إلى إخصائين من  
الفرنسيين

وقد بلغ هذا النفوذ أقصى مداه في حفلات افتتاح القناة سنة ١٨٦٩ ، فالقناة في  
ذاتها عمل فرنسي ، وفتحتها فرديناند دلسيبس يمثل كفاءة فرنسا المالية والهندسية ، وكانت  
أوجيني امبراطورة الفرنسيين تمثل الدولة الفرنسية في إبان مجدها وأوج عزها ، وهي  
التي رأست حفلات الافتتاح ، متقدمة ملوك أوروبا وأمراءها وأقطابها في السياسة  
والعلوم والفنون ، فكانت هذه الحفلات الفخمة إيذاناً بما باغته النفوذ الفرنسي في مصر  
من القوة وسمو المنزلة

على أن هذا النفوذ أخذ في الاضمحلال عقب الحرب السبعينية سنة ١٨٧٠-١٨٧١ ،  
فان انتصار الألمان في هذه الحرب زلزل سيطرة فرنسا السياسية في أوروبا والشرق ،  
وثلّ عرش الامبراطورية ، وكان من أولى نتائجها سقوط نابليون الثالث صديق اسماعيل  
الذي كان يعتمد عليه في مهمات الأمور ، ومن ثم أخذ النفوذ الفرنسي يتضاءل في مصر ،  
مخلياً الطريق للنفوذ الانجليزى

## انجلترا

لا يخفى أن انتصار ألمانيا في الحرب السبعينية كان له تأثير سيء في المسألة المصرية ، لأن إضعاف نفوذ فرنسا قد مهد لانجلترا السبيل لتكون صاحبة الصوت الأعلى في هذه المسألة ، ومكنتها من الانفراد بالتدخل في شؤون مصر ، حتى انتهى إلى الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ ، فلا يفهم عنك أنه كان ثمة تنافس بين الدولتين على كسب النفوذ في مصر ، وقد اشتد هذا التنافس من عهد إنشاء قناة السويس ، وكان التعادل بين قوتيهما يحول دون سيطرة إحداهما على مصير البلاد ، ولكن صوت فرنسا في المسألة المصرية أخذ يضعف من نهاية سنة ١٨٧٠ ، فاعتنمت إنجلترا هذه الفرصة لإنفاذ إرادتها في وادي النيل ، اعتبر ذلك فيما وقع حين قامت الحوادث العراقية سنة ١٨٨١ ، واعتزمت إنجلترا احتلال مصر ، فقد كان هذا المشروع مهدداً بالإخفاق لو اشتركت فرنسا معها في العمل ، ولكن فرنسا تركت إنجلترا تحتل البلاد وحدها ، وهذا يرجع إلى أسباب عدة لا يحسن لبسطها الآن ، وسنتكلم عنها في موضعها ، ولكن لا شك أن من بين هذه الأسباب ضعف فرنسا بعد هزيمتها في الحرب السبعينية ، وخوفها من الخطر الذي يهددها من ناحية ألمانيا

ولو بقيت فرنسا على قوتها ونفوذها قبل الحرب السبعينية لكان من تنافسها هي وإنجلترا في المسألة المصرية ما يكفل لمصر التخلص من مطامع الدولتين ، ولكن التوازن بينهما قد اختل بعد هزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ ، فأخذت كفة إنجلترا ترجح في شؤون مصر ، وأخذ اسماعيل من ناحيته ينصرف عن فرنسا لما أصابها من الضعف ، ويتجه ببصره تلقاء إنجلترا ، ويتودد إليها

على أن إنجلترا منذ افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ بدأت فعلا في العمل على تثبيت مركزها في مصر تمهيدا لاحتلالها ، وأخذت في الوقت نفسه تتطلع إلى السودان ، وتمدد أصعبها إليه تمهيدا لفصله عن مصر ، يدل ذلك على سلسلة من الأعمال ترمى إلى تحقيق تلك المطامع ، فمنها أنها أوغزت إلى الخديو اسماعيل أن يعين السير صمويل بيكر الرحالة الإنجليزي الشهير حاكما لمديرية خط الاستواء ، ولما انتهت مدته

عملت على أن يخلفه في هذا المنصب انجليزي آخر وهو الكولونل غردون ( باشا ) ،  
وسعت لتخويله سيطرة كبرى لارقابة عليه فيها للحاكم المصري العام كما سيجيء بيانه

وفي سنة ١٨٧٠ عهد الخديو إلى شركة انجليزية تدعى شركة جرنفلد لإنفاذ مشروع  
توسيع ميناء الاسكندرية والقيام بأعمال الإصلاح فيها مقابل عدة ملايين من الجنيهات  
وانتهزت انجلترا فرصة ارتباك اسماعيل المالي لكي تزيد في وورطته ، وتجلت هذه  
النية واضحة في شرائها أسهم مصر في قناة السويس سنة ١٨٧٥ ، فإن هذه الصفقة كانت  
أول ضربة صوبتها انجلترا إلى صرح الاستقلال المصري

وفي سنة ١٨٧٧ أوعزت إلى الخديو أن يعين غردون باشا حكامدارا ( حاكما عاما )  
للسودان ، وهو منصب من أكبر مناصب الدولة وأعظمها خطرا ، وتلك أول مرة في  
تاريخ مصر أسند فيها هذا المنصب السامي إلى أجنبي

فهذه الحوادث لم تقع عبثاً ، بل هي مظاهر لامتداد النفوذ الانجليزي في بلاط الخديو  
منذ سنة ١٨٧٠

وقد توثقت العلاقات الودية في هذه الحقبة من الزمن بين الخديو وانجلترا ،  
وتعددت مظاهرها ، فعقدت انجلترا ومصر في ١٨ مايو سنة ١٨٧٣ معاهدة لتسهيل  
تبادل البريد

وعقدتا في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ معاهدة للتعاون على ابطال الرقيق

ويظهر لك مبلغ حرص اسماعيل على كسب رضا انجلترا ، وتجنب مجافاتها ، أنه لما  
جرد سنة ١٨٧٥ حملة إلى شواطئ السومال الواقعة على المحيط الهندي لبسط نفوذ مصر  
في شرق أفريقية والوصول من هذه الجهة إلى أهلاكها في خط الاستواء ، استاءت انجلترا  
من هذه الحملة ، وأرسلت إلى اسماعيل تعترض على إنفاذها ، فبادر الخديو إلى الاستجابة  
لاحتجاجها ، واسترجع الحملة إلى مصر استبقاء للعلاقات الودية بينهما

وفي ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ عقد وإياها معاهدة اعترفت فيها انجلترا بسلطة مصر في  
بلاد السومال الشمالية ، فكانت هذه المعاهدة مظهرا من مظاهر العلاقات الودية ، بين  
مصر وانجلترا

على أن هذا الود، لم يمنع انجلترا من أن تضم مصر، وتعمل على إخضاعها  
للرقابة الأجنبية، ولما اشتد الخلاف بين الخديو والدائنين سعت سعيها في ملعه  
ونجحت في مسعاها سنة ١٨٧٩، فكان هذا ختام السياسة الودية، التي اتبعها اسماعيل  
حيالها

## الفصل الرابع

### قناة السويس

إن مسألة قناة السويس من أولى المسائل السياسية التي واجهت اسماعيل في أوائل عهد، بالحكم ، إذ كانت أنظار الأوروبيين متطلعة إلى ما يؤول إليه مصير القناة بعد وفاة سعيد الذي عرف عنه أنه ساند المشروع وقوامه ، فلها مات قلق المسيو فردينان دالسبس على مشروعه ، وخشى أن يسكون نصيبه الإخفاق ، ولسكن اسماعيل باشا بادر في أول اجتماع له بوكلاء الدول وأفضى اليهم بعزمه على تأييد المشروع

فقناة السويس يرجع إتمامها إلى تعضيد اسماعيل ورعايته ، لأن سعيد باشا لم يسكد يتولى المشروع في خطواته الأولى ، حتى عاجلته المنية ، فلولا اتجاه إرادة اسماعيل إلى تعضيد المشروع وإنفاذه ، لسكان مصيره الجبوت لا محالة ، ولعجز المسيو دالسبس عن المضى فيه ، ولعل اسماعيل أراد كما أراد سلفه أن يكسب رضا الأوروبيين من أنصار المشروع ، وينال إطراءهم وثناءهم ، ويستحق في نظرهم لقب « فاتح القناة » ، فعضد المشروع بكل قوته ، واحتمل تبعه إتمامه ، كما احتمل سعيد تبعه البدء فيه والتصميم على إنفاذه

### سعى اسماعيل في تخفيف شروط الامتياز

على أنه من الحق أن نقرر أن اسماعيل باشا قد هالته فداحة المزاي التي نالتها الشركة في عقد الامتياز ، فسعى جهده في تخفيفها ، وكان من هذه الوجهة أكثر مراعاة لمصلحة مصر من عمه سعيد

ومما يؤثر عنه أنه قال يوماً : « إني أريد أن تسكون القناة لمصر ، لا أن تسكون مصر للقناة » ، وقيل إنه فكر يوماً في أن يتولى بنفسه تنفيذ المشروع ، ولو حقق هذه الفكرة



لجعل القناة حقيقة ملكا لمصر ، ولكنه لم يفعل ، واكتفى بالاعتراض على أوجه أربعة من شروط الامتياز وسعى في إبطالها وهي : -

(١) تعهد الحكومة بتقديم العمال الذين تحتاج اليهم الشركة لغاية عشرين الفا باستمرار<sup>(١)</sup> ، وزعم الشركة أن لها مطالبة الحكومة بتعويض في حال تقصيرها أو عجزها عن تقديم هذا العدد

(٢) ملكية الشركة لترعة المياة العذبة التي كلفت بمقتضى العقد إنشاءها واستغلال رى الأطيان المملوكة للأفراد على جانبها مقابل أجر تقتضيه منهم حسب تقديرها

(٣) ملكية الشركة لجميع الأراضى التي ترى أنها فى حاجة اليها لحفر القناة وانشاء الترعة العذبة ، واعفاؤها على الدوام من دفع الاموال الأميرية عنها ، وملكيتها لجميع الأراضى التي تستصلحها وتزرعها ، واعفاؤها من دفع أموالها مدة عشر سنوات

(٤) اضطرار الحكومة إلى نزع ملكية الأطيان المملوكة للأفراد إذا احتاجت اليها الشركة لاستغلال امتيازها

وقد فاوض اسماعيل الشركة لإلغاء هذه الشروط ، واعتمد فى مفاوضاته على وزيره نوبار باشا ، وقدم حججا وأسانيد قوية تأييدا لطلباته ، وكانت حجته فى إلغاء الشرط الأول رغبته فى إلغاء السخرة ، لأن هذا الشرط هو إقرار فعلى لتسخير العمال والفلاحين فى العمل لفتح القناة ، وهذا مالا يتفق ومبادئ الانسانية

وحجته بالنسبة للشرط الثانى والثالث أن قوانين الدولة العثمانية الخاصة بالملكىة العقارية والتي كانت متبعة فى مصر وقتئذ لا تجيز لتنازل للجانب عن ملكية الأراضى والعقارات

وكانت أولى خطواته فى تخفيف الشروط أن أبرم اتفاقا مع الشركة فى ١٨ مارس سنة ١٨٦٣<sup>(٢)</sup> يقضى بأن تتولى الحكومة إنشاء الترعة فى القسم الممتد بين النيل ووادى

---

(١) بلغ هذا العدد ٢٢ الفا فى أواخر عهد سعيد (ج ٤ ص ٣٣٤ من وثائق القناة للسيد دلسبس)

(٢) وثائق القناة للسيد دلسبس ج ٤ ص ٢٩٠

الطميلات ، ووصلها بالجزء الذى أنشأته الشركة من ترعة الوادى إلى القناة ، وقد عرفت هذه الترعة من منبعها إلى مصبها بالترعة الاسماعيلية ، وغرض الحديد من هذا الاتفاق تجنب المنازعات الخاصة بتملك الشركة للترعة ، وانتزاعها ملكية الأفراد من الأطيان التى يقتضيها انشاؤها ، وكان عمله فى هذا قرين الحكمة والسداد

وأوفد اسماعيل وزيره نوبار باشا إلى الاستانة ، ثم إلى فرنسا ، للسعى فى تخفيف شروط الامتياز ، وأوضح مطالبه فى رسالة بعث بها نوبار إلى الشركة (١) وتلخص فيما يلى :  
(١) انقاص عدد العمال الذين تلتزم الحكومة بتقديمهم للشركة إلى ستة آلاف لأن تسخير العدد الحالى ( ٢٠ الفاً ) يضر بالبلاد وبالزراعة

(٢) زيادة أجورهم ، وجعلها فرنسكين لسكل عامل فى اليوم . لسكى يعوض الفلاح ما يخسره من ترك بلده وأرضه وما يبذله من الجهد للعمل فى حفر القناة

(٣) الغاء امتياز ملكية الشركة للأراضى ، وفى مقابل ذلك تأخذ الحكومة المصرية على عهدها إتمام الترعة العذبة ، وأن تعوض الشركة قيمة النفقات التى بذلتها فى القسم الذى أنشأته منها

وقد عارضت الشركة فى هذه المطالب ، بحجة أن انقاص عدد العمال من عشرين الفاً إلى ستة آلاف يعطل إتمام المشروع ، ويطيل مدة العمل من ثلاث سنوات إلى عشر ، مما يسكب على الشركة خسائر جسيمة ، وأن تملكها للأراضى القابلة للاستصلاح ، وللترعة من رأس الوادى إلى القناة ، من المسائل الجوهرية ، التى لا تتنازل عنها

### تحكيم نابليون الثالث

وقد اشتد الجدل حول مطالب اسماعيل ، وهبت الصحف والدوائر السياسية والمالية فى فرنسا للدفاع عن شروط العقد ، والمعارضة فى إبطالها ، وارتضى الحديد أخيراً تحكيم الامبراطور نابليون الثالث امبراطور الفرنسيين ، للفصل فى النزاع ، فكان هو الخصم والحكم ، لما كان معروفاً عنه من تأييده للشركة ، وعطفه على المسيو فردينان

(١) بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨٦٣ - وثائق القناة للمسيو دلسيس ج ٤ ص ٣٥٠

دلسبس ، ويرجع هذا العطف الى أن المشروع في ذاته عظيم النفع لفرنسا ، والى أن  
دلسبس يمت الى الامبراطورة أوجيني بصلة قرابة بعيدة

### الحكم في النزاع

أصدر نابليون الثالث حكمه في ٦ يولييه سنة ١٨٦٤ وهو يقضى بما يأتي : -

(١) إبطال حق الشركة مطالبة الحكومة بتقديم العمال المصريين ، وإلزام الحكومة  
في مقابل ذلك بتعويض مالي تدفعه للشركة ومقداره ٣٨٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك

(٢) تنازل الشركة للحكومة عن كل حق في ترعة المياه العذبة ، والتزام الحكومة  
باتمامها مع احتفاظ الشركة بحق الانتفاع بها ، وإلزام الحكومة مقابل هذا التنازل بأن  
تدفع للشركة تعويضا قدره ١٦٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك

(٣) جعل الأراضي المملوكة للشركة ولللازمة للمشروع ٢٣٠.٠٠٠ هكتار تقريبا<sup>(١)</sup> ،  
منها ١٠.٢٦٤ هكتاراً على جانبي القناة البحرية وماحققتها ، و ٩٠.٦٠٠ هكتاراً للترعة العذبة ،  
وثلاثة آلاف هكتاراً لمباني الشركة

(٤) إعادة الأراضي الأخرى التي اتضح عدم لزومها للمشروع وساحتها ٦٠.٠٠٠  
هكتار ، مقابل تعويض تدفعه الحكومة وقدره ٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك<sup>(٢)</sup>

### فداحة التعويضات

فكان مجموع ما ألزمت به الحكومة من التعويضات للشركة طبقاً لحكم الامبراطور  
نابليون الثالث ٨٤٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك = ( ٣٣٦٠.٠٠٠ جنيه ) ، وبيانها كما يأتي  
بالجنيهات :

(١) الهكتار عشرة آلاف متر أي أكثر من فدانين

(٢) رسائل وپومپات ووثائق عن القناة للسبس ج ٤ ص ٤٧٦

جنيه ٤

١٥٢٠.٠٠٠ مقابل إعفاء الحكومة من تقديم العمال المصريين لحفر القناة

٦٤٠.٠٠٠ مقابل تنازل الشركة عن حق إنشاء الترععة العذبة

١٢٠٠.٠٠٠ مقابل تنازل الشركة عن دعواها في ملكية الأراضي

٣٣٦٠.٠٠٠ مجموع التعويضات

وإذا علمت أن رأس مال الشركة هو ثمانية ملايين جنيه ، أمكنك أن تقدر فداحة التعويضات التي حكم على مصر بأدائها ، وانها تبلغ على وجه التقريب نصف رأس مال الشركة

ويُعد هذا الحكم من الأحكام الجائرة في التاريخ ، لأنه بني على أسباب لا يسيغها عدل ولا منطق ، فقد ألزم الامبراطور نابليون الثالث الحكومة المصرية بتعويض عن أمور ثلاثة وهي :

(الأول) اعفاؤها من تقديم العمال المصريين ، وبني هذا التعويض على أنها ملتزمة أصلا بتقديم هؤلاء العمال للشركة ، وان إخلالها بهذا الالتزام سيضطر الشركة الى جلب عمال من أوروبا ، فتدفع لهم فروقا في الاجرة ، والى استحضار آلات تغني عن الايدي العاملة ، وتسكفها نفقات طائلة ، وأن الحكومة المصرية مسؤولة عن هذه الفروق والنفقات ، وقد قدرها بهذا المبلغ الضخم ( ١٥٢٠.٠٠٠ جنيه )

ولا مرأ في ان هذا السبب ظاهر فيه التعسف والهوى ، لانه من التأمل في شروط الامتياز يتبين أنها لا تتضمن ، التزاما ، من الحكومة بتقديم أى عدد من العمال ، بل كل ما ورد في انعقدان أربعة أخماس العمال يكونون من المصريين ( مادة ٢ ) ، وأن الحكومة تعهدت ببذل مساعدتها للشركة ( مادة ٢٢ ) ، فليس في العقد ، التزام ، بالمعنى القانوني يؤدي الى الحكم بتعويضات فيما اذا لم تسخر الحكومة العدد الذي تبتغيه الشركة من العمال ، بل كان على الشركة أن ترغب العمال في العمل بالاجور التي تعرضها عليهم ، أما جعل العمل اجباريا بواسطة سلطة الحكومة ، فأمر لم تلتزم به الحكومة أصلا في عقد الامتياز

(الثاني) تنازل الشركة للحكومة عن إتمام ترعة المياه العذبة ، وعن الجزء الذي أنشأته فيها ، وقد رتب الحكم على هذا التنازل إلزام الحكومة بتعويض للشركة مقابل النفقات التي بذلتها في الجزء الذي أنشأته وحرمانها من الأرباح التي كانت تنالها من استغلال الترعة بعد تمامها ، وقدر هذا التعويض بمبلغ ١٦٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك (٦٤٠٠٠٠٠٠ جنيه) ، وكانت العدالة تقضى بأن لا تلزم الحكومة إلا بما أنفقته الشركة فعلا على الجزء الذي أنشأته ، مادامت قد تنازات عنه للحكومة ، وهذا ما كان اسماعيل باشا مستعدا لادائه ، ومقداره باعتراف الشركة ٧٥٠٠٠٠٠٠ فرنك ( ٣٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ) ، ولكن التحيز والهوى جعلنا نابليون الثالث يكيل المال جزافا للشركة

(الثالث) تنازل الشركة عن ملكية الأراضي التي تبين من الحكم عدم لزومها لإنفاذ المشروع ، وقد قدرت في الحكم بـ ٦٠٠٠٠ هكتار ، وهنا أيضا ظهر الغرض والتحيز للشركة ، لأن هذه الأراضي هي جهات صحراوية جرداء ، لم تسكن الشركة قد استصلحتها بعد ، واتضح أن انفاذ المشروع لا يقتضيها ، وبالرغم من ذلك قدر نابليون الثالث ثمنها على اعتبار ما سيؤول إليه أمرها في المستقبل !! فجعل لكل هكتار (فدانين تقريبا) خمسمائة فرنك ( ٢٠٠٠٠٠ جنيه ) ، وحكم على مصر بأن تدفع للشركة في هذا الباب وحده ثلاثين مليون فرنك ( ١٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ) ، وهكذا قضت عدالة ، نابليون الثالث أن تدفع مصر هذا الثمن الباهظ لبقاء ملكها في حوزتها ، وهذا من أغرب ما سمع في معرض الظلم والجور

والخلاصة أن مصر خرجت من هذا التحكيم بصفقة المغبون ، وعدت الشركة حكم الامبراطور فوزاً مبيئاً كفل لها اتمام المشروع على حساب مصر ، فلا غرو أن وصفه المسيو فردينان دلسبس بأنه « السند الأساسي للشركة ووثيقة الكفالة والاطمئنان لها »<sup>(١)</sup> ، وكذلك كانت مراحل المشروع منذ البدء فيه إلى ما بعد إتمامه شؤماً ووبالا على البلاد .

وغنى عن البيان أن الحكمة كانت تقضى بأن لا يتورط الخديو اسماعيل في مثل هذا التحكيم ، الذي جر على مصر هذه الخسائر الجسيمة ، ولو أنه استمسك بشروطه

(١) و نائق القناة للمسيو دلسبس ج ٥ ص ٢١٨

ولم يقبل تحكيمها لما استطاعت الشركة أن تخطو خطوة في العمل ، إذ كان كل شيء معلقاً على الأيدي العاملة المصرية ، ولولا تلك الأيدي النشيطة القوية ، لوقف المشروع وقضى عليه بالحبوط ، دون أن تحرك مصر ساكناً ، ولسكن شاء جدد مصر العائر أن يركن اسماعيل الى « العدالة الأوروبية » ، فوقع على يدها ما رأيت من الظلم والاعتساف

اتفاق ٣٠ يناير سنة ١٨٦٦

وعقد اسماعيل والشركة اتفاقاً في ٣٠ يناير سنة ١٨٦٦ لتسوية النزاع بينهما مع مراعاة حكم نابليون الثالث ، وهذا الاتفاق يقضى بما يأتي :

- (١) تحديد مواعيد الأقساط المقدرة لأداء قيمة التعويضات المحكوم بها للشركة
- (٢) استعمال الأراضي المخصصة للشركة بصفة ملحقات للقناة الملحة
- (٣) التنازل للحكومة عن ترعة المياه العذبة مع الأراضي والمباني والأعمال الفنية التابعة لها ، على أن تدفع لها الحكومة ثمن هذه المباني
- (٤) مبيع أراضي تفتيش الوادي (١) للحكومة بثمن قدره عشرة ملايين فرنك (٤٠٠ الف جنيه)

- (٥) حق الحكومة في احتلال أي جهة في الأراضي المعتبرة محرماً للقناة وأي موقع حربي لازم للدفاع عن البلاد على شرط أن لا يكون ذلك الاحتلال عائقاً للصلاح
  - (٦) شغل الحكومة ما تراه من تلك الأراضي بمبانٍ تنشئها لمصلحتها كالبريد والشكنات والجمارك وغيرها ، على شرط أن تراعى كل ما تقضى به ضرورة الانتفاع بالقناة ، وأن تدفع للشركة المبالغ التي تكون قد صرفتها على تلك الأمكنة
- ثم أبرم في ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ اتفاقاً كاملاً مع الشركة يتضمن الشروط الواردة

---

(١) هي أطيان تبلغ ٢٣٧٨٠ فدان سبق للشركة أن اشترتها من شركة الهامى باشا بثمن بخس قدره ١٧٠٠٠٠٠ فرنك (نحو ٦٨٠٠٠٠ جنيه) ولم تدخل في التحكيم لأنها ملك خاص للشركة

في عقد الامتياز الأصلي مع التعديلات الطارئة عليه (١)

تصديق السلطان - واتفاق ٢٣ ابريل سنة ١٨٦٩

وفي ١٩ مارس سنة ١٨٦٦ صدر فرمان السلطان بالتصديق على اتفاق ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ (٢)

وعقد اسماعيل والشركة اتفاقا آخر في ٢٣ ابريل سنة ١٨٦٩ ، الغى فيه للشرط الخاص باعفاء مستوردات الشركة من الخارج من الرسوم الجمركية ، وأعطاهما مقابل ذلك تعويضا قدره عشرون مليون فرنك ، وتنازلت الشركة للحكومة عن بعض المباني والمستشفيات مقابل عشرة ملايين فرنك (٣)

انتهاء العمل وافتتاح القناة ( نوفمبر سنة ١٨٦٩ )

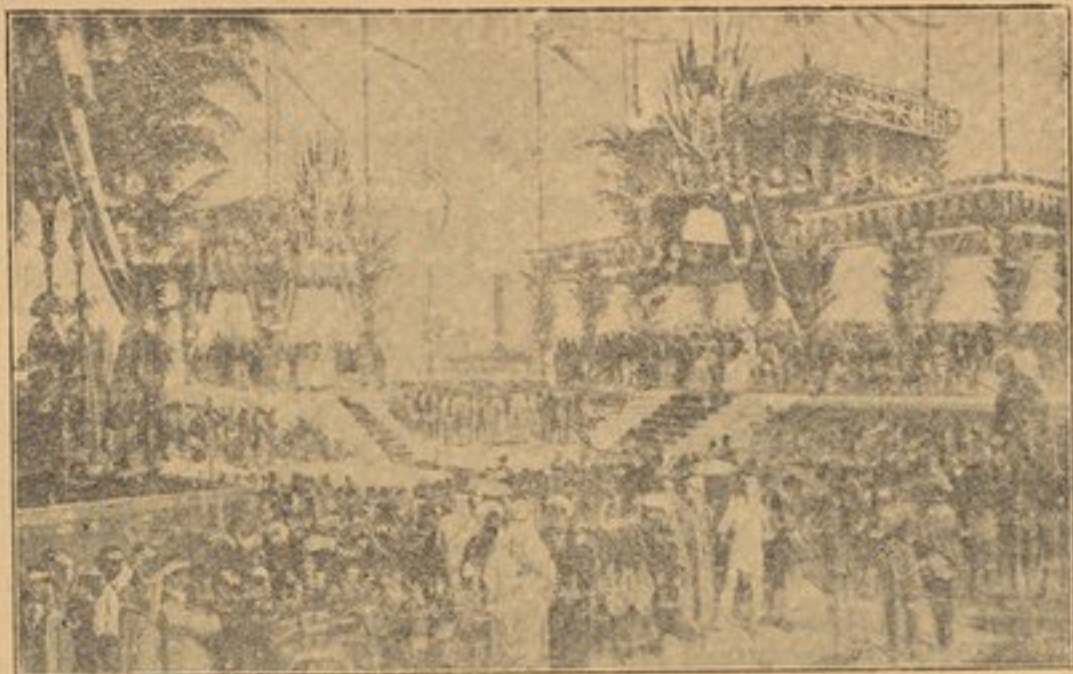
وانتهى العمل في حفر القناة واتصلت مياه البحر الأبيض المتوسط بالبحر الاحمر في نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، فكان العمل قد استمر عشر سنوات ، وبلغ طول القناة ١٦٤ كيلومترا ، وأنشئت على شاطئها مدينة بورسعيد ومدينة الاسماعيلية ، وافتتحت القناة للملاحة يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

وأقام اسماعيل لمناسبة افتتاح القناة تلك الحفلات الفخمة التي لم يعرف التاريخ احتفالا يبدانها في الإسراف والتبذير

ويكفيك دليلا على مبلغ ذلك الإسراف أن تعرف نفقات الحفلات ، فقد بلغت على أصح تقدير ١٤٠٠٠٠٠٠ جنيه ، ولا توجد حكومة رشيدة تكلف خزانتها هذا المبلغ الضخم يضيع في حفلات لا طائل لها في الوقت الذي استهدفت فيه الحكومة والبلاد لأشد ضروب الضيق المالي

(١) و (٢) وثائق القناة ج ٥ ص ٢٣١ و ٢٦٥

(٣) كتاب د برزخ وقناة السويس، للسيو شارل رو Roux ج ١ ص ٥٠١



### حفلة افتتاح قناة السويس بيور سعيد

يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩

وقد أقيمت في هذه الحفلة ثلاث منصات ، خصصت المنصة الكبرى للبلوك والأمراء وكبار المدعوبين ، والثانية لرجال الدين الاسلامي ، والثالثة لرجال الأكليروس ، وجلس في المنصة الكبرى: الخديو اسماعيل . أوجيني امبراطورة الفرنسيين . فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا وملك المجر . الأمير فردريك ويلاه ولي عهد بروسيا . الأمير هنري أخو ملك هولندا والأميرة قرينته . السير هنري إليوت سفير إنجلترا بالاستانة وعقيلته الليدي إليوت . الأمير مورا . الأمير محمد توفيق باشا ولي العهد . الأمير هوهلوه . الجنرال اجناتيف سفير روسيا في الاستانة ومدام اجناتيف . الأمير طوسون باشا ابن محمد سعيد باشا . شريف باشا وزير الداخلية ورئيس المجلس الخصوصي العالي ، مجلس الوزراء ، . نوبار باشا وزير الخارجية . شاهين باشا وزير الحربية والبحرية . رياض باشا خازن دار الخديو . المسيو فردينان دلسبس . الأمير عبد القادر الجزائري . المسيو دوبست والكونت اندراسي من وزراء النمسا . البارون بروكتش سفير النمسا في الاستانة الخ الخ ...

وقد القى الشيخ ابراهيم السقا في هذا الاحتفال كلمة تبريك باللغة العربية . ثم تلاه المونسنيور د بوير ، واعظ نابليون الثالث الذي جاء خصيصا من فرنسا لحضور الاحتفال والقي خطبة تبريك باللغة الفرنسية



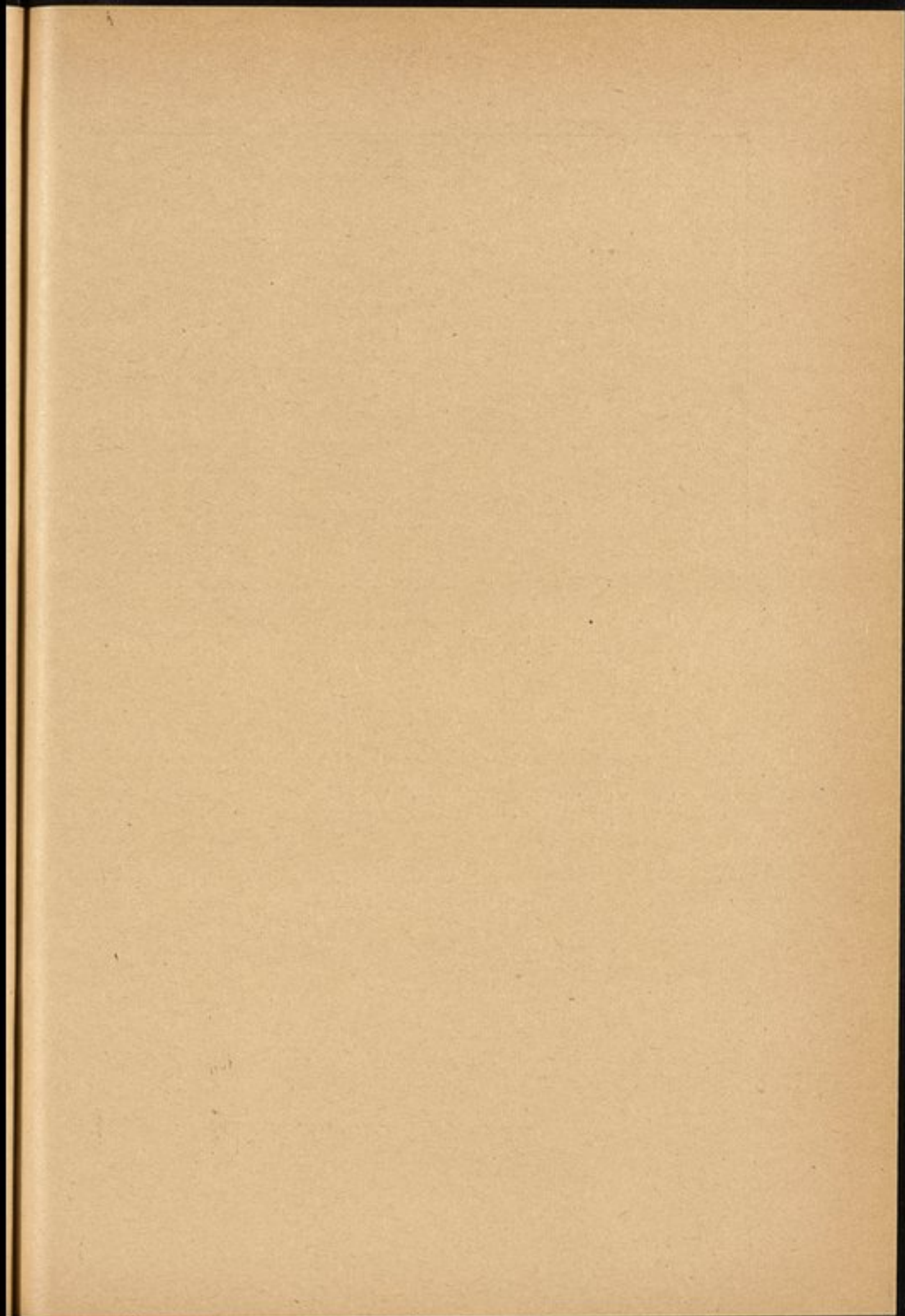


دخول البواخر المقلّة للبلوك والأمراء قناة السويس

في صليحة ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

أيذاناً بفتح القناة للملاحة

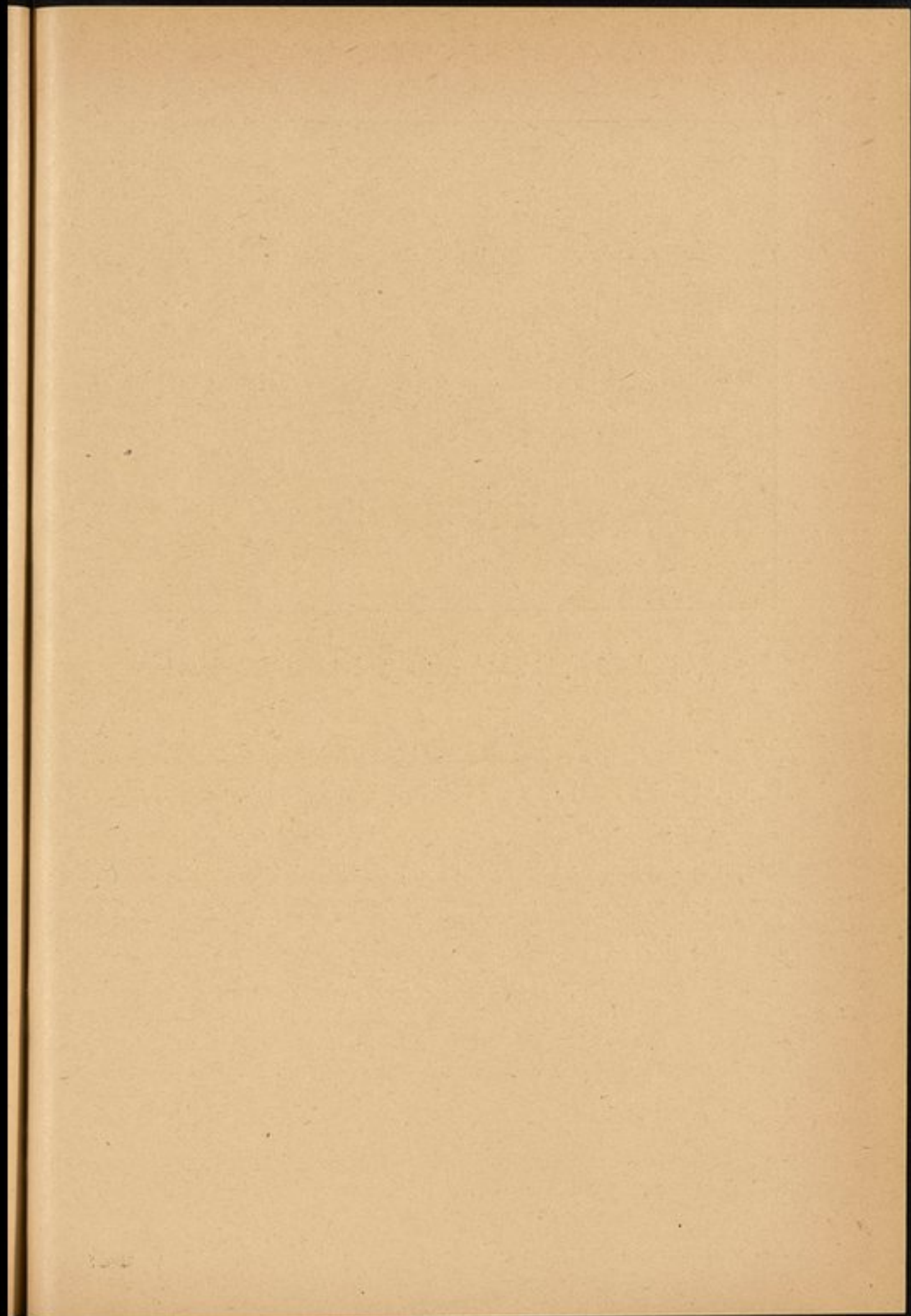
وترى في مقدمة البواخر السفينة (ليجل) L'Aigle تقل الامبراطورة اوجيني

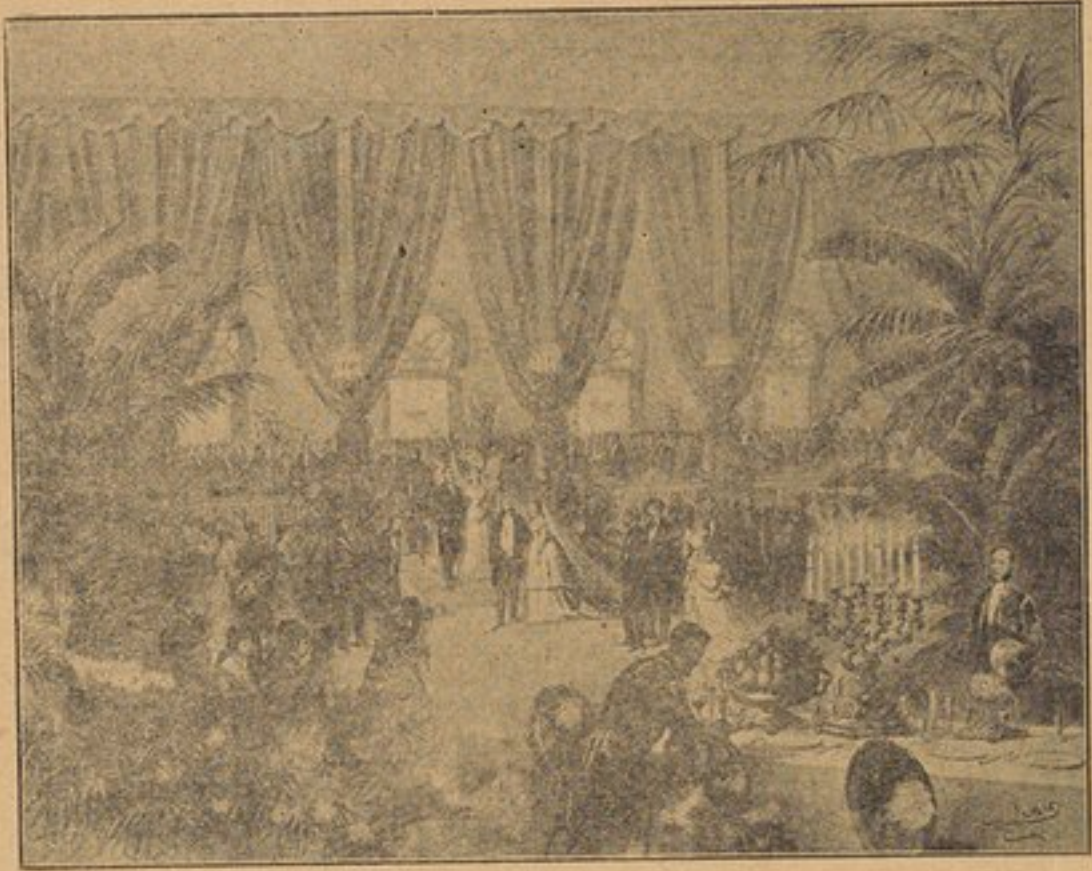




### احدى الحفلات الفخمة التى أقيمت ابتهاجا بافتتاح قناة السويس

وليلة العشاء التى أعدها الخديو اسماعيل لضيوفه فى قصره بمدينة الاسماعلية ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩، وقد مدت الموائد فى هذه الحفلة لآلاف المدعوين ، وترى فى صدر المائدة الرئيسية الامبراطورة أوجيني امبراطورة الفرنسيين ، وعن يمينها فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا ، وعن يسارها الامير فردريك ويلهلم ولى عهد بروسيا ، والى يمين الامبراطور فرانسوا جوزيف عقيلة السير اليوت سفير انجلترا بالاستانة ، ثم الجنرال اجناتيف سفير روسيا فى الاستانة ، والى يسار ولى عهد بروسيا عقيلة سفير روسيا ، ثم السير هنرى اليوت سفير انجلترا بالاستانة ، وأمامهم الخديو اسماعيل ، والى يمينه أميرة هولندا ، فالامير مورا ، والى يسار الخديو أمير هولندا ، ثم مدام دى بواز ، ثم المسيو فردينان دلسبس





( البالو ) أو حفلة الرقص التي أقامها الخديو اسماعيل في قصره بالاسماعيلية  
ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ابتهاجا بافتتاح قناة السويس

( اقتبسنا هذه الصورة والصور الثلاث السابقة من كتاب افتتاح قناة السويس  
Inauguration du Canal de Suez للمسيو نيكول Nicole ، وهذا الكتاب وضع  
خصيصا لوصف حفلات القناة ، والصور التي فيه للرسمام ريو Riou )

### خسائر مصر المالية في إنشاء القناة

يقدر مؤلف « تاريخ مصر المالي » ماخوذة مصر في إنشاء القناة ، من ثمن أسهمها في الشركة ، وما بذلته لها من التعويضات ، وما دفعته في إنشاء ترعة الاسماعيلية ، واسترداد أطيان الوادي ، ونفقات حفلات القناة بمبلغ ١٦٨٠٠٠٠٠٠ جنيه (١)

وهذا التقدير هو أقرب الاحصاءات للواقع ، وهو قريب من البيان الذي قدمته الحكومة لمجلس شورى النواب بجلسة ٢٠ رجب سنة ١٢٩٣ هـ عن ديون الحكومة وإيراداتها ومصروفاتها ، فقد جاء فيه أن مجموع ما دفعته في قناة السويس ١٦٨٠٧٥٠١١٩ جنيه مصري ، وهذا الإحصاء يقل عن إحصاء المستر ادوين دي ليون Edwin de Leon قنصل الولايات المتحدة العام في مصر على عهد اسماعيل ، فإنه قدره بمبلغ ١٧٨٤٢٣٠١٧٨ جنيه انجليزي (٢)

ومن هذا المقاربة يتضح أن إحصاء مؤلف تاريخ مصر المالي هو الرقم الوسط الذي يصح الاعتماد عليه ، وسنجهد هنا في أن نضع مفردات لهذا الإحصاء طبقا للبيانات التي أوردناها

جنيه

قيمة أسهم مصر في القناة	٣٨٤٢٦٠٠٠٠
قيمة التعويضات المحكوم بها للشركة	٣٣٦٠٠٠٠٠
ثمن أراضي تفتيش الوادي	٠٠٤٠٠٠٠٠
تعويض مدفوع للشركة بمقتضى اتفاق ٢٣ ابريل سنة ١٨٦٩	١٢٠٠٠٠٠٠
نفقات الترعة العذبة	١٢٠٠٠٠٠٠
نفقات حفلات القناة	١٤٠٠٠٠٠٠
	<hr/>
	١٠٩٨٦٠٠٠

(١) تاريخ مصر المالي ص ١٣٢ ، ولم يذكر المؤلف مفردات هذا الإحصاء

(٢) في كتابه ( مصر الخديوية ) The Khedives Egypt طبع سنة ١٦٧٧ ص ٤١٧

٥٨١٤٠٠٠٠ فوائد وسمسرة ونفقات التحكيم وما إلى ذلك

١٦٨٠٠٠٠٠٠ المجموع بالجزيئات

ولا تحسبن أن في رقم الفوائد وما إليها مبالغة ، فإن المستر إدوين دي ليون يقدرها في إحصائه بمبلغ ٦٦٦٣٠٠٠٠ جنيه ( ص ٤١٧ من كتابه )

وإذا علمت أن نفقات إنشاء القناة بأكملها باغت بحسب احصاءات الشركة ٤٥١٦٥٦٦٦٠ فرنك ، أي نحو ١٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ، أدركت أن مصر احتملت وحدها معظم هذه النفقات ، وإذا بحثنا عما نال مصر من بذل هذه المبالغ الجسيمة التي كانت من أسباب ارتباكها المالي ، كان الجواب أنها لم تنل من القناة أية فائدة ، بل عادت عليها بالوبال والخسران ، إذ كانت مقدمة الاحتلال الإنجليزي ، وفي ذلك يقول المرحوم محمد بك فريد : « يمكننا القول بأنه لولا نقود مصر وفلاح مصر الذي مازال يجبر على الاشتغال قهراً بأجرة زهيدة لما أمكن دي لسبس أن يتم هذا المشروع الذي كان سيئاً فيما نحن فيه من الاحتلال الأجنبي ، وما سنراه نحن وأولادنا إن لم تساعدنا المقادير ، (١) »

### بيع أسهم مصر في القناة

كان لمصر من أسهم شركة القناة ١٧٦٦٠٢ (٢) سهماً ، وهو مقدار عظيم يكاد يساوي نصف أسهم الشركة ، لأن مجموع الأسهم ٤٠٠ ألف سهم

وقد اكتب فيها سعيد باشا واشتراها بمبلغ ٣٠٤٢٦٠٠٠٠ جنيهها ، ولا ريب أن امتلاك هذا المقدار من الأسهم كان من شأنه أن يجعل لمصر شيئاً من الهيمنة على الشركة وإدارتها ، ويحولها حق التدخل في شؤونها ، كما أنها مورد أرباح وفيرة تعود على الخزنة المصرية بأمنع الثمرات ، وخاصة بعد تقدم أعمال الشركة وارتفاع أسهمها بدرجة فاقت كل تقدير

(١) تاريخ الدولة العثمانية ص ٣١٧ للمرحوم محمد بك فريد

(٢) عددها في الأصل ١٧٧٦٤٢ ، باعت منها الحكومة من قبل ١٠٤٠ سهماً فصار

ولكن إسراف اسماعيل أبي إلا أن يحرم مصر هذه الثروة الضخمة ، ففي سنة ١٨٧٥ أخذ معين المال ينضب بين يديه ، بعد القروض الباهظة التي أستدانها ، والأعباء الجسيمة التي ناءت بها الخزانة ، ففكر في بيع أسهم مصر في القناة ، وعرضها فعلا للبيع وقد بدأ بعرضها على فرنسا ، فترددت في الأمر ، ولكن الحكومة الانجليزية ما لبثت ان علمت بالمسألة حتى بادرت بشرائها ، لأنها وجدت في هذه الصفقة فرصة سانحة لوضع يدها على القناة

فاشتريت هذه الأسهم بثمن بخس اربعة ملايين من الجنيهات الانجليزية ، وبهذه الصفقة أضاع اسماعيل على مصر الميزة التي بقيت لها من مشروع القناة

#### خسائر فادحة

وقد بلغت قيمة هذه الأسهم ( في سنة ١٩٢٩ ) ٧٢ مليون جنيه ، وربحت منها الخزانة البريطانية ( إلى أواخر سنة ١٩٢٩ ) ٢٨٦.٠٠٠.٠٠٠ جنيه ، وبمجموع ذلك نيف ومائة مليون جنيه وعشرة ملايين من الجنيهات ، أي أن خسارة مصر من هذه الناحية بلغت إلى تلك السنة :

$$١١٠.٠٠٠.٠٠٠ \text{ جنيه} - ٤٠.٠٠٠.٠٠٠ = ١٠٦.٠٠٠.٠٠٠ \text{ جنيه}$$

وئمة خسارة أخرى أصابت مصر إذ تنازلت عن ١٥ في المائة من أرباح القناة التي كانت تزول لها بمقتضى عقد الامتياز ، تنازلت عن هذه الحصة بسبب قروض اسماعيل مقابل ٢٢ مليون فرنك أي ٨٨.٠٠٠.٠٠٠ جنيه ، وقد بلغت قيمة هذا النصيب الآن نحو ٢٠ مليون جنيه ، وهو يغفل إيرادا لا يتمل عن ٨٦٩.٠٠٠ جنيه في السنة وهذه الأرقام تدل على مبلغ ما أصاب مصر في الصفقتين من الخسران المبين



## قناة السويس

وتواريخها الهامة

- ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ -
- منح سعيد باشا امتياز القناة الى  
المسيو دلسبس
- ٥ يناير سنة ١٨٥٦ -
- شروط الامتياز
- ٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩ -
- ابتداء العمل في حفر القناة
- ٦ يوليو سنة ١٨٦٤ -
- حكم الامبراطور نابليون الثالث
- ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ -
- افتتاح القناة لللاحة
- ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ -
- بيع أسهم مصر في القناة الى  
انجلترا
- ٧ ابريل سنة ١٩١٠ -
- رفض الجمعية العمومية المصرية  
تجديد الامتياز
- ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٨ -
- انتهاء الامتياز وعودة القناة  
الى مصر



خريطة قناة السويس

## الفصل الخامس

### السودان في عهد اسماعيل

من مآثر الخديو اسماعيل التي تخلد ذكره في تاريخ مصر القومي انه وجه عنايته واهتمامه إلى إتمام فتح السودان ، والوصول إلى حدود مصر الطبيعية ، ومعلوم ، أن هذه الحدود تشمل وادي النيل وملحقاته ، من البحر الأبيض المتوسط شمالاً ، إلى منابع النيل والاقيانوس الهندى جنوباً ، ومن البحر الأحمر شرقاً ، إلى صحراء ليبيا (لوبيه) غرباً

ولقد أكمل اسماعيل من هذه الناحية العمل الذي بدأ به محمد علي ، فوسع نطاق السودان ، وبسط الحكم المصرى في أنحائه ، ومدّ رواق الحضارة والعمران على ربوعه

#### توسيع نطاق السودان

بيننا في كتاب «عصر محمد علي» (ص ١٩٢) مدى فتوح مصر في السودان على عهد محمد علي ، وذكرنا أن حدود السودان المصرى وصلت شرقاً إلى البحر الأحمر ، وضمّت إقليم التاكا (كسلا) الواقع شرقى نهر عطبرة ، ووصلت من جهة الحبشة إلى القضارف والقلابات ، ودخلت سواكن ومصوع في نطاقها ، وبلغت الحملات والتجاريده جنوباً إلى جزيرة (جونكر) تجاه غندكرو الواقعة على النيل الأبيض

فلنذكر الآن الفتوح المصرية في الأقطار السودانية على عهد اسماعيل ، وخلاصتها أن مصر فتحت مديرية فاشودة ، وضمّت محافظتى مصوع وسواكن نهائياً إلى أملاكها ، وفتحت إقليم خط الاستواء ومملكة (أونيورو) وبسطت حمايتها على مملكة (أوغنده) ، وفتحت إقليم بحر الغزال ، ثم سلطنة دارفور ، واتسعت أملاك مصر بين الحبشة والبحر الأحمر بفتح سنهيت ، وبلاد البوغوس ، وامتدت سلطتها إلى سواحل البحر الأحمر حتى بوغاز باب المندب ، وضمّت محافظتى زيلع وبربره الواقعتين على خليج عدن ، فيما

بلى بوغاز باب المنذب ، وفتحت سلطنة ( هرر ) الواقعة فى الجنوب الشرقى من الحبشة ،  
ودخلت سواحل السومال الشمالية فى أملاك مصر حتى رأس جر دفون (جر دفوى) على المحيط  
الهندى ، ثم الى رأس ( حفون ) ، وبذلك كاه انفسحت رقعة الفتوح المصرية ، فوصلت  
جنوباً الى بحيرة ألبرت وبحيرة فسكتوريا ، وشرقا الى البحر الاحمر وخليج عدن ، وغرباً  
الى حدود ( وادى )

وسنذكر فيما بلى هذه الفتوح تفصيلا

## فتح فاشودة

سنة ١٨٦٥

فى سنة ١٨٦٥ احتلت الجنود المصرية فاشودة احتلالا رسميا ، وذلك على عهد جعفر  
صادق باشا حكام السودان ، واتخذت الحكومة بها نقطة حربية دائمة لمنع تجارة الرقيق  
فسدت الطريق أمام النحاسين الذين كانوا يجلبون الأرقاء بطريق النيل من أقاليم بحر  
الغزال وخط الاستواء ، وصارت فاشودة عاصمة المديرية المسماة باسمها

ولفاشوده أهمية كبرى ، نالتها من موقعها الجغرافى والحربى ، فانها تعد مفتاح النيل  
الأعلى ؛ لوقوعها على ملتقى الطرق المختلفة الواصلة من الخرطوم والحبشة الى جنوبى،  
السودان ، وعلى مقربة من ملتقى روافد النيل كنهر سوباط وبحر الغزال والنيل الأبيض  
وبحر الزراف ، وهى نقطة الاتصال بين السودان وجهات خط الاستواء ، ومن يملكها  
يضمن النفوذ فى شمالى السودان وفى الجهات الجنوبية منه الى البحيرات الاستوائية ، فلا  
غرو أن يكون لها مكانة كبيرة من الوجهتين السياسية والاقتصادية

ولا يخفى أن فاشودة هذه هى التى قامت بشأنها تلك الأزمة السياسية المشهورة بين  
انكلترا وفرنسا ومصر سنة ١٨٩٨ ، حين احتلتها كتيبة من الجنود الفرنسية بقيادة السكولونل  
مرشان Marchanod ، فاحتجت الحكومة الانجليزية على هذا الاحتلال ، وارتكبت  
على أنها من الأراضى المصرية ، ثم انتهى النزاع بانسحاب الفرنسيين منها وبقائها من  
أراضى مصر ، وقد اكتسبت شهرة ذائعة بسبب هذا النزاع الذى دار حولها  
وقد غير الانجليز اسمها ، وسموها الآن ( كودوك ) ، وغيروا اسم مديرية فاشودة ،

بجمعها مديرية ( النيل الأعلى ) ، وذلك لكي يمحوا من الأذهان اسم فاشودة وما يثيره من ذكرى الخلاف السياسى الذى قام بشأنها سنة ١٨٩٨ ، والذى كانت حجة انجلترا فيه أن هذا البلد من املاك مصر

فليذكر المصريون على الدوام اسم ( فاشودة ) ، فإنه من الأعلام التاريخية التى تسجل فى وجه الغاصب حق مصر الخالد فى السودان

### ضم سواكن ومصوع

قلنا فى الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية (عصر محمد على) ص ١٩٣ إن سواكن ومصوع دخلتا فى حدود السودان المصرى على عهد محمد على ، لأنه إذ رأى ضرورتهما للسودان ، وأنهما منفذاه على البحر الأحمر ، وخاصة لاقليم التاكا ( كسلا ) ، استأجرهما من السلطان ( وكاتنا من أملاك السلطنة العثمانية ) مقابل ايجار سنوى قدره ٢٥٠٠٠٠ جنية ، وبذلك دخلتا فى ظل الحسك المصرى

على أن اسماعيل رأى إلحاقهما بصفة نهائية الى أملاك مصر ، فاستصدر فى سنة ١٨٦٥ فرماناً من السلطان باحالة قائم مقاميتى سواكن ومصوع الى عهده ، وجعلهما فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ الذى تكلمنا عنه ( ص ٧٣ ) من ملحقات مصر ، وصارت كل منهما محافظة قائمة بذاتها. فمحافظة سواكن تمتد على البحر الأحمر من رأس علبه الى رأس قصار ( راجع الخريطة الملحقه بهذا الفصل ) ، ومحافظة مصوع امتدت من رأس قصار حيث تنتهى محافظة سواكن الى حلة ( رهيطه ) عند بوغاز باب المنذب

وقد عمرت مصوع وسواكن فى ظل الحسك المصرى ، ذلك أن مدينة مصوع كانت قائمة على جزيرة بالبحر ، فوصل بينها وبين اليابسة بجسر طوله ١٨٠٠ متر وعرضه عشرة أمتار ، وتم إنشاؤه سنة ١٨٧٢ ، فعمرت المدينة واتسعت ، وبُنى فيها ديوان المحافظة ، وآخر للجمرك ، ومساكن للوظفين ، وشيدت بها قلعة منيعة ، وأنشئت ترعة صغيرة لتوصيل المياه العذبة إلى سواكن ، وهذه الترعة تستمد الماء من خزان أقيم لجمع مياه الأمطار فى سفح جبل قريب من المدينة (١)

وظلت المحافظتان ملكا لمصر إلى شوب الثورة المهدية ، فلما اضطرت إنجلترا الحديو توفيق إلى القرار بإخلاء السودان سنة ١٨٨٤ ، وصار في نظر الدول الاستعمارية نهياً مقسماً ، انتهزت إيطاليا هذه الفرصة بتواطئها مع الانجليز ، واحتلت محافظة مصوع سنة ١٨٨٥ ، وما زالت تحتلها إلى اليوم ، (١٩٣٢) وتسمى هي وملحقاتها مستعمرة (الأريترية) ، أما سواكن فقد جعلت بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ الباطلة محافظة تابعة لحكومة السودان

## فتح إقليم خط الاستواء

### والوصول إلى منابع النيل

أسلفنا القول أن الحملات والتجاريد المصرية التي قادها البكباشي سليم بك قبطان في عهد محمد علي بلغت جزيرة جونسكر تجاه غندكرو (راجع عصر محمد علي ص ١٩٠) ، ولاكن هذا الفتح لم يسكن إلا وقتياً ، بمعنى أنه لم يقترن بوضع حاميات عسكرية دائمة في تلك الجهات تقر سلطة الحكومة فيها ، فاعتزم اسماعيل أن يبسط نفوذ مصر بصفة دائمة في تلك الأصقاع ، وما يابها جنوباً حتى منابع النيل ، ولاكنه لم يحذ حذو جده في أن يعهد بهذه المهمة القومية إلى ضباط الجيش المصري ، بل عهد بها إلى جماعة من الانجليز ، وهذا موطن ضعف في سياسته أدى إلى عواقب وخيمة سنذكرها فيما يلي

### مهمة السير صمويل بيكر Samuel Baker

فناط بالسير صمويل بيكر الرحالة الانجليزى المشهور الزحف إلى الجهات الجنوبية لغاية منابع النيل وضمها إلى أملاك مصر

### رحلته في عهد سعيد باشا

بدأت رحلات السير صمويل بيكر في السودان على عهد سعيد باشا ، فقد قصد من تلقاء نفسه إلى تلك الأقطار ، لاكتشاف منابع النيل الأبيض ، وكان الرحالتان

اسبيك Speke وجرانت Grant قد سبقاه إلى تحقيق هذا الغرض ، موفدين من قبل الجمعية الجغرافية الانجليزية ، فجاء بطريق زنجبار ، واكتشفا بحيرة (اكروى) ومنبع النيل منها ، وكان ذلك في ٢٨ يولييه سنة ١٨٦٢ ، وسمياها باسم الملكة فكتوريا ، ملكة انجلترا في ذلك الحين ، فصارت تعرف من ذلك الحين باسم بحيرة (فكتوريا) أما السير بيكر فآثر أن يسلك في اكتشافه طريق الخرطوم ، وصعد جنوبا في النيل فبلغ في ٢ فبراير سنة ١٨٦٣ عندكرو التي وصلت اليها حملات البكباشي سليم بك قبطان في عهد محمد علي سنة ١٨٤٠ ، وأخذ يتأهب لمتابعة سيره ، وإذا بالرحالنان اسبيك وجرانت قد التقيا به ، وأبلغاه اكتشاف بحيرة فكتوريا ، وأنها اليه أن هناك بحيرة أخرى أخبرهما بها الأهلون ، لم يتم اكتشافها بعد ، فتابع سيره حتى اكتشفها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ ، وسمها بحيرة (ألبرت) باسم الأمير ألبرت زوج ملكة انجلترا

ثم عاد إلى عندكرو ، وسار منها إلى الخرطوم فبلغها في ٣ مايو سنة ١٨٦٥ ، وعاد من هناك إلى بربر فسواكن ، وأقلع إلى انجلترا ، وقد صحبته امرأته النبيلة ، في هذه الرحلة الطويلة ، وقاسمته مخاطرها ومتاعبها ، وكان لها الفضل الكبير في نجاحه في مهمته التي رفعتة الى مستوى كبار المسكتشفين ، ولا غرو فان اسمه يقرن دائما باكتشاف بحيرة ألبرت إحدى منابع النيل الكبرى

### مهمته في عهد اسماعيل

١٨٧١ - ١٨٧٣

انقضت خمس سنوات تقريبا على رحلة صمويل بيكر الأولى ، ثم جاء مصر سنة ١٨٦٩ يصحب الأمير إدوارد ولي عهد انجلترا لحضور حفلات افتتاح قناة السويس ، فرغب الأمير الى الخديو اسماعيل أن يعهد اليه بمطاردة الاتجار بالرقيق في السودان نيابة عن الحكومة المصرية ، فلم يتردد اسماعيل في قبول الطلب ، اذ كان يبغى التوود الى الحكومة الانجليزية

لم يكن الغرض من هذه المهمة خدمة الانسانية ، بل كانت الحكومة الانجليزية ترمي الى تمهيد السبيل لتحقيق أطماعها الاستعمارية في وادي النيل ، ويان ذلك أن انجلترا بعد

إنفاذ مشروع قناة السويس أخذت تتطلع الى احتلال مصر ، وترمق أملاكها في السودان ، وتعمل على استطلاع أحواله ، والتدخل في شؤونه ، لكي تخلف مصر يوماً ما فيه ، وما إرساها السير صمويل بيكر ، ثم الكولونل غردون من بعده ، إلا تمهيداً لهذه الغاية الاستعمارية

ولو كان الخديو اسماعيل بعيد النظر ، بمقدار ما كان عليه من الذكاء ، لما ارتضى أن يبسط نفوذ مصر في السودان على ايدي بيكر وغردون وأضرابهما ، من دعاة الاستعمار الانجليزى ، لأن هؤلاء لا يمكنهم أن يخلصوا لمصر ، بل هم يعملون على خدمة السياسة الانجليزية التي كانت ولا تزال ترمى الى إقصاء النفوذ المصرى عن السودان

قبل اسماعيل إذن ما عرضه عليه ولى عهد إنجلترا ، وأصدر مرسوما الى السير صمويل بيكر عهد اليه فيه ببسط نفوذ مصر في الأصقاع الكائنة جنوبي غندكرو، وتنظيمها ونشر التجارة بها ، ومطاردة الاتجار بالرقيق وإنشاء المحطات الحربية فيها ، وجعله قائداً لحملة جردها لهذا الغرض مؤلفة من ١٧٠٠ مقاتل ، وأنعم عليه برتبة فريق فصار يعرف ببيكر باشا ، وجعله حاكماً على مديرية خط الاستواء لمدة أربع سنوات ، تبتدى من أول ابريل سنة ١٨٦٩ براتب قدره ١٠٠٠٠٠ جنيه في السنة

وقد صحبته في هذه الحملة زوجته النديلة كما صحبته في رحلته الأولى ، ورافقته في الرحلات البعيدة التي قطعها ، وشهدت الوقائع التي خاضها ، فكانت له نعم العضد الصادق الأمين ، وامتدح بيكر صفاتها في كتابه ( الاسماعيلية ) الذى أفرده لذكر هذه الحملة ، وأشاد بما بذلته من الجهود في معالجة المرضى والجرحى ، وما كانت تبعثه في النفوس من روح الصبر والشجاعة والإقدام ، وما أسدته من حسن التدبير لنجاح مهمته ، فكانت مضرب الأمثال فى ما تؤديه الزوجة لزوجها من جليل الخدمات ، ومشاركتها إياه فى المهام الجسام

جهزت الحكومة الخديوية معدات الحملة ، وأقلت السفن معظم مهماتها من القاهرة الى الخرطوم ، واقتضى نقلها متاعب جمّة ، إذ لم يكن فى استطاعة البواخر اجتياز الشلالات ، فنقلت أجزاءها مفككة على ظهور الإبل فى صحراء النوبة ، وكذلك

نقلت المهمات الثقيلة بهذه الوسيلة ، أما بيكر باشا فقد سار بحراً من السويس الى سواكن



نقل أجزاء البواخر النيلية على ظهور الإبل من مصر الى السودان  
في صحراء النوبة أواخر سنة ١٨٦٩ استعداداً لفتح إقليم خط الاستواء



الاسطول النيلي الذي تحرك من الخرطوم يوم ٨ فبراير سنة ١٨٧٠  
لفتح إقليم خط الاستواء وكان مؤلفاً من ثلاثين سفينة شراعية وبخرتين

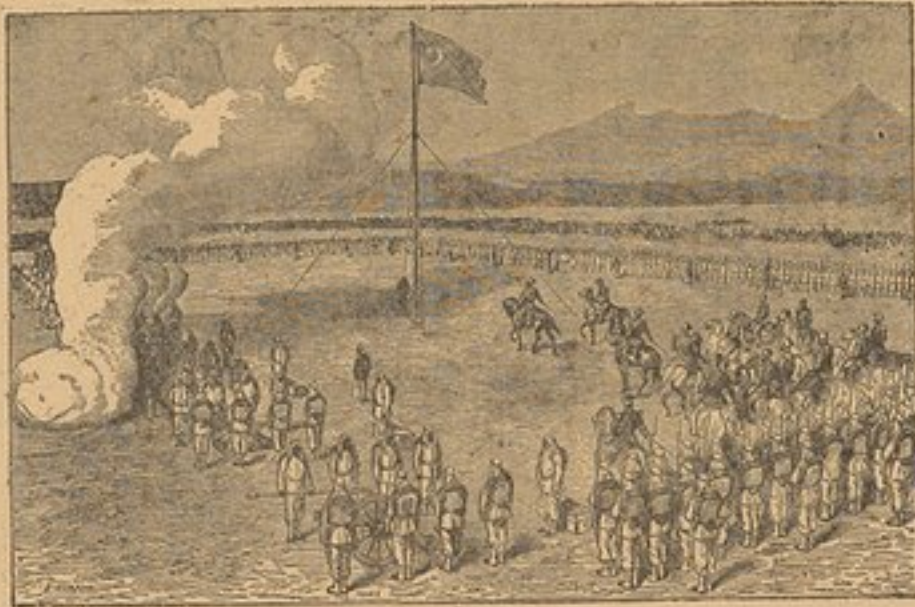


ومنها الى بربر على ظهور الإبل فقطع المسافة بينهما في أربعة عشر يوماً ، واستقل من  
بربر باخرة نيلية بلغ بها الخرطوم  
وصل بيكر باشا الى الخرطوم ، في عهد حكمدارية جعفر مظهر باشا ، ثم قام منها  
يوم ٨ فبراير سنة ١٨٧٠ (١) في حملة نقلها ثلاثون سفينة وباخرتان قاصداً جهات  
خط الاستواء

فرسا بالقرب من ملتقى نهر السوبات بالنيل (جنوبي فاشودة)، وبني هناك محطة اسمها  
( التوفيقية ) باسم الأمير محمد توفيق ولي عهد الأريكة الخديوية في ذلك العصر ، وأقام  
في هذه المحطة عدة أشهر ، ثم سار جنوباً حتى بلغ غندكرو التي وصل اليها من قبل  
البكباشي سليم بك قبطان في عهد محمد علي

رفع العلم المصري على غندكرو

بلغ بيكر غندكرو في ١٥ ابريل سنة ١٨٧١ (٢) ، فرفع عليها العلم المصري يوم  
٢٦ مايو (٢) ، في احتفال عسكري مهيب ، أعلن فيه رسمياً ضم هذه البلاد إلى  
أملاك مصر

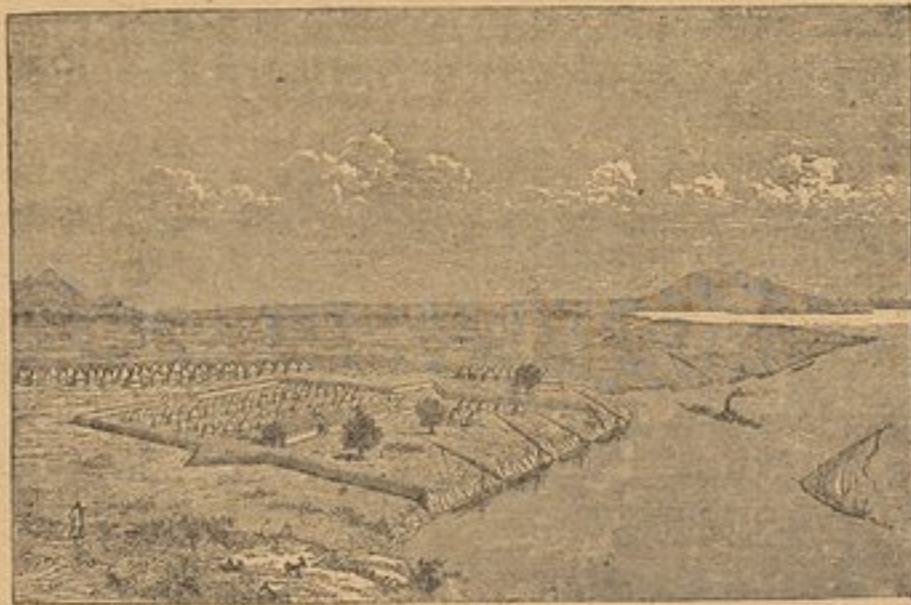


حفلة رفع العلم المصري على غندكرو ( الاسماعيلية )  
اعلانا بضمها إلى أملاك مصر ( ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ )

(١) و (٢) الاسماعيلية للسير صمويل بيكر باشا ص ١٠١ و ١١٣

كان هذا اليوم يوما مشهودا في تاريخ السوء ودان ، إذ اصطفت الجنود المصرية بغندكرو في صعيد واحد ، على أكمة تشرف على النيل ، وبلغ عدد الجند الذين حضروا الاحتفال ١٢٠٠ مقاتل ، وقفوا صفوفًا يرتدون ملابسهم البيضاء الرسمية ، وعلى رؤوسهم الكوفيات المتدلية على أكتافهم ، وساروا تتقدمهم الموسيقى إلى مكان الاحتفال حيث نصبت سارية علوها ٢٥ مترا ؛ وهناك أخذوا أما كنهم في نظام عسكري بديع ، تصحبهم أسلحتهم ومدافعهم ، وشهد الاحتفال رؤساء العشائر الذين جاءوا من مختلف النواحي ، ووقف بيكر باشا تحت السارية ، وقرأ على الجميع الإعلان الرسمي الذي قرر فيه باسم الخديو ضم هذه الجهات إلى أملاك مصر ، وعند ما أتم تلاوة الإعلان رفع العلم المصري على السارية الكبيرة ، فياه الجند جميعا بالسلام العسكري ، وأطلقت المدافع تحية واجلالا

وقد أسمى بيكر باشا غندكرو (الاسماعيلية) باسم الخديو اسماعيل ، وجعلها عاصمة مديرية خط الاستواء (أنظر الخريطة ص ١٢٥)  
وفي ٢٢ يناير سنة ١٨٧٢ (١) استأنف السير في النيل الأبيض (٢) ، فأسس نقطا



المعسكر المصري في غندكرو (الاسماعيلية) سنة ١٨٧٢

(١) الاسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ١٩٢

(٢) يطلق اسم النيل الأبيض على نهر النيل من منابعه إلى الخرطوم ، ويسمى نيل فيكتوريا أو نهر السومرست من منبعه من بحيرة فيكتوريا إلى مصبه في بحيرة ألبرت ، ومن

عسكرية وحصونا في عدة بلاد بأعلى النيل ، منها (الابراهيمية) على بحر الجبل (بحر  
الرجاف) ، وقد سماها بهذا الاسم تذكرا لابراهيم باشا أبي الخديو اسماعيل ، وأنشأ  
حصونا أخرى في (فاتيكو) ثم في (فوية) الواقعة على نيل فيكتوريا

فتح مملكة أونورو (سنة ١٨٧٢ - ١٨٧٣)

وتقدمت الحملة في زحفها ، ففتحت مملكة « أونورو » المتاخمة لبحيرة ألبرت شرقا  
واحتلت عاصمتها « ماسندي » في ابريل سنة ١٨٧٢ ، وكان بها ملك يدعى (كابريقه) ،  
فأظهر خضوعه لسلطة الحكومة المصرية وأعلن بيكر باشا باسم الخديو



ريونجا ملك أونورو يصفح بيكر باشا ، والجنود المصرية مصطفة لاستقباله  
بقيادة القائمقام عبد القادر بك حلي سنة ١٨٧٢

مخرجة من بحيرة ألبرت إلى التقائه ببحر الغزال ثم بنهر سوبايط يسمى بحر الجبل « أو بحر  
الرجاف » ، ويتفرع عنه قبل التقائه ببحر الغزال فرع يسمى « بحر الزراف » ويسير بالبحران  
شمالا متفرعين على شكل دلتا إلى أن يبلغا النيل ، ويستمر باسم النيل الأبيض إلى أن يلتقي  
بالنيل الأزرق عند مدينة الخرطوم ، ويقصر بعض علماء الجغرافية اسم النيل الأبيض على  
بحرى النهر من ملتقى السوبايط بالنيل إلى الخرطوم

دخول هذه المملكة في أملاك مصر ( ١٤ مايو سنة ١٨٧٢ ) ، وبنى في ماسندي دارا للحكومة المصرية بالقرب من دار كبريقه ، وشيد حصنا لإقامة الحامية المصرية على أن كبريقه ما لبث أن ظهرت خيائنه ، فانتقض على الحامية المصرية ، وقامت الحرب بينهما ، وانتهى القتال بهزيمته وفراره ثم انسحبت الحامية المصرية من ماسندي إلى شاطئ نيل فيكتوريا ، لتأوى إلى مكان أمين

وأعلن بيكر باشا خلع الملك كبريقه ، وولى مكانه ملكا آخر من الأسرة الحاكمة ، يدعى ( ريونجا ) ، كان يزاحم كبريقه على عرش أونورو ، منذ وفاة الملك السابق ، فتقبل هذا التنصيب بالإخلاص والابتهاج ، وبقي على ولائه لخديو مصر ، وجرى حملة على كبريقه غلبته على أمره

#### ولاء ملك أوغنده لمصر

وقد وفد على بيكر باشا رسل من الملك ( امتيسى ) ملك أوغنده المجاورة لمملكة أونورو ، والواقعة شمالي بحيرة فيكتوريا وغربها ، وعرضوا لإخلاء ملكهم لخديو مصر ، فأكرم بيكر وفادتهم ، وبادل ملكهم الرسائل والهدايا ، وبقي ( امتيسى ) مواليا لمصر ، ونقم على كبريقه خيائنه ، وهاجمه من الجنوب جزاء انتقاضه ، وبفضل ولاء امتيسى لمصر انفتحت الطريق بين أعالي النيل وزنجبار على شاطئ المحيط الهندي وعاد بيكر إلى الاسماعيلية ( غندكرو ) في ابريل سنة ١٨٧٣ إذ انتهت مدة خدمته ، فغادرها ، واستخلف في قيادة الجند وإدارة المديرية روف بك أحد ضباط الجيش المصري ، ورجع إلى الخرطوم ، ومنها إلى مصر عن طريق سواكن والبحر الأحمر ، وقابل الخديو بالقاهرة ( أغسطس سنة ١٨٧٣ ) ، فأنعم عليه بالنيشان العثماني ، وأنعم على القائم مقام عبد القادر بك حلى برتبة الميرلاى ، والملازم محمد افندي برتبة الصاغ مكافأة لهم على خدماتهم في بسط سلطة مصر في منطقة خط الاستواء وقد بلغت نفقات هذه الحملة ٨٠٠.٠٠٠ جنيه ، تحملتها خزانة مصر في وقت اشتد بها الضيق المالى ، فكان هذا المبلغ من توضيحات مصر في سبيل نشر لواء الحضارة والتقدم في ربوع السودان



صمويل بيكر باشا مدير خط الاستواء في عهد اسماعيل  
وحواله أركان حربيه وهم القائم مقام عبد القادر حلى بك فالمهندس  
هيجنبوتام Higgnbaiham ، ثم الملازم بيكر

والميرلاى عبدالقادر بك هو من أركان حرب بيكر باشا ، وهو ضابط كف شجاع ، كان له فضل كبير في نجاح الحملة ، وقد امتدحه بيكر في مواطن كثيرة ، وأشاد بصفاته في كتابه ( الاسماعيلية ) ، وأثنى على شجاعته وإخلاصه <sup>(١)</sup> ، وترى رسمة في الصور التي نقلناها عن هذا الكتاب

وعبدالقادر بك هو الذى صار فيما بعد عبد القادر باشا حلى حاكم دار السودان سنة ١٨٨٢ <sup>(٢)</sup> ، وله المواقف المحمودّة في المدافعة عن سلطة مصر في السودان ، مما سيحىء بيانه في موضعه

وكان يعاون السير بيكر في مهمته جعفر مظهر باشا حاكم دار السودان حينذاك ، ( لغاية سنة ١٨٧١ ) ، على أن جعفر باشا رأى بثاقب نظره أن في إسناد هذه المهمة الى أجنبي خطراً على مصالح مصر ، وكتب بذلك تقريراً أرسله إلى الخديو اسماعيل ينبهه فيه إلى ذلك الخطر ، وأشار بإسناد هذه المهمة الى ضباط أركان الحرب من الجيش المصرى ، ولكن اسماعيل لم يلتفت الى هذا الرأى الحكيم ، ولم يعمل به ، واستمر يحسن الظن برواد الاستعمار

تعيين السكولونل غردون ( باشا )

مديراً لخط الاستواء ( ١٨٧٤ - ١٨٧٦ )

لم يكند يمضى قليل من الزمن على انتهاء خدمة السير صمويل بيكر ، وخلو منصب مدير خط الاستواء ، حتى خلفه انجليزى آخر ، وهو السكولونل غردون الذى صار فيما بعد ( غردون باشا )

ومن الغرابة بمكان أن يتعاقب على هذا المنصب الخطير انجليزيان لها مقام معلوم في نظر الجمهور البريطانى والحكومة الانجليزية ، ولم يكن ذلك من قبيل المصادفات ، بل إن اصبع السياسة الانجليزية كان لها دخل في هذا التعيين ، فكما أن الحكومة الانجليزية

(١) الاسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ٦٨ و ٤١٢

(٢) كوشرى . المركز الدولى لمصر السودان ص ٢٦٦

هي التي أوعزت الى الخديو اسماعيل بوساطة ولي عهد انجلترا أن يسند هذا المنصب الى السير بيكر ، فانها هي أيضا التي سعت ادبه في إسناده الى السكولونل غردون سنة ١٨٧٤

فالساسة الانجليزية كانت تنفذ خطتها من التمهد للتدخل في شؤون السودان ، واختارت بداءة ذي بدء منطقة خط الاستواء ، لأنها المنطقة التي جعلتها المرحلة الأولى لبرنامجها ، إذ فيها منابع النيل ، فهي مفتاح السودان من جهة الجنوب ، كما أنها مصدر الحياة لمصر

وليس من المصادفات أن يقع اختيارها على السكولونل غردون بالذات ، فانه الرجل الذي كان قلبه يفيض وطنية وإخلاصاً لبلاده ، فلا جرم أن يبذل كل ما لديه من تضحية في سبيل التوسع البريطاني ، وقد دلت خاتمته المحزنة على أنه كان أكبر ضحية قدمتها انجلترا لتضع يدها على السودان بعد شوب الثورة المهديّة

وبذلك على تدخل السياسة الانجليزية في تعيينه أنها أقنعت الخديو بأن يجعل له من السلطة أكثر مما كان للسير صمويل بيكر باشا ، فقد كان هذا خاضعا لحكمदार عموم السودان ، لسكن غردون عين حاكما لإقليم خط الاستواء ، على أن يكون مستقلا في عمله ، وقصر الخديو سلطة حكمदार السودان على الجزء الشمالي لغاية فاشودة ، وجعل الأقاليم الاستوائية التي تمتد من جنوبي فاشوده<sup>(١)</sup> الى خط الاستواء تحت سلطة غردون ، وفي هذا من إطلاق يده في الجزء الجنوبي من السودان وإضعاف سلطة الحاكم العام المصري ما لا يغيب عن البال ، كل هذا بسعي السياسة الانجليزية وتديرها

جاء السكولونل غردون الى مصر سنة ١٨٧٤ ، وقابل الخديو وكلفه الرحلة الى السودان لتولى منصبه فيها ، وكان حكمदार السودان وقتئذ ( اسماعيل باشا ايوب ) ، فأرسل له الخديو أوامره في هذا الصدد ، وأمره بتنفيذها والحفاوة بغردون عند قدومه ، وإجابته الى كل ما يطلبه ، فاضطر للعمل بهذه الأوامر على ما فيها من غضاضة

(١) لم توضع حدود دقيقة بين مديرتي فاشوده وخط الاستواء ، ويقول فوزي باشا ان جهات خط الاستواء تبدأ من ملتي نهر سوباط بالنيل ، ويرى آخرون أنها تبدأ من (شامبه) على بحر الجبل ( أنظر الخريطة ص ١٢٥ )

وأُنعِم الخديو على السكولونل غردون سنة ١٨٧٥ برتبة الفريق ، فصار يعرف بغردون باشا ، وصارت رتبته العسكرية مساوية لرتبة حاكم دار السودان ، مع أن منصبه الرسمي لم يزد عن كونه ( مدير خط الاستواء )

### توسيع نطاق الحكم المصري في مديرية خط الاستواء

مضى السكولونل غردون الى السودان عن طريق البحر الأحمر وسواكن ، ولما بلغ الخرطوم أعد حملة من الجيش المصري ، صحبته الى مقر سلطته ، فتحركت الحملة جنوبا على ظهر البواخر المصرية ، وصحبه من الخرطوم إبراهيم افندي فوزي ، أحد ضباط الجيش المصري الذي صار فيما بعد اللواء إبراهيم باشا فوزي ، وشهد وقائع السودان من سنة ١٨٧٤ الى شوب الثورة المهديّة ، وشهد معظم وقائع الثورة الى سقوط الخرطوم ومقتل غردون سنة ١٨٨٥ ، وحضر استرجاع السودان سنة ١٨٥٨ ، وله في ذلك كله كتابه المشهور ( السودان بين يدي غردون وكتشنر )

وصلت الحملة الى فاشوده ، بعد مسير سبعة أيام في النيل ، فاستقبلها مديرها بالحفاوة اللائقة ، وشهد غردون وإبراهيم افندي فوزي ، ما وصلت اليه البلاد وقتئذ من العمران والتقدم والحضارة بعناية الحكومة (١) ،

وتابعت الحملة سيرها حتى وصلت الى محطة سوبا ، وهي السكاته على ملتقى نهر سوبا بالنيل ، ثم سارت جنوبا حتى بلغت الاسماعيلية (غندكرو) حيث يقيم رموف بك ، الذي استخلفه السير صمويل بيكر في الحكم وقيادة الجند بمديرية خط الاستواء ، فقابل غردون بالحفاوة والتكريم ، وأطلعته على أحوال البلاد وشؤونها ، وقد أبقاه غردون قليلا ، ثم ما لبث ان أقاله من عمله وأمره بالعودة الى مصر

وقد رأى غردون أن مناخ الاسماعيلية ليس صحيا ، فنقل مركز الحكومة الى (الادو) ، فصارت من ذلك المهد عاصمة مديرية خط الاستواء وبعد أن تولى شؤون الحكومة في تلك الجهات تابع السير جنوبا حتى بلغ بحيرة

(١) السودان بين يدي غردون وكتشنر ج ١ ص ٥



( ألبرت ) ، واستولى على عشرة مراكب من سفن الاهلين ، استخدمها لاكتشاف شواطئ البحيرة ، واستقدم من الخرطوم العدد الكافي من البواخر النيلية ومن آلات الترسانة المصرية بالخرطوم وعمالها ، وأنشأ بالدفلاى شمالى بحيرة ألبرت ( ترسانة ) لتنظيم الملاحة فى أعلى النيل وفى البحيرة ، واستطاع عمال الترسانة أن يفكوا أجزاء بعض البواخر، ويُرْكبوها ثانية فى البحيرة، ولما تم تركيب أول باخرة ، استقلها الكولونل غردون باشا وحاشيته و ابراهيم فوزى ( باشا ) ، فساروا بها فى لجج البحيرة ، فكانت هذه أول مرة رأت فيها بحيرة ألبرت السفن البخارية ، وقد كان منظر الباخرة موضع دهشة الاهلين ، قال ابراهيم فوزى ( باشا ) فى هذا الصدد : « كان الاهالى يقفون على شواطئ البحيرة كلما اقتربنا منها صفوفًا معجبين مندهشين من رؤية الوابور ، إذ لم يكونوا قد رأوا السفن البخارية من قبل ، وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا ضخامته ، ويحارون فى كيفية نقله مع جسامته الى البحيرة ،

وهكذا كان الفتح المصرى يحمل معه أينما سار أسباب الحضارة والعمران وقد أنشأ الكولونل غردون باشا عدة نقاط عسكرية حصينة على شاطئ النيل ، وحصن النقاط التى أنشأها بيكر باشا من قبل ، فما أنشأه نقطة ( سوبات ) على ملتقى نهر سوبات بالنيل ، و ( الناصر ) على نهر سوبات ، و ( شامبه ) و ( بور ) و ( اللادو ) و ( لابورى ) و ( الرجاف ) و ( الدفلاى ) على النيل الأبيض ( بحر الجبل ) ، و ( مكركة ) جنوبى بحر الغزال ، و ( مرولى ) على نيل فيكتوريا ، و ( مقانقو ) الواقعة على مصب نيل فيكتوريا فى بحيرة ألبرت ( أنظر مواقع هذه البلاد على الخريطة الملحقة بهذا الفصل ص ١٢٥ )

وقد لقي الجنود المصريون فى هذه الحملات البعيدة المتاعب المضنية لبعده المسافات وصعوبة المواصلات وراثة الطقس ، وكانت الأمطار تهطل عليهم ليل نهار كأفواه القرب ، واستهدفوا للخاطرات والمفاجآت الجمّة ، واحتملوا كل هذا العناء بصبر وثبات وشجاعة تسجل لهم فى أنصع صفحات تاريخنا القومى

بسطة حماية مصر على مملكة أوغنده

سنة ١٨٧٤

بسطة مصر حمايتها على مملكة أوغنده سنة ١٨٧٤ ، على يد الكولونل شاي لوئج بك Chaille Long bey ، وهو ضابط أمريكي ، دخل في خدمة الجيش المصري سنة ١٨٧٠ ، وعين سنة ١٨٧٤ رئيساً لأركان حرب غردون باشا حين ولايته على مديرية خط الاستواء ، وأخلص النية لمصر ، وخدمها بنزاهة وأمانة أثناء مقامه في السودان ، ودافع بعد ذلك بقلبه ولسانه عن حقوق مصر الخالدة في كتب قيمة ، بعد من أهم المراجع في تاريخ السودان الحديث ، منها : كتاب (مصر ومديرياتها المفقودة) ، و (الانبياء الثلاثة غردون والمهدى وعرابي) ، و (أفريقية الوسطى) ، عدا ما نشره في المجلات الكبرى دفاعاً عن مصر واستنكاراً لمطامع الانجليز في وادي النيل

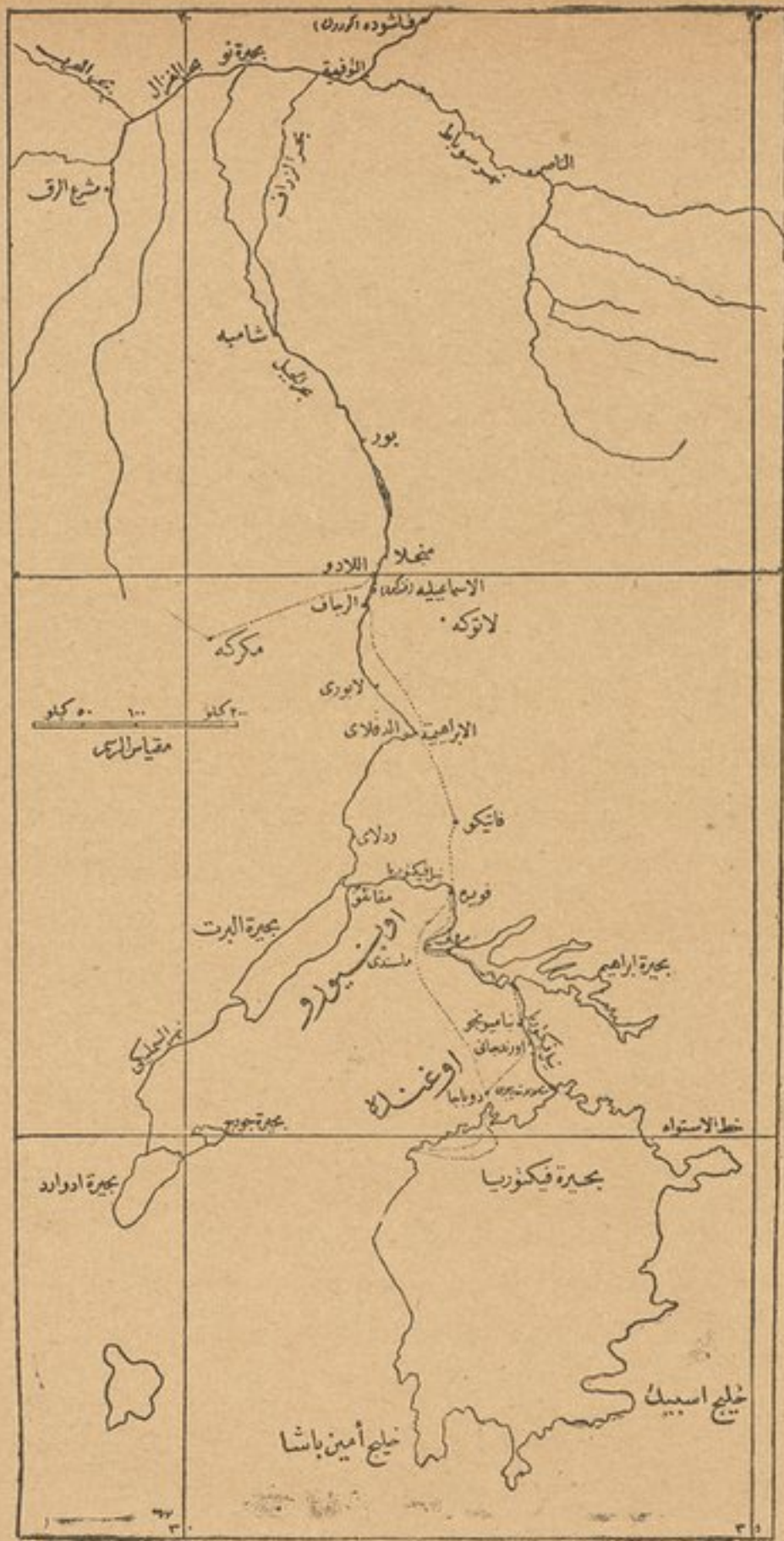
ذكر شاي لوئج بك في كتابه (مصر ومديرياتها المفقودة) انه هو الذي انفضه غردون الى عاصمة الملك (امتيسى) ملك أوغنده ، وانه أدّى مهمته ، ووصل إلى عاصمة أوغنده ، وعقد مع ملكها سنة ١٨٧٤ ، معاهدة بمقتضاها قبل وضع مملكته تحت حماية مصر ، وقد أرسل المعاهدة الى الخديو اسماعيل ، وهذا أبلغ الدول أن مصر ضمت اليها جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت<sup>(١)</sup> ، وقال (ص ٢٥) إن هذه المعاهدة أودعت محفوظات وزارة الخارجية ، ولسكنها فقدت بعد ذلك ، وذكر أن أحد ضباط الجيش البريطاني أحرقها (بعد الاحتلال) ضمن وثائق أخرى نفيسة

وقال في موضع (آخر ص ٢٦) إنه لما وصلت البعثة الانجليزية الى أوغنده في ابريل سنة ١٨٧٥ وجدت بحاشية الملك امتيسى ، ارنست لينان دي بلفون (ابن لينان باشا) الذي أرسله غردون بعد معاهدته الحماية مندوباً عن الحكومة المصرية في بلاط الملك<sup>(٢)</sup> ، وذكر أن نفوذ مصر قد امتد الى كل الأصقاع التي تحيط ببخيرة

(١) مصر ومديرياتها المفقودة ص ١٢ للكولونل شاي لوئج بك

Egypte et ses Provinces Perdues par Chaille Long bey

(٢) وقد قتل في عودته من أوغنده الى الرجاف في اغسطس سنة ١٨٧٥



خريطة مديرية خط الاستواء  
 حماية مصر على ملكته

والحظ المنقوط يمثل الطريق الذي سلكه الكولونيل شاني لوج بك في مسيره الى أوغنده حيث عقد مع ملكها سنة ١٨٧٤ المعاهدة التي قبل بمقتضاها

فيكتوريا ، وخاصة مملكة أوغنده ، وان الملك اميتسى كان يفتخر بتبعيته لسلطان  
مصر (١)

### مذكرة شريف باشا إلى الدول

عن امتلاك مصر منطقة البحيرات

وأورد في كتابه (ص ٢٦) المذكرة التي أرسلها شريف باشا (الوزير المشهور)  
وزير خارجية مصر في ذلك الحين إلى الدول خاصة بضم منطقة البحيرات إلى مصر ،  
وخلاصتها أن غردون استولى على منطقة (مرولى) الواقعة على نهر سومرست (٢) ،  
وأن الجنود المصرية أسسوا محطة في (ماسندى) عاصمة مملكة (أونيورو) ومحطة  
أخرى في (أورندجاني) على نهر السومرست ، بالقرب من بحيرة فيكتوريا ، وأخرى  
على بحيرة فيكتوريا ذاتها بالقرب من شلالات (رييون (٣) ، وأخرى في كل من  
(ماقنقو) و (الدفلاوى) ، وعلى ذلك بسطت مصر سلطتها على جميع البلاد الواقعة  
حول بحيرة فيكتوريا ، وبحيرة البرت ، وسننشر نص هذه المذكرة في قسم الوثائق  
التاريخية

ونشرت (الوقائع المصرية) البيان الآتي عن أوغنده : «ورد تلغراف إلى المعية  
السنية من سعادة غردون باشا في ٢ أغسطس سنة ١٨٧٦ يتضمن أن الملك اميتسا طلب  
منى عساكر لأجل اقامتها في بندر حكومته ، فأرسلت إليه مائة وخمسين عسكريا ،  
ورتبث ثلاثين عسكريا في بلدة (أورندجاني) ، ومثلها في بلدة (بكبتيشة) ، فكانت  
تلك الجهات والحالة هذه في حوزة الحكومة المصرية ، وقد وصلنا إلى «مقنقو» في ٢٧

(١) مصر ومديرياتها المفقودة للسكولونل شابي لونيغ بك ص ٢٠٤

(٢) هو الاسم الذي أطلقه الرحالة اسبيك على النيل بين منبعه من بحيرة فيكتوريا إلى  
مصبه في بحيرة البرت ، ويسمى أيضا نيل فيكتوريا

(٣) حيث يخرج النيل من بحيرة فيكتوريا

جمادى الثانية (سنة ١٢٩٢) بعد سفر سبعة أيام من (روفلى) ، والبحر هناك (١) جيد صالح لسير السفن فيه بسهولة ، وشطوطه معمورة بكثرة الناس فيه ، وأراضيه صالحة للزراعة ،

« وبعد ثلاثة أيام نتوجه إلى (مرولى) و (أورندجان) و (امتيسا) عاصمة أوغنده ، وبمكثنا الوصول إلى سائر تلك الجهات بغاية الراحة التامة والسهولة ، (٢) هذا ما ذكرته الوقائع المصرية ، وهى الجريدة الرسمية للحكومة ، وفيها تأييد للحقائق التى أوردها شاي لونج بك ، ومن كل ذلك يتبين انضمام أوغنده ومنطقة البحيرات إلى مصر فى عهد الخديو اسماعيل

- موقف غردون -

ذكر غردون فى رسائله إلى أخته أن شاي لونج بك ، أرسل إلى الخديو اسماعيل تقريراً امتدح فيه ولاء امتيسى ، فنال رضا الخديوى وأرسل إلى لونج بك عربة جميلة هدية للملك (٣)

وظاهر من لهجة غردون فى رسائله إلى أخته أنه لم يكن مرتاحاً إلى إحكام مصر روابطها بأوغنده وملكها ، فقد ذكر (٤) أن الملك امتيسى أقسم يمين الولاء لمصر فى مارس سنة ١٨٧٦ ، وأنه (أى غردون) كان يبغي بقاء ملك أوغنده مستقلاً ، ولكنه هو الذى دعا الحامية المصرية التى كان غردون معتمداً عليها فى (أورندجان) إلى الاستقرار فى عاصمة أوغنده (دوباجا) (٥) وقد استقرت بها فعلاً فى أغسطس سنة ١٨٧٦ (٦)

(١) يريد النيل

(٢) الوقائع المصرية عدد ٦٧٤ الصادر فى ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٢ هـ (سبتمبر سنة ١٨٧٦ م)

(٣) رسائل الكولونل غردون إلى أخته ص ١٤٢

(٤) رسائل الكولونل غردون إلى أخته ص ١٦٨

(٥) وتسمى أيضاً امتيسى على اسم الملك

(٦) رسائل غردون إلى أخته ص ١٧٦

وغنى عن البيان أن غردون لم يكن ينبغي من استقلال أوغنده دفاعاً عن مصالحها ، بل كل ما ينبغي أن تكون بعيدة عن التبعية المصرية ، حتى تصير فيما بعد لقممة سائغة لانجلترا ، وقد بسطت فعلاً حمايتها عليها بعد فصل السودان ، وهكذا يتبين لك أن غردون لم يكن خالص النية لمصر مثل شاني لونج بك ، بل كان يخدم السياسة الانجليزية أثناء تقلده منصب الحكم في مديرية خط الاستواء ، وكذلك عند ولايته حاكماً عاماً للسودان سنة ١٨٧٧ كما سيجيء بيانه

### اكتشاف بحيرة (ابراهيم)

سنة ١٨٧٤

اكتشف السكولونل شاني بك لونج ، سنة ١٨٧٤ ، بحيرة (ابراهيم) إحدى البحيرات التي ينبع منها النيل ، وهي الواقعة شمالى بحيرة فيكتوريا ، وقد سماها بحيرة (ابراهيم) باسم ابراهيم باشا أبى الخديو اسماعيل ، وكانت تسمى من قبل بحيرة (كيوجا) ، وقد غلب عليهم الاسم الاصلى فى مصورات الجغرافية (الأطالس) الحديثة وكتبها ، لأن معظم الجغرافيين من الإفرنج يابون أن يطلقوا اسماً عربياً مصرياً على منابع النيل ، أما البحيرات الأخرى فيسبغون عليها أسماء أوروبية ويسمونها بحيرة (فيكتوريا) وبحيرة (ألبرت) ، وبحيرة (جورج) وبحيرة (إدوارد) ، أما بحيرة (ابراهيم) فلا يروق لهم تسميتها بمثل هذا الاسم المصرى فيبقون اسمها القديم (كيوجا) ، وهذا لعمري ليس من الحق ولا من الانصاف فى شيء

ومن واجب مهندسى مصر وأساتذة الجغرافيا والتاريخ أن يعبروا عن هذه البحيرة باسم (بحيرة ابراهيم) ، ويتخذوه علماً لها فى مباحثهم ودروسهم ومؤلفاتهم وأطالسهم حتى يرسخ هذا الاسم فى أذهان النشء والجمهور ، وفى وثائق الحكومة وخرائطها ، ويذيع بين الناس فى مصر والشرق ، ثم فى أوروبا ، كما ذاعت أسماء بحيرة (فيكتوريا) وما إليها ، وإن اسم بحيرة (ابراهيم) أحق بالإذاعة من الأعلام الانجليزية التي أطلقت على البحيرات الاستوائية الأخرى ، فان اكتشاف هذه البحيرة تم على يد ضابط من ضباط الجيش المصرى ، باسم مصر ولحساب مصر ، فى عهد اسماعيل بن ابراهيم ، وبجهوده

ورعايته ، ومكتشفها قد اختار لها هذا الاسم تحقيقاً لرغبة الخديو اسماعيل ذاته ، فواجب الوفاء والمنطق يقضى باحترام هذه التسمية واتباعها ( أنظر الخريطة ص ١٢١ ) وقد ذكرها العلامة جورج شونفرت Schweinfurth في خريطته التي وضعها لبيان خط سير إرنست، لينان دي بلفون من الرجاء إلى بحيرة فيكتوريا سنة ١٨٧٥ ، وسماها باسمها الصحيح ( بحيرة ابراهيم ) ، وكتب بجانبها العبارة الآتية ( اكتشفها لونج بك في أغسطس سنة ١٨٧٤ ) ، وتجده هذه الخريطة ملحقة بالعدد الأول من السنة الأولى لمجلة الجمعية الجغرافية الخديوية ( نوفمبر سنة ١٨٧٥ - فبراير سنة ١٨٧٦ ) ، وسماها غردون في خريطته ( بحيرة كيوجا أو بحيرة ابراهيم ) ، وهي تشمل بحيرة كيوجا وبحيرة كوانيا المتصلة بها

وللسكولونل شايي لونج بك رسالة منسوبة في مجلة الجمعية الجغرافية ( بمجموعة ٣ عدد ٧ سبتمبر سنة ١٨٩١ ص ٥٤٠ ) اعترض فيها على إغفال اسم بحيرة ابراهيم ، وذكر وثائق هامة عن اكتشافاته وخدماته لمصر في مديريةية خط الاستواء وفي الحق ان السكولونل شايي لونج بك يجب أن يقترن اسمه بأسماء مكتشفي منابع النيل ، فالرحالتان ( اسبيك ) و ( جرانت ) اكتشفا بحيرة فيكتوريا ومنبع النيل منها ، والسير ( صمويل بيكر ) اكتشف بحيرة ألبرت ، و ( شايي لونج بك ) اكتشف بحيرة ابراهيم ، ويجرى النيل من أورندجانى الى مرولى ثم الى فويره

وقد ذكر في كتابه «مصر ومديرياتها المفقودة» ص ١٤٨ أنه بعد أن اكتشف بحيرة ( ابراهيم ) قصد الى ( ماسندى ) عاصمة ( اونيورو ) ، فألنى ملكها القديم ( كابريقه ) يناسب الحكومة العداء ، وان كابريقه هذا هاجمه في قوة من ٦٠٠ مقاتل ، فانسحب لونج بك الى ( فويره ) الواقعة على نيل فيكتوريا

وذكر غردون باشا<sup>(١)</sup> ان كابريقه اخلى ( ماسندى ) في يناير سنة ١٨٧٦ وان المواصلات أعيدت الى هذه العاصمة

استعفاء غردون من منصبه سنة ١٨٧٦

بقى السكولونل غردون مديراً لعموم خط الاستواء الى أن استعفى من منصبه سنة

(١) في رسالة الى أخته ص ١٦٥ - ١٧٦

١٨٧٦ ، وعاد الى القاهرة ، ومنها الى انجلترا ، ولعله رحل اليها ليطلع حكومته على أحوال المنطقة التي تولى حكمها ، ولينلقى تعليماتها الجديدة فيما تأمره به ، لأنه لم يلبث في انجلترا ثلاث سنوات الا قليلا ، حتى تدخلت الحكومة الانجليزية لدى الخديو لتعيينه في منصب أكبر من منصبه القديم ، إذ جعله حكامدار عموم السودان ، فصارت أقاليم السودان تحت مطلق سلطته كما سيحيى بيانه

### مصير مديرية خط الاستواء

عندما غادر غردون باشا منصبه الأول سنة ١٨٧٦ استخلف في خط الاستواء وكيله السكولونل «بروت» Prout ، وهو ضابط أمريكي التحق بخدمة الجيش المصري وخدم تحت لواء غردون ، وفي عهد حكمدارية غردون باشا للسودان جعل ابراهيم بك فوزى مديراً لخط الاستواء ، ثم فصله وعين مكانه الدكتور إدوار شنتزر Eduard Schnitzer وهو طبيب ألماني صحب غردون في السودان واعتنق الاسلام ، وعرف بأمين بك ، وأخلص لمصر ، فبقى يتولى الحكم في خط الاستواء الى شوب الثورة المهديية ، ولم تستطع قوات المهدي أن تستولى على هذه المديرية وظل أمين بك يحكمها باسم الحكومة الخديوية ، ونقل عاصمتها من اللادو الى فرادلاي جنوباً ليكون بعيداً عن غزوات المهديين ، وبقى في مركزه حتى اضطرت الحكومة المصرية بضغط الانجليز الى إخلاء السودان ، وأنعم عليه الخديو توفيق برتبة الباشوية جزاء إخلاصه لمصر ، فصار يعرف بأمين باشا ، وأرسل اليه نوبار باشا رئيس مجلس الوزراء وقتئذ يبلغه قرار الجلاء عن السودان وتركه وشأنه ، فأثر البقاء في منصبه ، مخلصاً لمصر وحكومتها ، معتمداً على ولاء الضباط والجنود المصريين والسودانيين الذين تحت إمرته ، ولكن الانجليز أبوا عليهم البقاء ، فأرسلوا الرحالة استانلي بحجة «إنقاذ أمين باشا» ، والواقع لإجلائه عن مديرية خط الاستواء والقضاء على سلطة مصر فيها ، فاضطره استانلي سنة ١٨٨٩ الى الجلاء عنها ، وبانسحاب أمين باشا من مديرية خط الاستواء تقلص ظل السلطة المصرية عن هذا الإقليم ، وانتهزتها انجلترا فرصة فاحتلت أوغندة وجعلتها تحت حمايتها (سنة ١٨٩٣) وألحقت بها الجزء الجنوبي من مديرية خط الاستواء

ولما تم استرجاع السودان سنة ١٨٩٨ أكرمت مصر على توقيع اتفاقية سنة ١٨٩٩



الباطلة التي جعلت إدارة السودان مشتركة بين مصر وانجلترا ، وعدلت حدوده طبقاً لأهواء الانجليز ، فبعد أن كانت حدود السودان المصرى تنتهى عند بحيرة فيكتوريا صارت بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ تنتهى عند ( منجلا ) شمالى غندكرو ، والآن تنتهى عند ( نيمولى ) - الابراهيمية - ، وبذلك اغتصبت انجلترا معظم مديريةية خط الاستواء القديمة ، وخسرت مصر تلك المديرية الشاسعة بعد أن بذلت فى سبيل فتحها وتعميرها ما بذلت من الجهود والأموال ، والضحايا والرجال

### منع الاتجار بالرقيق

كان الاتجار بالرقيق ممنوعاً من عهد محمد على ، لسكن هذا المنع لم يكن إلا اسماً ، وبقيت تجارة الرقيق فى السودان قائمة الى عهد سعيد باشا ، بعين الحكومة وبصرها ، وتأييد موظفيها ، وكان يتولاها تجار أقوياء لهم بيوت تجارية كبيرة تتجر فى حاصلات السودان وفى الرقيق ، وتربح من كل ذلك الأرباح الطائلة ، وكان تجار الرقيق لما لهم من النفوذ والسطوة والمال يقيمون فى مختلف الجهات معاقل حصينة اتخذوها مراكز للتجارة واصطياد الرقيق

فلما تبوأ اسماعيل عرش مصر اعترم أن ينضم الى حركة العاملين على تحرير الأرقاء فى أنحاء العالم ، وأن يكسب ثناء الانسانية فى مقاومة تجارة الرقيق ، وبذل جهوداً كبيرة فى هذا السبيل

ففى سنة ١٨٦٣ أرسل الى موسى باشا حمدى حاكم دار السودان وقتئذ يأمره بتعقب تجار الرقيق وحرهم ، فصعد الحاكم دار بالأمر ، وضبط سبعين سفينة مشحونة بالأرقاء بين « كاكا » و « فاشوده » وأطلق سراحهم ، وأعادهم إلى بلادهم ، واعتقل التجار الذين جلبوهم ، ولم يفرج عنهم إلا بعد أن أعطوه العهود والمواثيق أن لا يعودوا الى النخاسة وكان لاحتلال فاشوده سنة ١٨٦٥ أثر كبير فى سدّ طريق النيل فى وجه تجار الرقيق الذين كانوا يقتنصون الأرقاء فى جهات بحر الغزال وخط الاستواء ويشحنونهم فى السفن وأصدر اسماعيل أمره بتحرير كل عبد أو جارية يثبت على سيدهما أنه أساء معاملتهما وفى عهد حكمدارية جعفر مظهر باشا واسماعيل أيوب باشا بذلت الحكومة جهوداً

موفقة في محاربة تجارة الرقيق ، وقد عهد الخديو أيضاً الى السير صمويل بيكر ثم الى  
غردون باشا من بعده العمل على تحقيق هذه الغاية كما تقدم بيان ذلك تفصيلاً  
ففي الحق أن الخديو اسماعيل قام بعمل مجيد ، وأسدى الى الانسانية خدمة جليلة  
في منع هذه التجارة الممقوتة

لكن من الحق أن نقول أيضاً ان عمله كان في حاجة الى شيء من الحكمة والروية ،  
فان تجارة الرقيق كان يقوم بها اناس أقوياء في السودان ، لهم من أعيان البلاد أنصار  
وتألف منهم طبقة كبيرة من الأهلين

كانت هذه التجارة مصدر ثروتهم ، فضلاً عن ان الأيدي العاملة في الزراعة ورعى الماشية  
وغير ذلك كان معظمها من الرقيق ، وقد ألف أعيان السودان والطبقة المتوسطة من  
أهله استخدام الارقاء كأتباع لهم وموال ، ونظموا حياتهم على هذا الأساس ، ففاجأة  
السودان بتحرير الارقاء دفعة واحدة كانت مجازفة لا تحمد عواقبها ، هذا الى أن الخديو  
قد جعل على رأسه مقاومة الاتجار بالرقيق جماعة من الاجانب ، فاستثار وجودهم  
عواطف الأهلين الدينية ، وكرهيتهم للحكومة ، فاجتمعت هذه العوامل وكانت من  
أسباب قيام الثورة المهديّة

فالامر اذن كان في حاجة الى التأنى والحكمة ، اعتبر ذلك في أن الحكومة الانجليزية  
حينما قررت إبطال الرقيق في أملاكها خصصت عدة ملايين من الجنيهات لتعويض  
موالى الارقاء المحررين

فكان من الواجب على اسماعيل باشا أن يأخذ في مشروعه بالهوادة وبعد النظر ؛  
وحسن السياسة ، لسكنه لم يفعل ، واعتزم مقاومة تجارة الرقيق ومنع الاسترقاق فحسب  
فاستهدفت الحكومة لعداء طبقة كبيرة من أعيان السودان وتجاره ، مما ظهر أثره في نجاح  
دعوة المهدي أوائل عهد توفيق باشا إذ انضم الى الثورة تجار الرقيق في السودان

وفي هذا الصدد يقول المسيو «داريل» Daryl في مقدمة «رسائل غردون الى أخته»  
ما يأتي : «عهد الخديو اسماعيل الى الكولونل غردون مطاردة تجار الرقيق في السودان  
ولسكن المجهودات العنيفة التي بذلها ذلك الضابط الانجليزي لم يكن لها من نتيجة عملية  
سوى إثارة الطبقة التي كانت مصر تعتمد عليها في السودان ،

وقد أبرم اسماعيل في ٤ اغسطس سنة ١٨٧٧ معاهدة مع الحكومة الانجليزية (١) للتعاون على منع الاتجار بالرقيق ، احتوت نصوصا تمكن الانجليز من الاقليات على سيادة مصر ومصالحها ، اذ اباحت لهم الرقابة على السفن الحاملة للراية المصرية وتفتيشها وضبطها بحجة تعاطيها تجارة الرقيق ، فكانت معاهدة لا خير فيها ، ولا فائدة منها لمصر

ظهور الزبير باشا رحمت (٢)

كان الزبير أكبر تجار السودان ، وخاصة في تجارة الرقيق ، وله نفوذ واسع وسلطان كبير في اقليم بحر الغزال

وقد شبت حرب بينه وبين أحد ملوك بحر الغزال انتهت بهزيمة هذا الملك ، فامتلك الزبير بلاده ، واتخذ عاصمته مقر له ، وسماها ( ديم الزبير ) ، فصار فيها ملكا ، ودانت له جهات بحر الغزال ، وتقاطر الناس اليه للانتظام في خدمته ، فجمع لنفسه جيشاً قويا لتأيد سلطته ، واقتناص الرقيق ، وفتح طريق التجارة من بحر الغزال الى كردفان

وفي سنة ١٨٦٩ جاء بحر الغزال رجل يدعى (البلاى) قادماً من الخرطوم ومعه نفر من الجنود لاحتلال هذا الإقليم باسم الحكومة الخديوية ، ومعه فرمان بتسميته مديراً لبحر الغزال ، ولكن الزبير جمع جيشه ، وكن أتباعه للبلاى فقتلوه ، ثم خشي الزبير عاقبة عدائه الحكومة المصرية ، فنجح الى مسالمتها ، وأظهر ولاءه لها واعترف بسلطة الخديو

واتسع سلطانه ، ففتح بلاد (شكا) الواقعة بين بحر الغزال ودارفور ، ووضع بين يدي الحكومة الخديوية الأقاليم التي دانت له لتنصب لها الحكام ، وجعل تقدمته لها دليلاً على ولائه ، وقد أخلص فعلاً لمصر وبقي على ولائه طول حياته

(١) مجموعة المعاهدات لدى مارتانس . سلسلة جديدة ، ج ٢ ص ٤٩٣

De Martens. Nouv. Recueil gen. des Traités 11 P. 493

وتجدد نصها العربي في قاموس جلاذ ج ٢ ص ٢٣٨ طبعه سنة ١٩٠٠

(٢) استأخضنا ما ذكرناه عن الزبير من ترجمة حياته بقلمه المنشور في كتاب السودان

لنعوم بك شقير ج ٢ ص ٦٧ ، وما ذكره ابراهيم باشا فوزى في كتابه ج ١ ص ١٣٦

فشكره الخديو على إخلاصه ، وأنعم عليه برتبة بك ، وعهد اليه حكم البلاد التي  
فتحتها باسم الحكومة الخديوية ، وهي بحر الغزال وشكا فصار مسديراً لبحر الغزال ،  
وجعلت مدينة شكا عاصمة للديرية

فتح سلطنة دارفور

سنة ١٨٧٤

رغب الزبير باشا الى حكم دار السودان ، اسماعيل باشا أيوب ، فتح دار فور ، وكانت  
الى ذلك العصر مملكة مستقلة ، ولئن أدخلتها الفرمانات الصادرة لمحمد علي ضمن أملاك  
مصر ( انظر عصر محمد علي ص ٣٤٧ ) إلا أنها بقيت مستقلة فعلا عن الدولة المصرية  
الى ذلك الحين ، وكان عليها ملك يسمى السلطان ابراهيم يناوىء الزبير ويعمل على إجلائه  
عن « شكا » ، فأيدت الحكومة مشروع الزبير ، وعهد الخديو الى اسماعيل باشا  
أيوب فتح دارفور باشتراكه مع الزبير بك

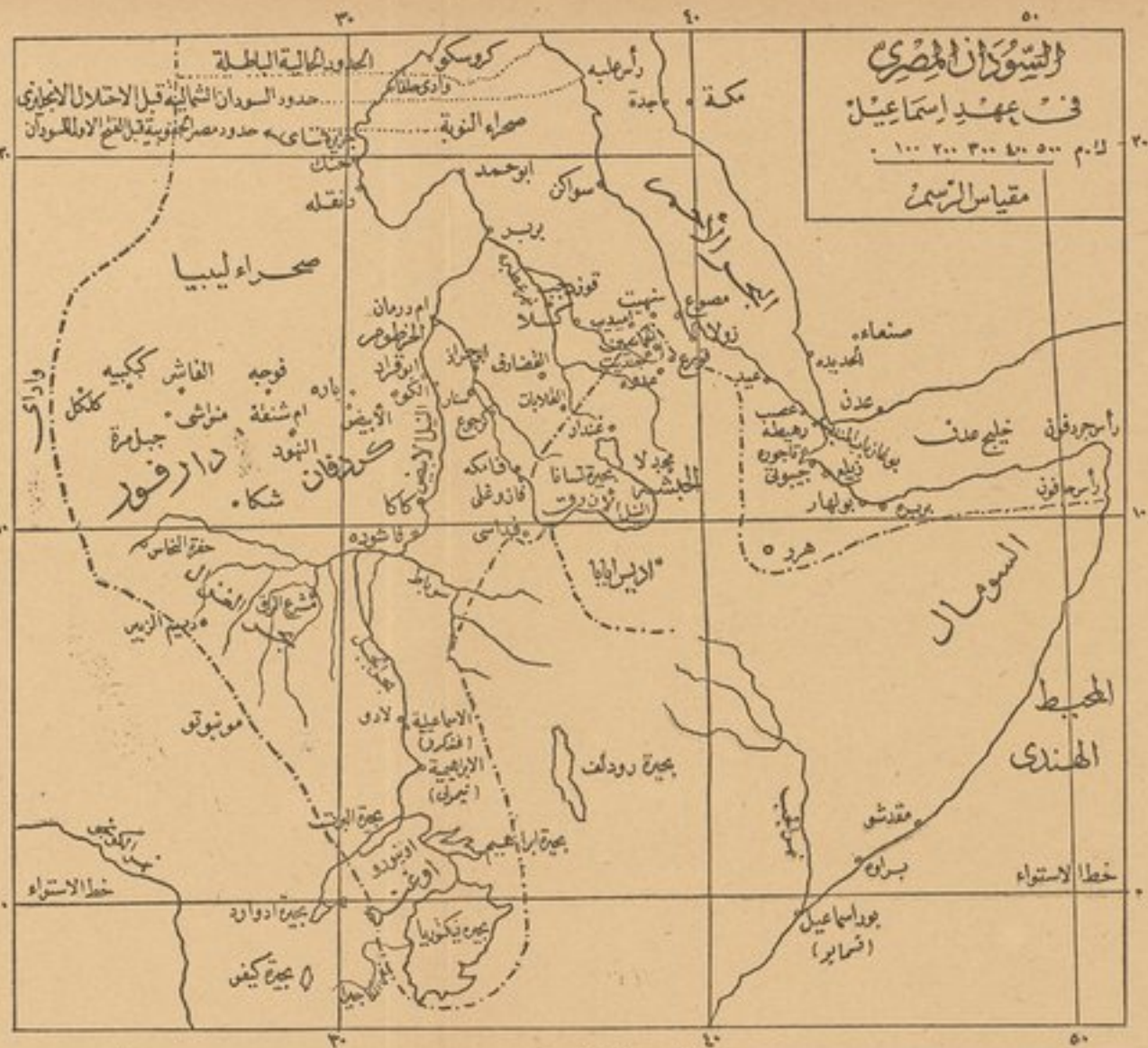
معركة منواشى ( ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٧٤ )

فجهز جيشا في كرفان ، وعهد الى الزبير بك حشد جيشه في بحر الغزال كي يحاط  
بدارفور من الشرق ومن الجنوب

فسار الزبير من الجنوب ، وتلاقى مع قوات سلطان دارفور ، وكانت تتألف من  
نحو عشرين الف مقاتل ، فهزما الزبير غير مرة ، واشتبك الجمعان في « منواشى » حيث  
نشبت بينهما في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٧٤ معركة فاصلة ، انتهت بانتصار الزبير انتصاراً  
مبيناً ، وقتل السلطان ابراهيم وتشنت جيشه ، فدانت البلاد للحكم المصري ، ودخل  
الزبير مدينة الفاشر عاصمة دارفور

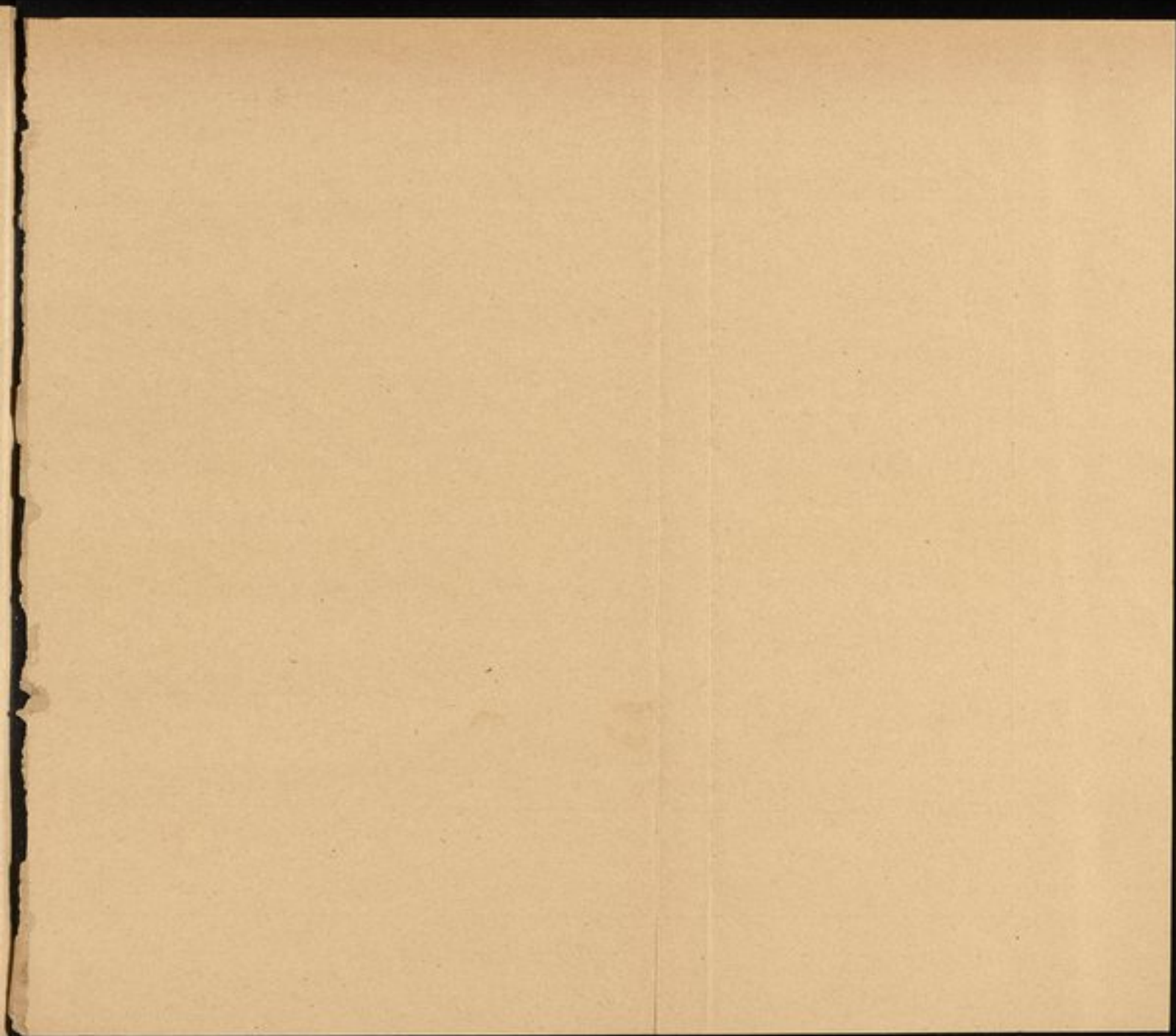
ثم جاء اسماعيل باشا أيوب على رأس الفرقة الزاحفة من الشرق ، فدخل المدينة  
في ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٤ ( ٢٧ رمضان سنة ١٢٩١ ) ، وانتهت الحرب بضم سلطنة  
دارفور الى املاك مصر

وأرسل الحكمدار يبشر الخديو باخبار الفتح ، فابتهج بهذا النصر المبين ، وانعم



مقابل ص ١٣٠

السودان المصري وحدوده  
في عهد اسماعيل



على اسماعيل باشا أيوب حكمدار السودان برتبة الفريق ، وعلى الزبير برتبة اللواء فصار يعرف بالزبير باشا ، وعهد الى الحكمدار تبليغ أفراد الجيش الذي تولى هذا الفتح ثنائه وتحياته ، لما أبلوه في فتح دارفور ، فلما تلقى الحكمدار هذه الرسالة جمع الجيش في الفاشر ، وتلا عليهم تبليغ الخديو في احتفال عسكري مهيب ، وأطلقت المدافع ابتهاجا واجلالا (١)

وبفتح دارفور زاد عدد سكان الدولة المصرية نحو ثلاثة ملايين نسمة وأقام اسماعيل باشا أيوب حصناً منيعاً في الفاشر ، وبني داراً للحكومة ، ومنزلاً للحاكم ، وثكنة للجنود ، ووطد دعائم الأمن والطمأنينة ، وأقام في المدينة سوقاً عامرة للتجارة

على أن الزبير باشا شكاً من فداحة الضرائب التي فرضها اسماعيل باشا أيوب على الأهلين ، فاستاء الحكمدار من هذه الشكوى ، ورفع الأمر الى الخديو ، فأرسل يأمر الزبير باشا بعدم التعرض للحكمدار في إدارة البلاد ، فطلب الزبير من الخديو أن يحمي إلى مصر ليعرض عليه حقيقة الحال ، ويفضي إليه بآرائه في تنظيم الاقليم ، فأجاب الخديو إلى طلبه وأذن له بالحضور ، فسار الى مصر ، واستخلف ابنه سليمان في قيادة جنده

ولما جاء مصر أكرم الخديو وفادته ، ولسكنه لم يأذن له بالعودة الى السودان ، فأدرك أن المراد من ابقائه أن يكون رهينة لولائه للحكومة ، فأذعن للبقاء والاقامة في مصر مشمولاً بعطف الحكومة وإكرامها

ضم زيلع وبربره ( سنة ١٨٧٥ )

« زيلع ، و « بربره ، من بلاد السومال الشمالية الواقعة على خليج عدن ، ذكرهما ياقوت في معجم البلدان ج ٢ ص ١٠٦ و ج ٤ ص ٤٢٥

وأهم مدنها ثغور « زيلع ، و « بربره ، و « بوهار ، وتعد الأولى ميناء سلطنة هرر على خليج عدن ، وملتقى متاجر هذه البلاد من البن وسر، الفسل والجلود وريش النعام

(١) عن الوقائع المصرية ، العدد ٥٨٥ الصادر في ٣ ديسمبر سنة ١٨٧٤

والصمغ العربي والمر وغير ذلك ، ولهذا الثغور عامة أهمية بحرية ، لأن من يملكها يتسلط على الملاحة في خليج عدن الى مدخل البحر الأحمر

ومن بلاد زيلع بلدة ( جبرت ) التي نشأ منها أجداد ( الجبرتي ) المؤرخ المصري المشهور ، فقد ارتحل جده السابع ( الشيخ عبد الرحمن ) الى مصر في أوائل القرن العاشر للهجرة ، واستوطنت أسرة الجبرتي مصر من ذلك العهد

كانت زيلع وبربره من أملاك تركيا ، تابعتين للواء ( الحديدية ) باليمن ، ففكر الخديو اسماعيل في ضمهما الى أملاك مصر حينما اعترم فتح سلطنة ( هرر ) لأن زيلع هي ميناء هرر كما قدمنا ، فسعى الى ذلك لدى الحكومة العثمانية ، ونجح في مسعاه ، إذ صدر له فرمان من السلطان في أول يولييه سنة ١٨٧٥ ( ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٨٩٢ ) بالتنازل له عن ( زيلع ) وملحقاتها ، وذلك مقابل زيادة في الجزية السنوية قدرها ١٥٠٠٠٠ جنيهه عثمانى <sup>(١)</sup> ( ١٣٢٦٥ جنيهه مصري ) ، ويدخل في ملحقات زيلع ثغور « بربره » و ( بولها ) و ( تاجوره )

وقد جعل الخديو من هذه البلاد محافظتين عرفتا بمحافظة « زيلع » ، ومحافظة « بربره » ، وأرسل الحاميات المصرية الى الثغرين المذكورين ، فجاءت زيلع كتيبة من الجند بقيادة محمد رموف باشا الذي مر ذكره في الكلام عن مديرية خط الاستواء ، وجعل رموف باشا محافظاً لزيلع ، والأميرال رضوان باشا محافظاً لبربره ، وكان هذا الأميرال يقود السفينة الحربية المصرية التي أقلت الحامية الى الميناء المذكور

وجعل الأمير أبو بكر ابراهيم أمير زيلع السابق وكيلاً لمحافظة وملحقاتها ، وأنعم عليه بالرتبة الثالثة <sup>(٢)</sup> ثم رقى الى منصب المحافظ <sup>(٣)</sup>

وعين الحكام العسكريون والمليكيون في المحافظتين ، وعنوا بعمرانهما ، فأقاموا بهما عدة مبان للحكومة وللجهاك والشكنات العسكرية ، وأنشأوا مسجداً في « بربره »

(١) الوقائع المصرية العدد ٦١٥ ( ١٥ يولييه سنة ١٨٧٥ )

(٢) و (٣) الوقائع المصرية العدد ٦٢٨ - ١٧ أكتوبر سنة ١٨٧٥ - والعدد ٦٣١ - ١٤

نوفمبر سنة ١٨٧٥



وصهر بجأ لحزن المياه العذبة بها ، ومدوا أنابيب الماء فيها ، وأنشئت مكاتب للبريد في كلا الثغرين ، قال غردون باشا في رسائله ص ٢٧ ، إن المنشآت التي أقيمت في بربره كلفت مضر سبعين ألف جنيه

وبضم زيلع وبربره امتدت سلطة مصر من سواحل البحر الأحمر الى سواحل خليج عدن الشمالية ، أى من سواكن الى مصوع ، فزولا ، فعيد ، فعصب ، فتاجوره ، فزيلع ، فبولهار ، فبربره ، ثم وصلت الى رأس جردفون (جردفوى) على المحيط الهندى

وقد بقيت محافظتنا زيلع وبربره ملكا لمصر . الى أن اغتصبهما الانجليز بعد شوبو الثورة المهديّة ، إذ أكرهوا الحكومة المصرية على الجلاء عن السودان ، وشمل القرار هاتين المحافظتين ، فأخلفتهما الحامية المصرية في مايو سنة ١٨٨٥ ، واحتلها الانجليز من ذلك الحين ، وما زالوا يحتلونها الى اليوم ، ولسكنه احتلال غير شرعى ، لأن مصر لم تنازل عن حقوقها في تلك البلاد ، ولم تقر الاحتلال الانجليزى بها

#### فتح هرر ( سنة ١٨٧٥ )

تقع سلطنة ( هرر ) شرق الحبشة وغربى زيلع ، وهى إمارة إسلامية مستقلة ، يبلغ عدد سكانها نحو مليونى نسمة ، وأرضها زراعية ، نجود فيها زراعة البن والقمح والذرة والبقول والعدس والموز والفاكهة والقصب ، ويزرع فيها أيضاً القطن وهو أقل مرتبة من القطن المصرى ، وتنسج منه أقمشة متينة ، وأهم حاصلاتها البن الذى لا يقل جودة عن البن اليمنى

وتبادل هرر المتاجر مع الخارج ، فتصدر البن والصمغ وريش النعام والزعفران والمر والزبد والجلود على اختلاف أنواعها ، وتستورد الأقمشة والمنسوجات والنحاس والزجاج وما الى ذلك

وعاصمتها مدينة هرر ، الواقعة على بعد ٢٣٢ ميلا من زيلع وهى من المدن العامرة ، يسكنها ٣٥ ألف نسمة ، وهم على جانب من الحضارة ، ذكر عنهم اللواء محمد مختار باشا أن التعليم منتشر بينهم ، وفيهم الشعراء والأدباء ، وان جميع الصغار فيهم يتعلمون القراءة والكتابة والرياضيات والفقهاء على مذهب الإمام الشافعى ، وأن عادة تعدد الزوجات

معدومة بين أهلها ، والطلاق نادر فيهم ، قال : إنه قضى في المدينة سنة كاملة ( من أواخر سنة ١٨٧٥ الى ١٨٧٦ ) لم يشهد فيها إلا حادثة طلاق واحدة (١) ، وكان على هرر قبل الفتح المصرى أمير يدعى محمد عبد الشكور ، سار في حكمه سيرة ظلم ، وإرهاق ، فنقم منه الأهلون اعتدسافه وتمنوا أن يُدال منه

واعتزم اسماعيل فتح هذه السلطنة ، لما لموقعها من الأهمية ، ولأنها تعد من البلاد المسكلمة للسودان ، فأخذت الجنود المصرية المرابطة في زيلع تستطلع أحوالها وتتعرف طرق الوصول إليها ، وبعد ان تم لها ذلك زحفت فرقة من الجيش المصرى بقيادة محمد رءوف باشا في سبتمبر سنة ١٨٧٥ قاصدة الى « هرر » عاصمة الإمارة ، ورافق الحملة بعض ضباط أركان الحرب بقيادة البكباشى محمد مختار بك ، وهو الذى صار فيما بعد اللواء محمد مختار باشا صاحب الكتاب القيم ، التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية ، وله المحاضرات النفيسة في الجمعية الجغرافية

لم تلق الفرقة في زحفتها مقاومة تذكر ، اللهم إلا ما كان من بعض قبائل الجلا اذ اعترضوا زحفتها ، واصطدموا بالحملة في معركتين ، دامت احدهما سبع ساعات وانتهت بتسليم القبائل (٢) ، واستأنفت الحملة سيرها الى أن وصلت الى مدينة هرر ، وفتحتها في ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥ ورفعت العلم المصرى على أبوابها وفوق قصر أميرها ، وبذلك ضمت تلك السلطنة الى أملاك مصر (٣)

(١) انظر مبحث اللواء محمد مختار باشا عن هرر - تلاه بالجمعية الجغرافية بمجلسة ٢ فبراير

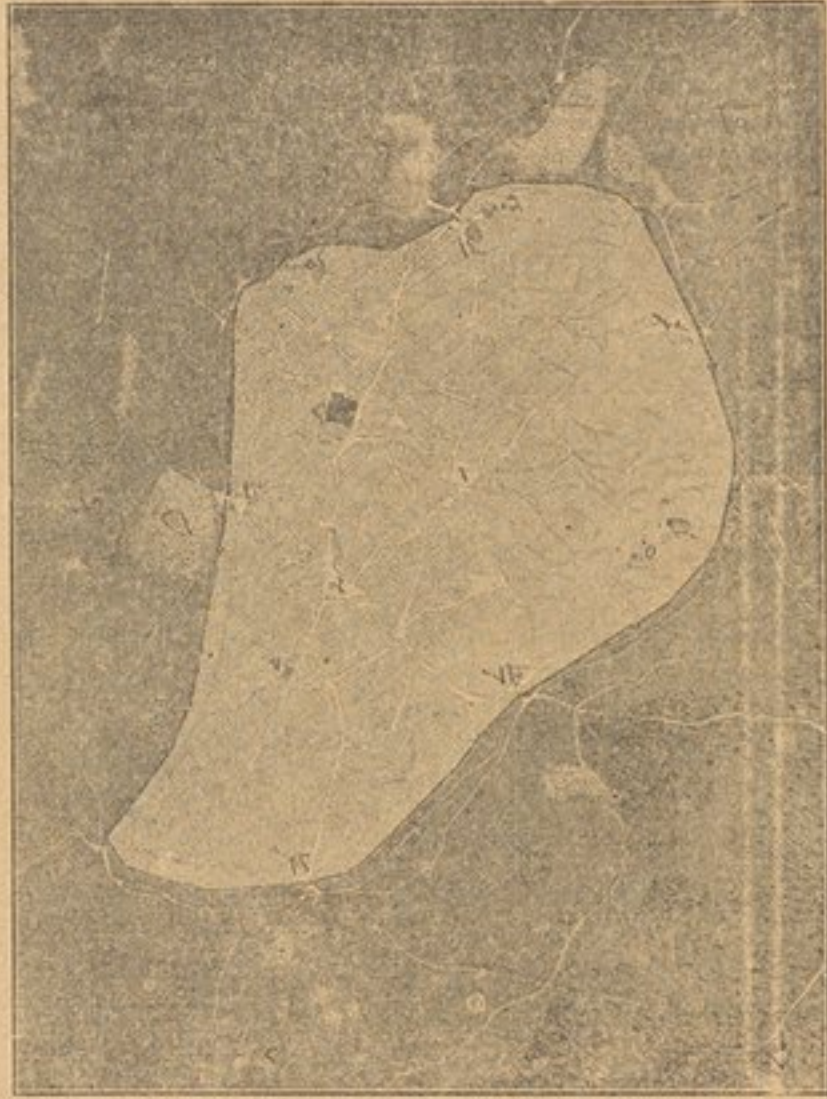
سنة ١٨٧٧ ونشر بمجلة الجمعية بمجموعة ١ عدد ٣ ص ٢٥١ و٢٦٦

(٢) هرر في ظل الحكم المصرى للاستاذ بوليتشيكي Paulitschke بمجلة الجمعية الجغرافية

بمجموعة تمرة ٢ عدد ١٠ - (مارس سنة ١٨٨٧) ص ٥٧٥ والمسيو بوليتشيكي هذا هو عالم نمسوى

جاء هذه البلاد في بعثة علمية وشهد الحكم المصرى بها

(٣) الوقائع المصرية العدد ٦٣١ - ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥



خريطة مدينة هرر سنة ١٨٧٦

مصغرة عن خريطة بالفرنسيه وضعها محمد مختار بك د باشا، وعبد الله بك فوزى د باشا،  
من ضباط أركان حرب الجيش المصرى فى حملة هرر، وتجد بالخريطة المعالم الآتية :

- ١ سوق المدينة — ٢ ميدان ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ — مساجد — ٨ و ٩ سور المدينة — ١٠
- باب السلام ( من أبواب المدينة ) — ١١ باب الحاكم — ١٢ باب النصر — ١٣ باب الفتوح
- ١٤ باب الرحمة — ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ حدائق — ٢١ مدافن — ٢٢ نهر هرر

ثم ظهرت بوادر الانتفاض بين بعض قبائل الجلا التي كانت لها الصولة والسطوة في عهد الأمير محمد عبد الشكور ، فطلب رموف باشا مددا من الجند على سبيل الاحتياط ، فجاءه المدد من السويس الى زيلع على ظهر الباخرة ( المحروسة ) ، ووصل الجند الى هرر فأذعن القبائل ، واستتب الامن في أنحاء البلاد ، وانتظمت الإدارة فيها

وجعل رموف باشا حاكمدارا ( حاكما عاما ) لهرر ، وعين أميرها السابق محمد عبد الشكور محافظا لمدينتها (١) واطمان الأهلون الى الحكم المصرى

لكن رموف باشا لم يلبث ان تنسكراً لأمير هرر وقتله ، بعد أن كان يثني عليه في تقاريره الى الحكومة ويمتدح ولائه ، ولم يعرف السبب الذى دعاه الى قتله ، ولكن الآراء متفقة على أن قتله كان عملا لامبرر له ، ويقول غردون باشا فى رسائله (٢) ان هذا العمل لم يكن له مسوغ ، وان ابن الأمير ذهب الى مصر ليشتكو الحكمدار الى الخديو فغضب اسماعيل لهذا العمل ، لكنه لم يفعل شيئا

وقد رسم الضباط المصريون الذين شهدوا فتح هرر خريطة تلك البلاد ، ومن هؤلاء الضباط محمد مختار بك ( باشا ) وعبد الله فوزى بك ( باشا ) ، وخططوا المعالم والمواقع بين زيلع وهرر والجهات المجاورة

وفى عهد الحكم المصرى بنيت دار للحكومة ، وأقيم مسجد جديد ، وشيدت أربع ثكنات لإقامة الجند ، وعدة منازل للموظفين ، ولم يسخر أحد من الأهلىن فى إقامة هذه المباني ، بل تولى الجنود المصريون إقامتها

وبقى رموف باشا يتولى الحكم الى أن أقاله غردون باشا حين عين حاكما عاما للسودان وأعادته الى مصر ، وعهد بالحكم الى رضوان باشا محافظ بربره ، ثم خلفه سنة ١٨٨٠ محمد نادى باشا ، فعنى بضبط الامن وتحصين المدينة . وبقى يتولى الحكم الى أن شبت الثورة العرابية فى مصر ثم الثورة المهديية فى السودان ، فلم يضطرب جبل النظام بين الجند فى هرر ، وفى سنة ١٨٨٢ عين على رضا باشا ، خلفا لنادى باشا ، وظل الحكم المصرى

(١) الوقائع المصرية العدد ٦٣١ - ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥

(٢) رسائل غردون الى اخته ص ٢٧٤

مستقرا في تلك البلاد ، الى أن اكرهت انجلترا حكومة مصر على إخلاء السودان وملحقاته ، فأرسلت تدعو القوات المصرية الى الجلاء عن هرر ، فصدعت بالأمر وانسحبت منها سنة ١٨٨٥ ، وكان عددها حين الجلاء ٣٤١١ جندي ، يصحبهم ١٦٠ من الموظفين ورجال البوليس والعمال ، و٥٠٠٠ من النساء والاطفال من عائلات الجنود والموظفين ، فكان مجموع المصريين الذين انسحبوا من هرر ٨٥٧١ فصدوا الى زيلع ، وأقلعت بهم البواخر الى مصر

طوى العلم المصري من تلك البلاد ، بعد أن ظل يخفق على ربوعها عشر سنوات سويا ، كان في خلالها رمزا للنظام والحضارة ، فقد استتب فيها الامن ، وانتظمت الادارة ونشطت الزراعة والتجارة ، وعود المصريون الأهالي بعض الزراعات والفواكه المصرية كالعنب والخوخ واللوز والليمون ، وقصب السكر والبطاطس والخضر وما الى ذلك ، وازدادت عدد القوافل التي تنقل المتاجر من داخل البلاد الى السواحل ، فبينما كان عددها سبعين قافلة على عهد الامراء السابقين ، بلغت أربعمئة قافلة كل سنة في عهد الحكم المصري (١)

ولما جلا المصريون عن هرر تسلم سلطة الحكم فيها أمير من سلالة الامراء الذين كانوا يحكمونها قبل الفتح المصري ، ثم أغار عليها ملك الحبشة وأخذها عنوة وضمها الى أملاكه ، وما زالت تابعة لها الى اليوم (١٩٣٢)

#### حملة السومال ( سنة ١٨٧٥ )

اعتزم الخديو اسماعيل فتح بقية بلاد السومال (٢) ، فجرد لهذا الغرض سنة ١٨٧٥ حملة ، مقصدها فتح بقية شواطئ السومال ، والوصول الى مصب نهر جوبا (الجب) (٣)

(١) بوليتشكي . المرجع السابق

(٢) تطلق بلاد السومال على الجهات الواقعة في المثلث الذي تنتهي اليه افريقيه بين خليج عدن والمحيط الهندي

(٣) نهر ينبع جنوبي الحبشة ويصب في الاقياانوس الهندي شمالي زنجبار

ثم فتح الطريق من هناك الى منطقة البحيرات ، لكي تتصل مصر بأملأكها في هذه المنطقة ، من طريق البحر الأحمر والمحيط الهندي ، فضلاً عن الطريق الطويل الذي يتبع مجرى النيل

ففي الوقت الذي أنفذ فيه حملة هرر ، جهز حملة السومال بقيادة الأميرال ماكيلوب باشا مدير الموانئ والمنارات المصرية ، وتولى قيادة جنود البر في هذه الحملة الأميرالاي شاني لونج بك ، ذلك الضابط الشهيم الذي تكلمنا عنه آنفاً ، وكان غردون باشا إذ ذاك حاكماً لحظ الاستواء ، فعهد اليه اسماعيل الاتصال بالحملة

أقلعت العمارة المصرية من السويس ، تقل الجنود المصرية ، في فبراير سنة ١٨٧٥ ، واجتازت البحر الأحمر ، ثم بوغاز باب المنذب ، نخليج عدن ، ورست في ميناء بربره ، ريثما تستريح وتأخذ أهبتهها ، وتستكمل معدلتها ، ثم أقلعت ثانية ، واتجهت الى المحيط الهندي ، فوصلت الى رأس ( حفون ) جنوبي رأس جردفون ( جردفوى ) ، وركز قائد الحملة العلم المصرى هناك ، ودعا رؤساء القبائل الى الدخول في طاعة الحكومة المصرية ، فلبوا الطلب طائعين ، ثم أقلعت العمارة تخوض عباب المحيط الهندي ، حتى وصلت الى بلدة ( براوه ) الواقعة شرقي نهر الجوبا ( الجب ) ، فأذعن القبائل هناك للحكم المصرى ، وترك بها ماكيلوب باشا حامية من الجند ، وعين عليها محافظاً ، ثم اتجه الى بلدة « قسمايو » (١) ، الواقعة على مصب الجب ففتحها ، وسارت القوارب تحمل الجنود في نهر الجوبا نحو ١٥٠ ميلاً ، ولما كان الملاحة تعذرت فيه ، فرجعوا الى بلدة قسمايو « بور اسماعيل » ، وتأهبت الحملة البرية للسير غرباً ، قاصدة بحيرة فيكتوريا ، وفقاً للخطة المرسومة لها من قبل ، ولما كانها أبطأت في الزحف من قسمايو ، ويقول شاني لونج بك إن من أسباب إخفاقها إغضاء غردون عن الاتصال بها رغم الأمر الصادر له من الخديو اسماعيل

وينسب لونج بك هذا الإغضاء الى احتمال وصول تعليمات من الحكومة الانجليزية

---

(١) جنوبي خط الاستواء ، وقد سميت في الخريطة التي وضعها ضباط أركان حرب الجيش

المصرى « بور اسماعيل »

الى غردون توجب عليه عدم التعاون مع هذه الحملة (١) ، وهذا يدل على عدم إخلاص غردون لمصر ، وعدم ولائه للحكومة المصرية ، وقد اعترف غردون في رسائله انه بالرغم من تكليف الخديو ما كيلوب باشا وشايبى لونج بك انتظاره على نهر الجوبا « فان انتظاره سيكون على غير جدوى » (٢) ، فكأنه كان مُصرّاً على إهمال العمل بأوامر الخديو

وكانت هذه الحملة قد أزعجت الانجليز ، فخبرت اسماعيل في السكف عنها ، وأرسل وزير خارجية انجلترا الى الخديو مذكرة بهذا المعنى ، فخشى عواقب المشاكل بينه وبين الحكومة الانجليزية ، وكان في الوقت نفسه يجهز الحملة على الحبشة ، فاستدعى ما كيلوب باشا ، وانسحبت الحملة من الجوبا في يناير سنة ١٨٧٦ ، وعادت الى مصر (٣)

وهكذا أخفقت تلك الحملة ، ولم تصل الى تحقيق غايتها ، وهى بسط نفوذ مصر على شواطئ المحيط الهندى ، ومنها الى منابع النيل ، وذهبت الجهود التى بذلت فيها سدى ، ويرجع إخفاقها كما ترى الى تدخل السياسة الانجليزية ، ومعارضتها الخديو فى الاستمرار فيها ، وكان اسماعيل قد استغرق فى الديون ، وشعر بحاجته الى إرضاء الانجليز وبجاملتهم فاضطر تحت تأثير هذه الحاجة الى الإذعان للتدخل الانجليزى ، والعدول عن الحملة

#### اعتراف انجلترا بسلطة مصر فى السومال

على أن الحكومة الانجليزية اعترفت بامتلاك مصر بلاد السومال الشمالية الواقعة على خليج عدن ، ذلك انها عقدت واياها معاهدة فى ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ (٤) ، اعترفت فيها لمصر بامتلاكها سواحل بلاد السومال لغاية رأس جردفون و جردفوى ، ثم رأس « حَفَّون » الواقع جنوبيه على المحيط الهندى

وقد وقع على المعاهدة كل من شريف باشا وزير خارجية مصر بالنيابة عن الحكومة

(١) كتاب « مصر ومديرياتها المفقودة » للكولونل شايبى لونج بك ص ١٢٤

(٢) رسائل غردون الى أخته ص ١٦٤

(٣) مصر ومديرياتها المفقودة للكولونل لونج بك ص ١٥١

(٤) منشورة فى قاموس الادارة والقضاء لفيليب جلاد ( النسخة الفرنسية ) ج ٢ ص ٤٩٠

المصرية ، والمسترد فيفيان ، قنصل إنجلترا العام بالنيابة عن الحكومة الانجليزية  
أقرت الحكومة الانجليزية في هذه المعاهدة سلطة الحكومة المصرية في سواحل  
السومال

وقبلت مصر أن تبقى «بربره» و«بولهار» ثغرين حرين ، وأن لا تعطى فيهما أى  
امتياز أو احتكار لأحد ما ، ولا تأذن بإجراء أى عمل يعطل حركة التجارة فيهما ، وأن  
لا تأخذ رسوما عن الواردات أكثر من خمسة في المائة ، ولا تزيد الرسوم الجمركية عن  
واحد في المائة في موانئ «تاجوره» و«زيلع» وسائر سواحل بلاد السومال التابعة لها ،  
وأن تعامل مصر رعايا إنجلترا وسفنها في تلك الجهات معاملة دولة ممتازة ، وتعهد الخديو  
بأن لا يعطى أى قطعة من هذه البلاد الى أية دولة أجنبية ( بند ٢ )

ورخصت مصر للحكومة الانجليزية تعيين مأمورى قنصليات في جميع الثغور والبلاد  
السكانة على سواحل البلاد المذكورة ، على أنه لا يجوز لها تعيين مأمورى قنصليات  
من أهالى البلاد أو من أهالى البلاد المجاورة لها

ففي هذه المعاهدة إقرار من إنجلترا بسلطة مصر في بلاد السومال الشمالية ، ومن  
تمك القدر أن الدولة التي أقرت بذلك سنة ١٨٧٧ وأخذت على مصر عهداً بأن لا تنازل  
لدولة أجنبية عن جزء من تلك البلاد ، هي ذاتها التي اغتصبها بعد أن أكرهت مصر  
على إخلاء السودان ، فوضعت يدها على زيلع وبربره وملحقاتها وَاخذتها من أسلاب  
مصر ، كما أخذت فرنسا تاجوره وملحقاتها ، وإيطاليا رأس جردفون «جر فوى» ،

### النزاع بين مصر والحبشة

للنزاع بين مصر والحبشة في عهد اسماعيل صفحة طويلة ، خلاصتها أن العلائق بين  
البلدين لم تسكن ودية طويلة مدة حكمه ، بل كان يشوبها الجفاء والخصام ، ثم الحرب والصدام  
ويرجع الخلاف الى أن اسماعيل بعد أن ظفر بضم محافظتى سواكن ومصوع نهائياً  
الى مصر ، اعترم أن يصل بين مصوع وكسله بخط حديدى ، يمر بسنهيت (١) ، ويسهل

(١) شمالى مصوع ، وتسمى أيضا «كرن» ، Keren ووردت بهذا الاسم في معظم مصورات  
الجغرافية ، وهي عاصمة اقليم «البوغوس» ،



سبيل المواصلات بين السودان والبحر الاحمر ، ويسطر وراق العمران في شرق السودان ، وكان يعد البلاد الواقعة بين البلدين وخاصة مدينة « سنهيت » أرضا مصرية منذ الفتح الاول ، في عهد محمد علي ،

ولسكن النجاشي « تيودورس » ملك الحبشة عارض الخديو في ذلك ، وادعى أن سنهيت ، أرض حبشية ، فوق الجفاء بينهما

### الحرب بين الانجليز والحبشة ( سنة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ )

وظهر أثر هذا الجفاء في موقف الخديو تجاه الحبشة حين قام الخلاف بينها وبين الانجليز سنة ١٨٦٧ ، فقد اعتقل الملك « تيودورس » ، بعض التجار الانجليز ومنهم المستر كامرون قنصل إنجلترا ، فغضبت الحكومة الانجليزية من هذا العمل العدائي ، وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين ، فرفض النجاشي إجابة طلبها ، واشتد الخلاف بين الدولتين ، فانحاز الخديو الى جانب الانجليز وأرسل الى النجاشي كتابا (١) ، من انشاء عبد الله باشا فكرى ، يطلب اليه فيه أن يحسم الخلاف بإطلاق سراح المعتقلين وارسالهم الى مصوع ، وحذره عواقب إصراره على اعتقالهم ، وتهدهه بنشوب الحرب بينه وبين الانجليز ، وبأنه في هذه الحالة لا يمانع الانجليز في اجتياز الاراضى المصرية لمهاجمته

فأصر النجاشي على الرفض ، فجدت إنجلترا على الحبشة سنة ١٨٦٧ حملة عسكرية بقيادة اللورد نابيه Napier ، وانهز الخديو هذه الحرب فأمد الانجليز فيها بالمعونة والتأييد ، وأمر عبد القادر باشا الطوبجى محافظ مصوع وقتئذ بمعاونة الجيش الانجليزى في نزوله الى البر ، ووضع الأسطول المصرى تحت تصرف الانجليز لينقل مهماتهم ومؤوتهم من السويس الى مصوع

وانتهت هذه الحرب بفوز الانجليز واحتلالهم مدينة « مجدلا » تمالي أديس أبابا ، وقتل النجاشي تيودورس سنة ١٨٦٨ ، ثم عاد الانجليز الى بلادهم وآل عرش الحبشة إلى الملك « يوحنا » الذى كان يعاونه الانجليز ضد الملك تيودورس

(١) بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٤ ( سبتمبر سنة ١٨٦٧ )

والملك يوحنا هو من أعظم ملوك الحبشة شأناً ، وأشدّهم بأساً ، وفي عهده وقعت الحرب بين مصر والحبشة كما سيجيء بيانه

فلما خلف يوحنا الملك تيودورس على عرش الحبشة اغتتم الخديو فرصة انصرافه إلى محاربة قبائل الجلا ، لتحقيق غرضه الأول وتوسيع أملاك مصر من ناحية الحبشة

### منزنجر باشا Munzinger pacha

وقد استحثه على تحقيق هذا الغرض المسيو منزنجر قنصل فرنسا في مصوع ومنزنجر هذا له شأن كبير في تاريخ العلاقات بين مصر والحبشة في عهد اسماعيل ، وهو رجل سويسرى الجنس ، جاء مصر ، ثم جاب أنحاء السودان والحبشة ، وأقام في مصوع منذ سنة ١٨٦٠ ، وتزوج بسيدة حبشية من أهالى البوغوس ، ثم شغل منصب قنصل فرنسا في ذلك الثغر ، وعاون الانجليز في حربهم مع الحبشة بما له من الدراية بأحوال البلاد ولغتها ومساكنها (١)

وفي سنة ١٨٧٠ عينه الخديو محافظاً لمصوع ، ثم أسند اليه فيما بعد منصباً أعلى ، إذ جعله محافظاً لسواحل البحر الأحمر ومديراً لشرق السودان ، وأنعم عليه برتبة البكوية ، ثم الباشوية ، فصار يعرف بمنزنجر باشا ، وعين أراكيل بك نوبار من أقرباء نوبار باشا محافظاً لمصوع تحت إمرته (وهو غير أراكيل بك الذى تكلمنا عنه ص ٤٠) ومنزنجر باشا هو الذى زين للخديو اسماعيل فكرة فتح الحبشة ، وألقى في روعه أنه لطول مكثه في هذه الجهات قد سبر غورها ، وعرف أسرارها ، وأقنعه أن فتح الحبشة لا يكلف مصر عناء كبيراً ، لما كانت عليه من الضعف والفوضى والانقسام فأعجب اسماعيل بالفكرة ، وشرع في تحقيقها ، وعهد إلى منزنجر ذاته فتح إقليم (البوغوس) وعاصمته سنهيت

(١) عن ترجمة منزنجر باشا ، بقلم المسيو دوربك في مجلة الجمعية الجغرافية ، العدد الاول من السنة الاولى ، نوفمبر سنة ١٨٧٥ - فبراير سنة ١٨٧٦ ، ص ١٢١

## فتح سنهيت وضم إقليم البوغوس

فسار منزجر باشا من مصوع في قوة من الف وخمسمائة مقاتل ، وقصد إلى سنهيت وفتحها باسم مصر

ووسع نطاق مصر من هذه الناحية ، فتم على يده فتح بلاد البوغوس ، وضمها إلى مصر ، واشترى مقاطعة ( إيلت ) الواقعة بين مصوع والحماسين من حاكمها الذي كان على خلاف مع النجاشي ، وشملت سلطة منزجر سواكن ومصوع وبلاد البوغوس ، والتاكا ، والقضارف ، والقلابات ، وأميديب ، وبركة ، أي السودان الشرقي في أقصى حدوده

وقد نغم الملك يوحنا من مصر هذا التوسع ، وازدادت العلاقات بين البلدين توتراً ، وكادت الحرب تنشب بينهما ، لولا اشتغال الخديو بفتح هرر والحملة على السومال

## حرب الحبشة

سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦

هي الحرب العقيم التي خاضتها مصر في عهد اسماعيل ، والعقبة الكأداء التي اصطدمت بها فتوح مصر في حوض النيل وملحقاته ، ومن أي ناحية نظرنا إليها نجد أن مصر لم تسكن في حاجة إليها ، ولا مصلحة لها في خوضها ، وإنما ساق إليها النزق ، وسوء التدبير ، فانهت بالهزيمة والخسران

رأيت مما تقدم بيانه ، أن مصر قد ضمت الجهات الواقعة بين الحبشة والبحر الأحمر وفتحت ( سنهيت ) وبلاد ( البوغوس ) الواقعة شمالها ، و ( هرر ) المجاورة لها من الجنوب الشرقي ، فأحاطتها من الشمال والشرق والجنوب ، فضلاً عن مجاورتها لها من الغرب منذ عهد محمد علي

فهذه المواقع كان يكفي مصر أن تثبت سلطانها وتدعم نفوذها فيها ، وبذلك تبقى الحبشة مسالمة لها ، إذ تحتاج إليها للوصول إلى البحر الأحمر ، ولكن اسماعيل حدثته نفسه بفتح الحبشة ، واكتساحها من طريقه ، دون أن يقدر صعوبة هذه المهمة وعواقبها

الوخيمة ، فالخبشة كما يعرفها الذين خبروها وسبروا غورها ، بلاد جبلية لايسهل على دولة أجنبية أن تحتلها أو تجتاز جبالها الوعرة ومفاوزها الجرداء ، فضلا عن أن حربها لا تفيد مصر بحال من الأحوال ، بل تخلق لها من المشاكل وتسكبها من الخسائر والضحايا ما هي في غنى عنه

لم يجاهر اسماعيل بنيته في فتح الخبشة ، ولكن سياسته إزاءها كانت تتم عن هذه الغاية ، فقد تحرش بها ، وعمل على إثارة الحرب معها ، على غير جدوى ، ووقع القتال على غير استعداد من مصر ، فحلت الهزيمة بالجيش المصري ، وأصابته الخسائر الفادحة ، وكبدت الحرب الخزانة المصرية الأموال الطائلة ، في وقت ارتبكت فيه أحوالها ، واشتد بها الضيق ، فكانت حرب الخبشة عقيما من كل ناحية

اعتزم اسماعيل تجريد حملتين في وقت واحد على بلاد الخبشة ، الأولى تهاجمها شامالامن طريق مصوع ، والأخرى جنوبا من طريق ميناء «تاجوره» الواقعة على خليج عدن، وعهد بقيادة الأولى إلى السكولونل أرندروب بك <sup>(١)</sup> Arendrupp ، والثانية إلى منزجر باشا

#### حملة أرندروب بك سنة ١٨٧٥

زحفت الحملة الأولى من مصوع ، وكانت مؤلفة من ٣٢٠٠ مقاتل <sup>(٢)</sup> مزودين ببطاريتين من المدافع ، واقتحمت حدود الخبشة ، واستولت على «الحماسين» الواقعة جنوبى سنهيت ، دون أن تلقى مقاومة تذكر ، وتقدمت قاصدة «جونديت» ، ولما علم الملك يوحنا بزحفها حشد جموعه ، وأعد جيشا من ثلاثين ألف مقاتل ، سار به قاصداً مصادمة الجيش المصري ، وأرسل أرندروب بك رسالة إلى الملك يوحنا يطلب إليه فيها

(١) هو من ضباط أركان الحرب ، أصله دانمركى ، ثم جاء مصر وتعرف إلى الجنرال استون باشا رئيس أركان الحرب ، فرغب إليه الخدمة في الجيش المصري فقبل . ثم تولى قيادة الحملة كما ترى في سياق الكلام

(٢) احصاء المسيو سوتزارا Suzzara فنصل النمسا العام في مصر على عهد اسماعيل في تقريره المسهب عن حرب الخبشة ، وقد نشر هذا التقرير في مجلة مصر Revue d'Egypte للمسيو جلياردو بض عدد مارس وابريل ومايو سنة ١٨٩٦ ص ٦٢٦ و٦٧٣ و٧٣٧

جعل نهر الجاش حداً فاصلاً بين الحبشة ومصر ، فلم يعبأ بالرسالة ، وسجن الرسولين اللذين أوفدهما إليه أرندروب بك ، فتقدم الجيش المصرى ليسبق الأحباش الى الهجوم

هزيمة جونديت ( نوفمبر سنة ١٨٧٥ )

فاشتبك الجيشان في جونديت يوم ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ، وكان جيش الحبشة أكثر عدداً وأشد حماسة من الجيش المصرى ، فحُمى وطيس القتال ، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش المصرى ، وقتل معظم رجاله ، ولم ينج منهم إلا النزر اليسير ، وكان من بين القتلى أرندروب بك وإراكيل بك نوبار محافظ مصوع ، وارتدت فلول الحملة منهزمة الى مصوع

حملة منزجر باشا

أما الحملة الأخرى فقد تولاها منزجر باشا ، فأبحر من مصوع على رأس ثلاثة بلوكات من الجنود المصرية والسودانية ، ونزل في « تاجوره » ، ليستكمل منها معدات الحملة من الإبل ، وترك معظم الجند في تاجوره حتى يتم إعداد الحملة ، وأقلع هو في قوة صغيرة من الجند يصحبه الرأس « بورو » الذى كان على خلاف مع الملك يوحنا ، ونزل في رأس « جيلا جيفو » الذى يبعد عن تاجوره غرباً بخمسة عشر ميلاً ، وقصد الى بحيرة « أوسا » Aoussa الواقعة في الجنوب الشرقى من الحبشة ، ووصل اليها يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ، بعد مسيرة سبعة أيام

مقتل منزجر باشا - نوفمبر سنة ١٨٧٥

قابل منزجر باشا في طريقه الى بحيرة « أوسا » ابن الشيخ محمد الحدة أمير ذلك الإقليم ، فتظاهر له بالولاء للحكومة المصرية ، ولكنه كان يضم له سوء ، فاطمأن اليه منزجر ، واتخذ مرشداً ونصيراً ، وسارت الحملة الى أن عسكرت بالقرب من شاطئ البحيرة ، ففما كان الجنود نياماً ( ليلة ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ) هجم عليهم رجال القبائل غيلة بقيادة الشيخ محمد الحدة ، وأعملوا فيهم السيف ، وفتكوا بهم فتكا ذريعاً ، وشبت الواقعة في جنح الظلام دون أن يأخذ المصريون عدتهم لها ، فأوقع بهم الأحباش ، وقتلوا منزجر

وزوجته ومعظم رجاله . وارتدت فلول الحملة في أسوأ حال الى «زيلع» بقيادة البكباشى محمد افندى عزت ، وكان عدد الباقين منهم ١٥٠ مقاتل

### الحملة الكبيرة بقيادة راتب باشا

( سنة ١٨٧٦ )

وصلت أنباء هذه الهزائم إلى مصر ، فقوبلت بالجزع والدهشة ، وتزلزلت لها هيبة الجيش المصرى ، وغضب اسماعيل لهذه الهزائم ، وخشى عواقبها المعنوية والسياسية ، فأراد أن يزيل تأثيرها بتجريد جيش جرار على الحبشة يغسل الإهانة التى لحقت مصر ، وفى الحق أن الموقف كان عصيباً ، لأن هزيمة مصر أمام الحبشة تسقط هيبتها فى وقت كانت تكتنفها المطامع الأوروبية ، لكن الخديو لم يأخذ فى أمره منذ البداية بالأناة وحسن الاستعداد وتقدير الموقف من كل وجوهه ، فلما جاءت أخبار الهزائم الأولى ، تعجل بإعداد حملة مبيتسرة ، مؤلفة من نحو خمسة عشر ألف مقاتل ، دلت مقدماتها على أنها سائرة حتماً إلى الهزيمة والخسران ، وأهم عيب فى تأليفها افتقارها إلى كفاءة القيادة وحسن النظام

فقد عقد الخديو لواءها للسرदार راتب ، وهو ضابط خلو من الكفاءة وحسن التدبير

وجعل على رأسه أركان الحرب الجنرال لورنج باشا Lorinog من القواد الأمريكين فى الجيش المصرى ، ولم يكن التفاهم سائداً بين القائد العام وهيئة أركان الحرب ، ففقد الجيش أهم عوامل النجاح ، وهى وحدة القيادة وكفائتها

وصحب الحملة الأمير حسن باشا أحد أنجال الخديو ، وكان قد عاد من ألمانيا بعد أن درس بها قليلاً من الفنون الحربية ، ولم يكن له من الكفاءة والخبرة ما يجعل منه قائداً يعتمد عليه فى مثل هذه الحرب

وقد تطوع فى القسم الطبى للحملة بعض كبار أطباء مصر فى ذلك العصر ، كالدكتور محمد على باشا البقلى ، الذى لقي مصرعه فيها (١) ، والدكتور محمد بك بدر

(١) راجع ترجمته فى «عصر محمد على» ص ٥١٢ (من الطبعة الأولى)

أبحرت الحملة من السويس نقلها بواخر الشركة الحديدية والسفن الحربية المصرية ،  
ونزلت في هيناء ( مصوع ) ، وأخذ الجيش يزحف على الحبشة

هزيمة « قورع » ، ( ٧ مارس سنة ١٨٧٦ )

أوغل المصريون في مفاوز الحبشة ، دون أن يستطلعوا أحوالها ويتعرفوا قوات  
الأعداء ومواقعهم ، فوصل الجيش في زحفه إلى بلدة « قورع » (١) التي تبعد عن مصوع  
نحو ٥٥ ميلا ، فعمسكرو فيها ، وأخذ يقيم فيها الاستحكامات ، فبنى حصناً بها ثم حصنين  
في أول السهل الواصل إليها من ( قياخور )

وقد أمد الملك يوحنا جيشاً كبيراً بلغ نحو أربعين ألف مقاتل ، وسار لمهاجمة  
المصريين في « قياخور » ، وكانت تحتلها قوة من الجيش المصري ، وتحميها استحكامات  
منيعة لم يقو الأحباش على مهاجمتها

فقصدوا مهاجمة مركز الجيش المصري في ( قورع ) ، ونشبت بها يوم ٧ مارس سنة  
١٨٧٦ معركة كبيرة ، انتهت بهزيمة الجيش المصري ، وتشتت شمله ، وقتل معظم رجاله ،  
ولم يتمكن القائد العام والأمير حسن باشا وأركان حربهما من النجاة إلا بعد أن عاينوا  
الموت ، وكاد الأحباش يفتكون بهم ، وأسروا من المصريين نحو ٢٥٠ أسير  
وقد خسر الأحباش في هذه الواقعة خسائر فادحة لا تقل في عددها عن خسائر  
المصريين ، ولكنهم فازوا بالنصر المبين

### عقد الصلح

وكان ضمن الأسرى المصريين محمد بك رفعت رئيس القلم التركي بديوان الجهادية ،  
وقد رافق الحملة صحبة السردار ، فأخذ يسعى في عقد الصلح مع الملك يوحنا ، على أن تنسحب  
الجنود المصرية من أرض الحبشة ، ويرد الملك الأسرى إلى مصر ، ويفتح طريق التجارة  
بين مصوع والحبشة

(١) جاء اسمها هكذا في الوقائع المصرية عدد ٦٤٩ وان كان معظم المؤلفين يكتبها

«قورع» ، وهذا الوضع «قورع» ، يوافق النطق الفرنسي Goura

فأسفرت مساعي رفعت بك عن عقد الصلح وبقيت سنهت في أملاك مصر (١) ،  
وعاد هو وباقي الأسرى إلى مصوع ، وأبحرت فلول الحملة إلى السويس ، وبلغت خسائر  
مصر من الرجال في الحملات الثلاث التي جردتها على الحبشة ٨٥٠٠ قتيل

### نتائج حرب الحبشة

تكبدت مصر في هذه الحرب العقيم خسائر فادحة في الرجال والمال ، وتصدعت  
هيبتها لما أصابها من الهزائم المتوالية ، وكلفت الخزانة المصرية نحو ثلاثة ملايين من  
الجنهات (٢) ، في وقت كانت تنوء فيه بالديون الجسيمة ، وتعاني أشد ضروب  
الارتباك المالي

وليس يخفى أن هذه الحرب وقعت في الوقت الذي تحفزت فيه الدول الاستعمارية ،  
وخاصة إنجلترا ، للتدخل في شؤون مصر المالية والسياسية ، فانزاع الجيش المصري ،  
في تلك الحرب ، قد ضاعف آمال إنجلترا في التطلع الى احتلال مصر ، ذلك أنها كانت  
تحسب حساباً كبيراً لقوة الجيش المصري ، منذ تبينت مكانته وبسائته في المعارك التي  
خاض غمارها تحت لواء ابراهيم باشا ، ولكن هزيمته في الحرب الحبشية كشفت عن  
ضعفه ، وعن الفوضى الضاربة أطنابها في نظامه ، ففقد المهابة التي كانت له من قبل

فالحرب الحبشية كانت تجربة مؤلمة ، أظهرت ضعف قوة مصر الحربية ، ولم يكن  
من سبيل إلى تجديد هذه القوة في وقت أشرفت فيه الحكومة على العجز والعسر المالي ،  
في أواخر عهد اسماعيل ، وليس ثمة شك في أن هذه النتيجة كان من شأنها أن تغرى  
إنجلترا بتحقيق أطماعها في مصر ، فلا جرم أن تضاعفت مساعيها في وضع يدها على  
البلاد ، وما زالت تدأب على تلك الخطة مدى خمس سنوات حتى وقعت الحوادث  
العرايبية التي انتهت بالاحتلال الإنجليزي

(١) أخذتها إيطاليا بعد إخلاء مصر للسودان وجعلتها جزءاً من مستعمرة أريتريا

(٢) إحصاء المسيو سرتزارا فنصل النمسا في مصر على عهد اسماعيل في تقريره المسهب

المؤرخ يوليه سنة ١٨٧٧ السابق ذكره



## حكمدارو السودان في عهد اسماعيل

انتهينا من بيان الحوادث الهامة في السودان على عهد الخديو اسماعيل ، والآن نذكر نبذة عامة عن حكمدارى السودان على النحو الذى اتبعناه فى كلامنا عن عهد محمد على باشا ( عصر محمد على ص ١٧٧ من الطبعة الأولى )

### موسى باشا حمدى

كان على السودان حين تولى اسماعيل الحسك ( موسى باشا حمدى ) ذو الأعمال الجمة والمآثر الحسنة ، وقد سر الخديو من أعماله ، وأنعم عليه برتبة الفريق ، فذهب إلى مصر فى يولييه سنة ١٨٦٣ ليؤدى واجب الشكر ، وأطلع الخديو على أحوال البلاد التى يحكمها ، فلقى من اسماعيل باشا عطفأ كبيرأ ، ثم عاد إلى مقر عمله بالخرطوم

وعنى بزيادة عدد الجند فوصل عددهم فى عهده إلى ثلاثين ألفا من الجنود النظاميين والباشبوزق ، ومار فى حكمه بهمة ودراية ، وبقي حكمدارأ للسودان إلى أن توفى سنة ١٨٦٥ بالخرطوم ، ودفن بها

### جعفر صادق باشا ١٨٦٥ - ١٨٦٦

ثم خلفه جعفر صادق باشا ، وفى عهده فتح الجنود المصريون فاشوده سنة ١٨٦٥ كما تقدم البيان

### إنحداد ثورة كسلا

وفى عهده أيضاً أخذت ثورة شبت بين الجنود السودانيين المرابطين فى ( كسلا ) وعلمتهم نحو أربعة آلاف جندى

ظهرت هذه الثورة فى أواخر عهد موسى باشا حمدى ، وترجع أسبابها إلى سوء إدارة الحكام ، وتأخير دفع رواتب الجند ثمانية عشر شهراً ، فثاروا وعصوا الأوامر وتمردوا على رؤسائهم ، وقتلوا بعض الضباط ، ونهبوا أموال الأهلىن ، وخربوا بعض القرى ، فأخذتهم الحكومة بالحيلة تارة ، وبالغنف والقسوة تارة أخرى ، ولما بلغ الخديو

اسماعيل نبأ هذه الثورة اهتم بأمرها اهتماماً كبيراً ، وبعث بجعفر صادق باشا حكامداراً على السودان ، وأرسل أوامره إلى السلطات المحلية بإمداد قوات الحكومة في كسلا لإخماد الفتنة

وقد كان الفضل في إخمادها لضابط سوداني كبير يسمى ( آدم بك ) ، وهو من خيرة ضباط الجيش المصري ، تلقى التعليم الحربي في مصر على عمه محمد علي باشا ، ورافق ابراهيم باشا في حروبه بسوريا ، واشتهر بالبسالة والإقدام ، إلى المهارة والسكفاءة ، وقد أرسل اليه الخديو خطاباً يدل على تقديره لشجاعته استحثة فيه على العمل لإخماد الفتنة وختمه بقوله :

« وإني أعلم بسالتك وحسن سياستك ، منذ كنت مع المرحوم والدنا في سوريا ، فحقق آمالنا بك ، وعند انتهاء الثورة احضر الى مصر والسلام ، سبتمبر سنة ١٨٦٥ (١) أدى آدم بك مهمته خير أداء ، وأخذ الثائرين بالحسنى ، ووعدهم بأن يحصل لهم على عفو من الخديو ، فأخلدوا إلى الطاعة ، ثم جاء حسن باشا القائد العام للجند ، وعقد مجلساً عسكرياً للنظر في أمر العصاة ، فقرر تجريدهم من السلاح ، واعتقالهم جميعاً حتى يرد أمر الخديو في شأنهم ، فثارت ثائرتهم من جديد ، بسبب غطرسة بعض ضباط الباشا بوزق فأطلق الجند الرصاص على الثائرين فقتل كثير منهم ، واعتقل الباقون

### جعفر مظهر باشا ١٨٦٦ - ١٨٧١

ثم حضر جعفر مظهر باشا وكيل الحكمدار ، فحقق أسباب الثورة ، وأوقع العقاب بمن اشتركوا فيها ، وانتهى على يده إخمادها وأنعم الخديو على آدم بك برتبة اللواء مكافأة له على ما بذله من الهمة في إخماد الثورة

وفي غضون ذلك مرض جعفر صادق باشا وعاد الى مصر ، فعين جعفر مظهر باشا حكامداراً للسودان ، فسار سيرة عدل وإصلاح ، وكان من خيرة حكام السودان ،

(١) عن كتاب السودان لنعم بك شقير ج ٢ ص ٤٢

ونظم الإدارة ، وأصلح دار صناعة الخرطوم ، وأنشأ بعض المدارس وفتح عدة محاكم للفصل في منازعات الناس

وفي عهده عين آدم بك الضابط السوداني المتقدم ذكره قائداً عاماً للجيش المصري بالسودان ، وأنعم عليه بالباشوية ، فصار يعرف بآدم باشا ، وقد أظهر ولاء صادقاً لمصر والحكم المصري

وفي عهده أيضاً نشطت الحكومة المصرية في مطاردة تجار الرقيق ، وزحف صمويل بيكر باشا بقوة من الجيش المصري على إقليم خط الاستواء وضمه إلى أملاك مصر كما أسلفنا ، وكان مظهر باشا يعاونه في مهمته

واشتهر مظهر باشا بالعدل والنزاهة ، ولا غرو فهو أعظم ولاية السودان شأنًا ، وأحسنهم سيرة ، وكان يقرب إليه علماء السودان ويكرمهم ، ذكر عنه إبراهيم باشا فوزى أنه فارق الخرطوم وعليه دين يربى على ألف جنيه ، وهذا من أقوى الدلائل على نزاهته ، وقال ابن راتبه لم يسكن يفي بحاجاته ، لكثرة ما كان ينفقه على الفقراء والمعوزين ، وما كان يقيمه من المآدب للعلماء وذوى الفضل ، قال ولا يزال السودانيون يذكرون له هذه الميزات ، وهم يجمعون على أن أيام ولايته كانت غرة في جبين السودان (١)

وقد عين في سبتمبر سنة ١٨٧١ عضواً بمجلس الأحكام بمصر (٢) ، فانفصل عن منصبه في السودان ، وعين في مكانه ممتاز باشا

### ممتاز باشا ١٨٧١ - ١٨٧٣

هو من ضباط الفرسان في الجيش المصري ، وكان سيء السيرة ، مرتكباً للرشوة فشكاه الأهليون إلى الخديو ، فأمر بالتحقيق معه ، وسجن بالخرطوم رهن التحقيق ، ومات بالسجن ، والآثر الوحيد الذي تركه أنه علم الأهلين زراعة القطن

(١) السودان بين يدي غردون وكتشنر ، ج ١ ص ٦٧

(٢) الوقائع المصرية العدد ٢٦٤ الصادر في ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٧١

اسماعيل باشا أيوب ١٨٧٣ - ١٨٧٧

في عهده اتسعت فتوح مصر اتساعاً عظيماً ، ففتحت سلطنة دارفور على يد الزبير باشا رحمت ، وضمت زيلع وبربره ، وفتحت سلطنة هرر كما بيناه في موضعه ، وله فضل كبير في بسط رواق العمران في السودان ، فقد أمّن السبل ، ووطد دعائم الأمن في نواحيه ، ونشط الزراعة والتجارة والصناعة ، وعلى يده أنشئت محطات عسكرية بين الخرطوم ودارفور الى حدود واداي ، وبين بربر على النيل وسواكن على البحر الأحمر ، لتأمين سبل المواصلات ، مما كان له أثره في تنشيط التجارة ، وعنى بتوسيع زراعة القطن وأنشأ معملين لحليج الأقطان ونسجها ، وفي عهده أنشئت عدة مكاتب للبريد في أهم العواصم ، وقد بقى في منصبه الى أن تدخلت السياسة الانجليزية ، وأوعزت الى الخديو اسماعيل بتعيين غردون باشا مكانه ، فنقل اسماعيل باشا أيوب عضواً بالمجلس الخصوصي العالي ( مجلس الوزراء ) ، وهذا التعيين وان كان دليل الرضا عنه ، لكنه أدى الى اقصائه عن السودان ، ثم ترقى في المناصب ، الى أن صار وزيراً للداخلية عقب الاحتلال الانجليزي ، واليه ينسب امتناع الحكومه عن إرسال النجدة التي طلبها عبد القادر باشا حلي حاكم دار السودان لإخماد الفتنة المهديّة ، ثم استدعاؤه من السودان سنة ١٨٨٣ ، مما كان سبباً في استفحال الثورة ، وخدمة المطامع الانجليزية ، كما سنبينه في موضعه ، وتوفي سنة ١٨٨٤

غردون باشا

١٨٧٧ ١٨٧٩

لم ينقطع السكواونل غردون عن السودان طويلاً ، فبعد أن استعفى سنة ١٨٧٦ من منصبه الأول وعاد الى انجلترا . سعت الحكومة الانجليزية الى الخديو كي يعينه حاكماً عاماً للسودان ، وهكذا تدرجت السياسة الانجليزية في تدخلها في شؤون السودان ، فبعد أن كان غردون حاكماً لحظ الاستواء ، صار الحاكم العام للأقاليم السودانية جميعها ، وهذه أول مرة ولى فيها هذا المنصب الخطير حاكم أجنبي ، وهو ليس حاكماً أجنبياً فحسب ، بل ينتمى الى دولة لها في مصر مآرب استعمارية لا تخفى ، إذ كانت

تتطلع الى مصر ؛ وتعمل على إنشاء امبراطورية افريقية انجليزية تبنيها على انقراض  
الامبراطورية المصرية

فتعيين غردون حاكماً عاماً على السودان هو فوز كبير للسياسة الانجليزية ، ودليل على  
مبلغ ما أدركته من النفوذ السياسي في بلاط اسماعيل ، ولا يخفى أن هذا التعيين وقع سنة  
١٨٧٧ ، أي بعد أن خطت انجلترا الخطوات الأولى للتدخل في شؤون مصر ، إذ بدأ  
تدخلها الفعلي بشرائها أسهم مصر في قناة السويس سنة ١٨٧٥ ، وأعقب ذلك تدخلها  
والدول في شؤون مصر المالية بإنشاء صندوق الدين ، ثم فرض الرقابة الثنائية على مالية  
الحكومة سنة ١٨٧٦ ، فتعيين غردون هو من آثار ارتباط مصر المالي ، ومن نتائج سياسة  
اسماعيل المالية ، فقد كان يظن أنه يستطيع بمثل هذا التعيين كسب عطف انجلترا ، لتعاونه  
في محنته ، لكنه لم ينل أي مقابل لهذه المنحة العظيمة ، وعلى العكس ، كانت انجلترا أشد  
عليه وطأة من الدول الأخرى ، وكذلك شأن السياسة الانجليزية في مصر ، تأخذ كل  
ما تستطيع أخذه ، دون أن تعطى شيئاً

ويستفاد من رسائل غردون أن اسماعيل كان متردداً في إسناد هذا المنصب الخطير  
اليه ، ولكن غردون رفض أن يذهب إلى السودان مالم يعين حاكماً عليه ، وكان يظن أن  
الخدو لا يقبل هذا الشرط ، <sup>(١)</sup> ولكن ضغط السياسة الانجليزية ، والتماس الخديو  
النجدة منها في محنته المالية ، كل ذلك مال به إلى التساهل والتسليم ، وأصدر في ١٧ فبراير  
سنة ١٨٧٧ فرماناً لغردون باشا بالولاية على جميع أصقاع السودان بما فيها دارفور ،  
وبحر الغزال ، وخط الاستواء ، وهرر ، وسواحل البحر الأحمر ، مع مصوع ، وسواكن ،  
وزيلع ، وبربره <sup>(٢)</sup> ، وحوّله في حكمه سلطة مطلقة ، عسكرية ومدنية ، وكان سلطان  
مصر في السودان قد بلغ وقتئذ أقصى مداه ، إذ امتد من سواحل البحر الأحمر وخليج  
عدن والإقيانوس الهندي شرقاً ، إلى حدود وادى غرباً ، والبحيرات الاستوائية جنوباً  
لم يكن غردون على كفاءة للاضطلاع بأعباء المنصب الكبير الذي تولاه ، بل كان

(١) رسائل غردون إلى أخته ص ١٩٥

(٢) كما وردت في الوقائع المصرية ، بالعدد ٦٩٨ و ٦٩٩ الصادرين في ٢٥ فبراير و ٤

سريع التأثر ، سهل الانقياد لمن يثق به ، كثير التضارب في آرائه ، ولم يقترن اسمه إلا بمحاربة الاتجار بالرقيق ، واحتكار العاج ، لكنه أسرف في عمله ، ولم يأخذ الأمور بالحكمة وبعد النظر .

قال شايي لونج بك : فإن أمر غردون باحتكار الحكومة محصول العاج قد أثار تجار السودان على الحكومة ، وهؤلاء التجار كانوا سادات السودان الحقيقيين ، فكان هذا العمل المنطوي على الظلم النواة الأولى للثورة المهدية ، وكانت إدارته فوضي ، وبالجملة فقد تولى حكم السودان ، والأمن واليسار يسودانه ، ولما غادره سنة ١٨٧٩ ، كان ينوء تحت أعباء الديون ، والثورة تتمخض في أحشائه ،<sup>(٢)</sup>

وقد جعل غردون اعتماده على الموظفين الأجانب في تلك الأصقاع النائية ، فعين مسداليا بك Messedaglia مديراً للفاشر (دارفور) ، وكان ايطالياً ، وجيسي باشا Gessi pach الايطالي مديراً لبحر الغزال ، وفردريك روسي Rosse قنصل ألمانيا في الخرطوم مديراً لدارفور ، وشارل ريجولييه Rigolei الفرنسي مديراً لداره ، واميليانى Emiliani مديراً لسكبكيه ، والدكتور زوربخين مفتشاً للصحة ، والضابط (سلاطين) أحد ضباط الجيش النمساوي مفتشاً للمالية ، وهو الذي صار فيما بعد سلاطين باشا صاحب المواقف المشهورة أثناء الثورة المهدية ، وجيكلر باشا النمساوي ، مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق ، وهلم جرا

وكان الكولونل (بروت) الامريكاني يتولى الحكم في مديرية خط الاستواء ، فعين بدله ابراهيم فوزى (باشا) ، ثم مالبت أن أقاله وعين في مكانه الدكتور شنتزر الألماني الذي عرف بعد ذلك بأمين باشا

وأهمل غردون شأن المقاطعات الاستوائية ، ولم يعن بتوطيد سلطة الحكومة المصرية فيها ، فكانه كان يبغى إقصاءها عن الحكم المصري ، تمهيداً لإدخالها في منطقة النفوذ الانجليزي

وأقفل المدارس التي فتحتها الولاية من قبل ، وتذرع إلى ذلك بقله المال ، ومنع إرسال

(١) مصر ومديرياتها المفقودة ، للكولونل شايي لونج بك ص ١٨٦

الطلبة الناجحين بمدرسة الخرطوم إلى مصر ، وعزل الموظفين منهم  
وشغلت الفتن والثورات معظم مدته ، وكان عهده نذيراً بشبوب الثورة المهديّة ،  
وساعد على شبوب الفتن تشدده في إبطال الرقيق ، ونقص قوة الجيش المصري في السودان ،  
بما أخذته الحكومة من صفوفه من الأمداد التي أرسلتها إلى تركيا في حرب البلقان  
( سنة ١٨٧٧ )

ثار سليمان بن الزبير باشا سنة ١٨٧٧ انتقاماً لآبيه . إذ كان ممنوعاً من الرجوع إلى  
السودان ، وطمع في الاستقلال ببحر الغزال ، فأنفذ إليه غردون باشا حملة طارده  
وأوقعت به

ثم عاد يقاوم الحكومة ، فأنفذ إليه غردون حملة بقيادة جيسى باشا ، انتهت بهزيمة  
سليمان ومقتله ( يولييه سنة ١٨٧٩ ) ، وقد حزن عليه أبوه الزبير باشا حزناً شديداً ،  
لكنه بقي موالياً للحكومة المصرية

وثار قائد من قواد جيش الزبير يدعى ( الصباحي ) ، فطارده الجنود المصرية حتى  
أدرسته ، وحوكم أمام مجلس عسكري وحكم عليه بالاعدام ( مارس سنة ١٨٧٩ )  
وثار في دارفور أمير من سلالة سلاطينها يدعى هارون ولقب نفسه بالرشيد ، وبايعه  
الأهلون سلطاناً عليهم في أوائل سنة ١٨٧٧ ، فخاربه الجنود المصرية حرباً طويلة ، انتهت  
بمقتله في أوائل سنة ١٨٨٠ (١) ، وسعى غردون في الاتفاق مع يوحنا ملك الحبشة على  
تحديد التخوم بينه وبين مصر ، فلم يوفق إلى ذلك ، وفي أواخر سنة ١٨٧٩ جاء إلى مصر ،  
وكان ذلك في أوائل حكم الخديو توفيق باشا ، وقدم استعفاءه من منصبه ، فعينت  
الحكومة محمد رءوف باشا حكاماً للسودان خلفاً له ، وهو آخر الولاة الذين حكموا  
السودان قبل الثورة المهديّة ، وفي عهده ظهرت بوادر تلك الثورة المشؤمة التي قضت  
على نفوذ مصر في السودان ، ومهدت للحكم الإنجليزي في أرجائه

(١) دارفور في عهد غردون باشا لمسداليا بك ، مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ٣ عدد ١  
ص ٦٧ ( مايو سنة ١٨٨٨ )

## التقسيم الإداري

دخل على التقسيم الإداري في عهد اسماعيل تعديلات أفضى إليها في الغالب التوسع في الفتح وضم بلاد جديدة الى السودان  
فصار مؤلفاً من المديرية والمحافظات الآتية (١):

العاصمة	المديرية والمحافظات
الخرطوم	مديرية الخرطوم
سنار	د سنار وفازو على
بربر	د بربر
دنقله	د دنقله
كسلا	د كسلا أو التاكة
فاشوده	د فاشوده
الأيض	د كردفان
الفاشر	د الفاشر
داره	د داره
كبكيه	د كبكيه
ديم الزبير	د بحر الغزال
الاسماعيلية (غندكرو)	د خط الاستواء
ثم اللادو ثم ودلاي	

مديرية دارفور (٢)

(١) انظر إحصاء شيلو بك Chelu bey كبير مفتش الري بالسودان في كتابه (النيل والسودان ومصر) ص ٩٧ ، ونعوم بك شقير في كتابه السودان ج ١ ص ٦٧

(٢) كما ذكرها مسداليا بك مدير دارفور في عهد غردون باشا في بحثه المنشور بمجلة الجمعية الجغرافية الخديوية بمجموعه ٣ عدد ١ (مايو سنة ١٨٨٨) ص ٤٦ مع تسمية مديرية كبكيه باسم كلكل ويوافق التقسيم الوارد في خريطة مسداليا بك ذاته عن السودان الملحقه بالكتاب الازرق الانجليزي Blue Book سنة ١٨٨٣ ج ص ٣٨



وكانت مقسمة الى مأموريات لاتوكا ،  
وبور ، ومكركه ، ومنبوتو وودلاي ، وفويره

سواكن	محافظة سواكن
مصوع	مصوع
هرر	حكمدارية هرر
زيلع	محافظة زيلع
بربره	محافظة بربره

### الجيش المصرى فى السودان

بلغ الجيش المصرى فى السودان على عهد اسماعيل نحو ٣٠ الف مقاتل موزعين  
على المراكز الآتية :

دنقله . بربر . الخرطوم . سنار . القلابات . الجيرة . ( بالقرب من حدود الحبشة )  
القضارف . كسلا . أميديب . سنهيت . سواكن . كردفان . دارفور . بحر الغزال  
خط الاستواء . مصوع . هرر . زيلع . بربره



## أعمال العمران

يَبِينَا فِي «عصر محمد علي» (ص ١٨٠ وما بعدها طبعة اولى) عمران السودان في عهد محمد علي، ثم ذكرنا في الفصل الثاني من كتابنا الحالي ماتم علي يد سعيد باشا من الإصلاح، والآن نذكر أعمال العمران التي تمت في عهد اسماعيل، عداما ذكرناه فيما تقدم من البيان

## استتباب الأمن

كان من أول ما عني به الحكم المصري في السودان بسط رواق الأمن، وهو قوام العمران وأساس تقدم الزراعة والتجارة، ويكفي دليلا على فضل الحكم المصري من هذه الناحية كلمة السير صمويل بيكر في هذا الصدد، قال: «ان السائح الأوروبي يمكنه أن يجوب تلك الأصقاع البعيدة، دون أن يخشى على نفسه أكثر مما يخشاه من يتنزه بعد غروب الشمس في حديقة هايدبارك بلندن،

## الزراعة

وانتشرت الزراعات الحديثة في أنحاء السودان وخاصة في عهد اسماعيل باشا أيوب، فقد عمل على توسيع مناطق زرع القطن، واستقدم لهذا الغرض كثيرا من آلات الري لتوفير المياه اللازمة للقطن، وأنفق في هذا السبيل أموالا طائلة لشراء الآلات ونقلها عن طريق سواكن، وأنشأ معملين لحليج القطن في كسلا والخرطوم<sup>(١)</sup>، وكان في نيته انشاء معمل آخر في (بربر) ولكنه فصل عن حكمدارية السودان سنة ١٨٧٦، وعين بدله غردون باشا

وانتشرت زراعة القطن في السودان الشرقي، وأنشئت أسواق لبيع محصوله

---

(١) ذكرت الوقائع المصرية عدد ٥٤٨ الصادر في ١٠ مارس سنة ١٨٧٤ وابور حليج الأقطان بكسلا، وجاء ذكر وابور الخرطوم في كتاب شيلو بك «النيل والسودان

في كسلا والقضارف (ابوسن) والقلابات ، وصار لكسلا أهمية تجارية كبيرة لكثرة  
مزارع القطن حولها ، فضلا عن موقعها الحربى

وزرع الدخان في القضارف ، وأنتج صنفا لا يقل جودة عن دخان الأناشول ،  
واستعمله المدخنون في جميع نواحي السودان <sup>(١)</sup> وأنشأ أمين بك (باشا) حقولا  
للتجارب الزراعية بجوار (الرجاف) <sup>(٢)</sup>

وكثر النخيل في دنقله ، وزاد محصول التمر كل سنة ، وكان ينقل الى بربر والخرطوم  
ومن هناك يرسل الى أفاصى السودان حتى خط الاستواء والحبشة

### طرق المواصلات

نشطت المواصلات بين مختلف بلدان السودان في عهد الحكم المصرى ، واليك أهم  
الطرق التى كانت تسلكها القوافل أو السفن <sup>(٣)</sup>

- ١ - من الخرطوم الى الأبيض عاصمة كردفان - ١٢ مرحلة بسير القوافل
- ٢ - د د د الفاشر عاصمة درافور - ٣٢ مرحلة بسير القوافل
- ٣ - د د د غندكرو (الاسماعيلية) بطريق النيل والمسافة بينهما  
بالبواخر فى ثمانية عشر يوما
- ٤ - د د د قوز رجب على نهر عطبره - ست مراحل
- ٥ - د د د دنقله - ٨ مراحل
- ٦ - د د د ابو حراز فالقضارف وتقطع المسافة بينهما فى ثلاثة أيام  
بالبواخر ثم خمسة اخرى على ظهور الجمال
- ٧ - د د د قوز رجب فكسلا فى ثمانية أيام بالجمال

(١) النيل والسودان ومصر للمسيو شيلو بك ص ١٠٥

(٢) مجلة الجمعية الجغرافية عدد فبراير سنة ١٨٨١ ص ٣٢

(٣) كما ذكرها الكولونل ستوارت فى تقريره المنشور بالكتاب الأزرق الانجليزى عن مصر

سنة ١٨٨٣ (ج ١١ ص ٨)

- ٨ - من القصارف الى القلابات في أربعة أيام على ظهور الجمال  
٩ - د د د ( الجيرة ) في يوم ونصف على الجمال  
١٠ - د د د كسلا في خمسة أيام بالجمال  
١١ - من قوز رجب الى سواكن في احد عشر يوما على ظهور الجمال  
١٢ - من مصوع الى سنهيت ( عاصمة البوغوس ) في خمسة أيام على الجمال  
١٣ - من سنهيت الى كسلا في سبعة أيام بالجمال  
١٤ - من غندكرو الى الدفلاى سيرا على الأقدام في تسعة أيام  
١٥ - د د د منبوتو في ٣٤ يوما سيرا على الأقدام  
١٦ - د د د فويره في ١٨ يوما سيرا على الأقدام  
١٧ - د د د لاتوكا في سبعة أيام سيرا على الأقدام  
١٨ - د د د مكركا في سبعة أيام سيرا على الأقدام  
١٩ - من الفاشر الى أسيوط في أربعين يوما على ظهور الإبل

### المواصلات النيلية ودار الصناعة بالخرطوم

وأصلح مجرى النيل في شلال ( عبكة ) جنوبي وادى حلفا ، ونسفت الصخور والعقبات التي كانت تعترض السفن فيه ، فصار صالحا للملاحة النيلية ومرور السفن الشراعية والبواخر ، فسهلت المواصلات بين مصر والسودان <sup>(١)</sup> وأزيل جزء من السدود على النيل الأعلى <sup>(٢)</sup>

وأصلحت ترسانة الخرطوم التي كان إنشاؤها في عهد محمد علي ، وكثرت بها البواخر النيلية ، وبلغ عددها ١٥ باخرة وعدة ذهبيات مصنوعة من الحديد والخشب ، وقد أرسلت هذه البواخر من مصر إلى الخرطوم بطريق النيل عدا الباخرة ( الاسماعيلية ) التي اتخذها الحكمدارون لركوبهم فانها نقلت قطعاً مفككة وركبت في ترسانة الخرطوم ، وأنشئت في هذه الترسانة أربع بوآخر جديدة <sup>(٣)</sup>

(١) الوقائع المصرية العدد ٣٦٧

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٥٢ ( ٧ ابريل سنة ١٨٧٤ )

(٣) شيلو بك ص ١٧١

## الملاحة البحرية والفنارات

وأُنشئ فنار في ميناء ( بربره ) على خليج عدن لهداية السفن وتسهيل الملاحة ، وبنى بها أيضاً رصيف لإيواء السفن بمرفئها

وعهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٧٨ إلى الكولونل جريفز Graives والقائم مقام محمد مختار بك ( باشا ) ارتياد شواطئ السومال التابعة لمصر والواقعة على المحيط الهندي لاختيار موقع يقام فيه فنار يرشد السفن في طريقها بين المحيط وخليج عدن ، وقد اضطلعوا بهذه المهمة ، وخطط القائم مقام مختار بك خريطة هذه الجهة ومكان الفنار ، وهو يقع على بعد ثمانية أميال جنوبى رأس جردفون ( جردفوى )<sup>(١)</sup> وعلى مسافة ثمانمائة متر من مصب نهر صغير يجرى فيه الماء العذب بواد يعرف بوادى التخوم ولكن الفنار لم ينشأ ، لانتهاه حكم اسماعيل فى يونيه سنة ١٨٧٩

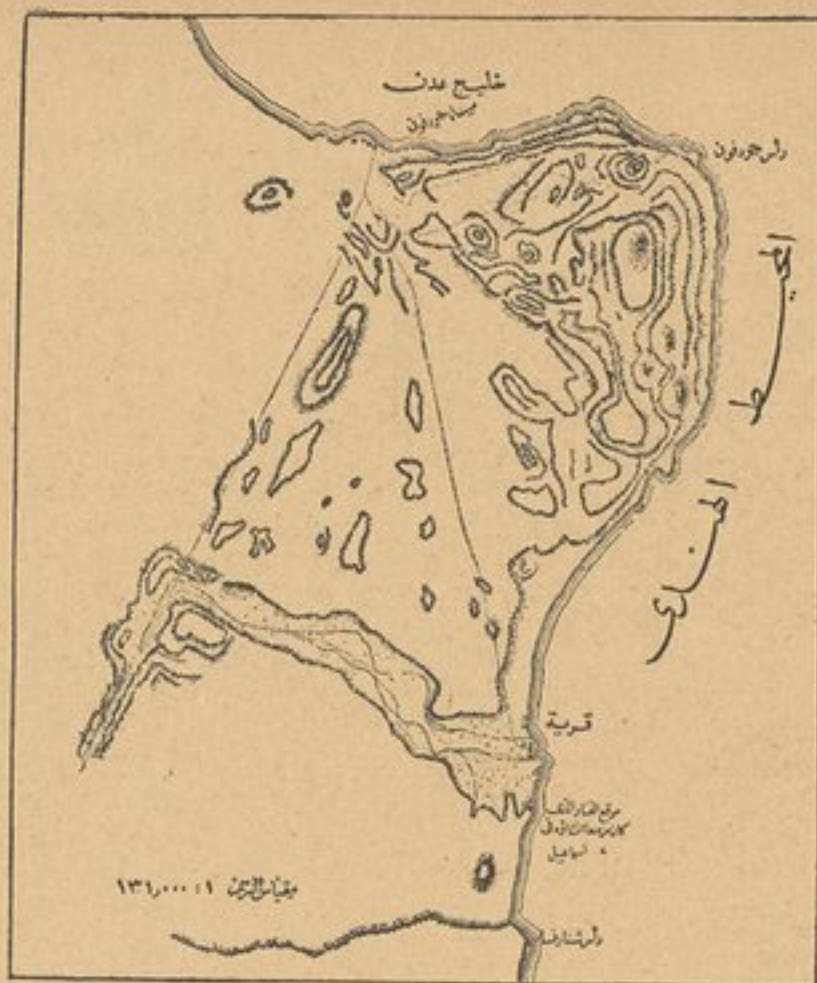
وتجد بالصفحة الآتية خريطة رأس جردفون وموقع الفنار الذى كان مزعماً لإنشاؤه كما خططها القائم مقام محمد مختار بك

## مشروع السكة الحديدية

وعهد الخديو اسماعيل إلى جماعة من المهندسين تخطيط السكة الحديدية التى تصل السودان بمصر

وشرع فى مد الخط الحديدى على طول النيل من وادى حلفا إلى ( حنك ) ، وأنفق فى ذلك نحو ٤٠٠ ألف جنيه ، ومدّ من الخط نحو ٥٧ كيلو متراً فقط من وادى حلفا ، ومهد الطريق على بعد ٤٧ كيلو متراً أخرى ، ثم وقف العمل سنة ١٨٧٨ بسبب ارتباك الحكومة المالى

(١) انظر مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ١ عدد ٩ ( أغسطس - نوفمبر سنة



راس جردون و جردفوى ،

وكان من أملاك مصر على المحيط الهندي في عهد الخديو اسماعيل ، وترى موقع الفنار  
الذي اعتمز اسماعيل باشا لإنشائه سنة ١٨٧٧  
وهذه الخريطة مصغرة عن خريطة وضعها بالفرنسية اللواء محمد مختار باشا ونشرت في  
مجلة الجمعية الجغرافية سنة ١٨٨٠

#### المدارس

وأنشئت بعض المدارس لتهديب الأهلين وثقيفهم ، وعهد بالتدريس فيها إلى  
المتخرجين من مدرسة الخرطوم التي أنشئت في عهد عباس الأول  
وقد رأينا في (الوقائع المصرية) <sup>(١)</sup> وصف احتفال نخم أقامته مدرسة (بربر)

(١) العدد ٦١١ - ٢٠ يونيو سنة ١٨٧٥

الابتدائية ، لمناسبة امتحانها النهائي ، أنشد فيه نخباء التلاميذ القصائد المنظومة ، وتم الاحتفال على نظام الحفلات المدرسية في عهد اسماعيل وأنشأ أمين بك ( باشا ) في اللادو عاصمة مديرية خط الاستواء مدرسة لتعليم أبناء الأهلين ومستشفى ومسجدا (١)

### التجارة

بسط الحكم المصري رواق الأمن في السودان ، فنشطت حركة التجارة في بلدانه ، واتسع نطاق المواصلات التجارية بينه وبين مصر ، وانشئت فيه بيوت تجارية كبيرة تتولى إصدار متاجر السودان إلى مصر وأوروبا وتجلب إلى السودان واردات أوروبا ومصر ، وقد أثرت هذه البيوت ، وصار لها شأن يذكر ، وأكبرها بيت السيد احمد العقاد ، وبيت علي أبي عمورى ، وفرج الله الموصلى ، والخواجه غطاس ، وجيليو ، وامبرواز وغيرهم ، وقد مد هؤلاء تجارتهم الى أقاصى السودان ، وصار لكل منهم قوة مسلحة من السودانيين ، وأما كن للتجارة في مختلف الجهات تسمى « مشارع » ، يقيمونها على شكل مربع من عروق الأشجار ، ويقم التاجر أو وكيله فيها بحراسة رجاله المسلحين ، ول هؤلاء الحراس مهمة أخرى ، وهى اقتناص الرقيق للتجار بهم في أسواق مصر ، وقد درت عليهم تجارة الرقيق ثروات كبيرة لما فيها من الأرباح الطائلة ، وبما يدل على اتساع نفوذ هذه البيوت التجارية أن ( الزبير باشا ) الذى صار له شأن كبير في السودان كان في بداية أمره وكيل بيت علي أبي عمورى

ولما اعترم الخديو اسماعيل منع تجارة الرقيق عهد الى ولاية السودان الاتفاق مع أصحاب « المشارع » ، على أن يتخلوا عنها للحكومة مقابل تعويضات تدفع اليهم ، وكانت هذه البيوت تتولى إصدار متاجر السودان ، كالعاج ، وريش النعام ، والتبر ، والصمغ ، والجلود ، والنغم ، والمواشى ، والتمر الهندى ، والبن ، والسكحل ، وقرن الخريت وما إلى ذلك



وظلت التجارة مزدهرة في ظل الحكم المصري ، وبلغ عدد البيوت التجارية المملوكة للمصريين في السودان ثلاثة آلاف بيت ، والمملوكة للاوروبيين الف بيت ، وبلغت واردات السودان في السنة مليونين من الجنيهات وصادراته تعادل هذا القدر (١)

### البريد

عهد الخديو اسماعيل الى موتشى بك مدير مصلحة البريد المصرية إنشاء مكاتب منتظمة للبريد في عواصم السودان ، فصعد بالأمر وأنشأ بها عدة مكاتب ، وأنشئت إدارة للبريد في الخرطوم سنة ١٨٧٣ احتفل بافتتاحها احتفالاً فخماً (٢)

وأنشئت مكاتب منتظمة للبريد في الخرطوم ، ودنقلة ، وبربر ، وكسلا ، وفتحت أيضاً مكاتب أخرى في سنار ، والمسلمية ، والقضارف ، وفازوغلي ، وكرجوع ، وفاشوده ، والأبيض ، والفاشر ، وبقيت هذه المكاتب تؤدي مهمتها ، إلى أن تعطلت بعد شوب التورة المهديّة سنة ١٨٨٣ ، وظل مكتب الخرطوم مفتوحاً إلى أن سقطت المدينة في أيدي الثوار سنة ١٨٨٥

### التلغرافات

بلغت الخطوط التلغرافية التي أنشئت في السودان لغاية سنة ١٨٧٠ ، ٢١١٠ كيلو متر ، وبلغ عدد مكاتب التلغراف في مدن السودان ٢١ مكتباً ، وذلك سنة ١٨٧٧

---

(١) عن بيان قدمه التجار الوطنيون والأجانب في مصر احتجاجاً على إخلاء السودان سنة ١٨٨٤ ، وضحوا فيه ان إخلاءه يؤدي الى بوار متاجرهم فيه ( كوشري - المركز الدولي لمصر والسودان ص ٢٨٦ )

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٤٨ ( ١٠ مارس سنة ١٨٧٤ )

وهناك بيان الخطوط التلغرافية والمدن التي وصلت بينها (١)

- (١) مصر - دنقله - بربر - الخرطوم
  - (٢) الخرطوم - ابو قراد - الأبيض - فوجه
  - (٣) الخرطوم - ابو حراز - المسلبية - سنار ، فازوغلى
  - (٤) المسلبية - الكوه
  - (٥) ابو حراز - القضارف - كسله - سنهيت - مصوع
  - (٦) كسله - قوز رجب (على نهر عطبره) - بربر
  - (٧) سواكن - كسله
  - (٨) القضارف - دوكة - جنوبي القضارف - القلابات
  - (٩) القضارف - الجيرة (بالقرب من حدود الحبشة)
- وكان مركز هذه الخطوط في الخرطوم وقد ظلت قائمة الى أن عطلت في عهد الثورة المهدية

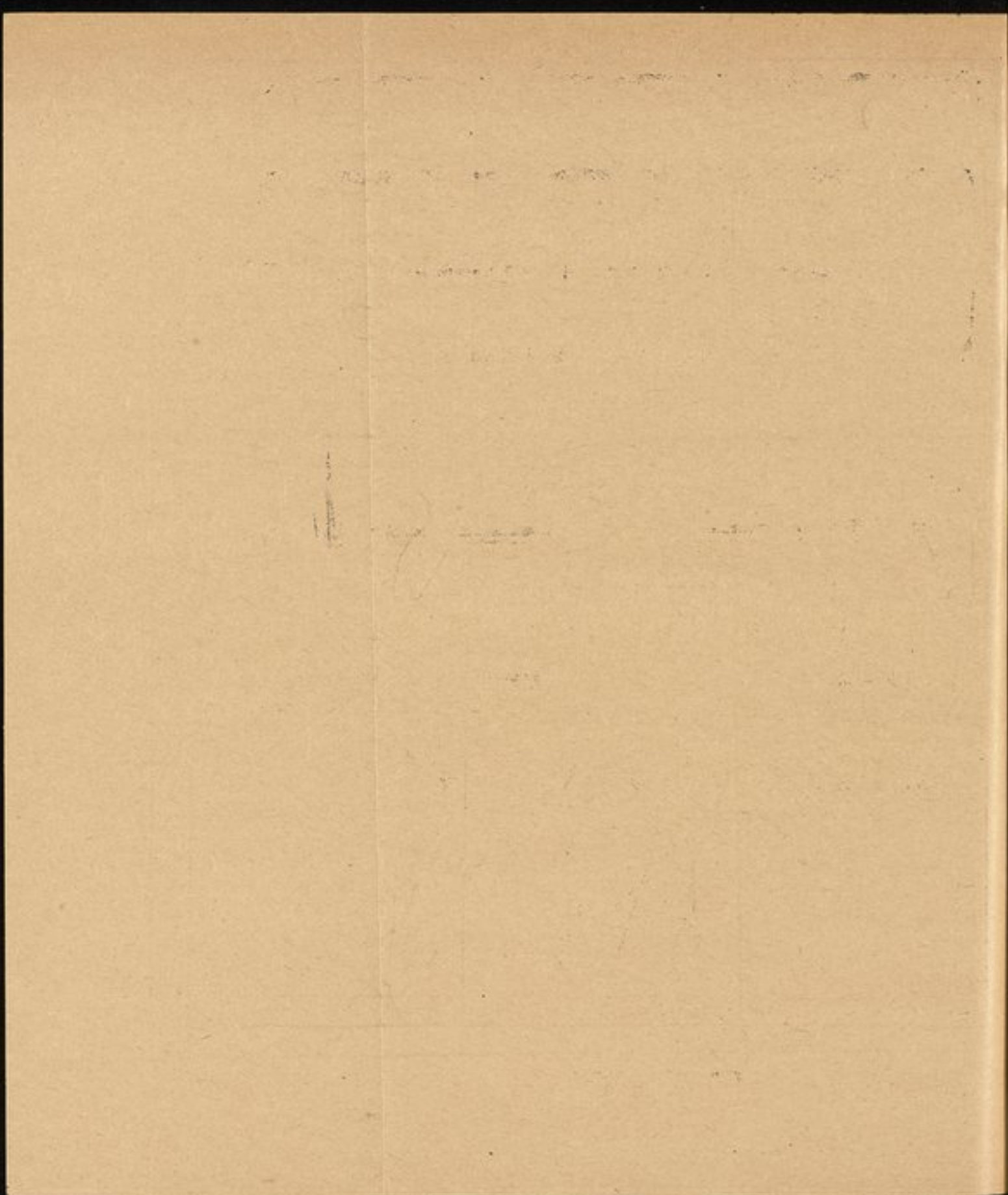
### ميزانية السودان

ذكر غردون باشا في رسائله « ص ٢٨١ ، أن ميزانية السودان سنة ١٨٧٨ . تألف من الأرقام الآتية :

٣٢٧٠٠٠	جنيه دين السودان
٥٧٩٠٠٠	ايرادات الحكومة
٦٥١٠٠٠	مصروفاتها
٠٧٢٠٠٠	العجز

(١) تقرير الكولونل ستوارت عن السودان المنشور في الكتاب الأزرق الانجليزي

Blue Book عن مصر سنة ج ١٨٨٢ ج ١١ ص ٨



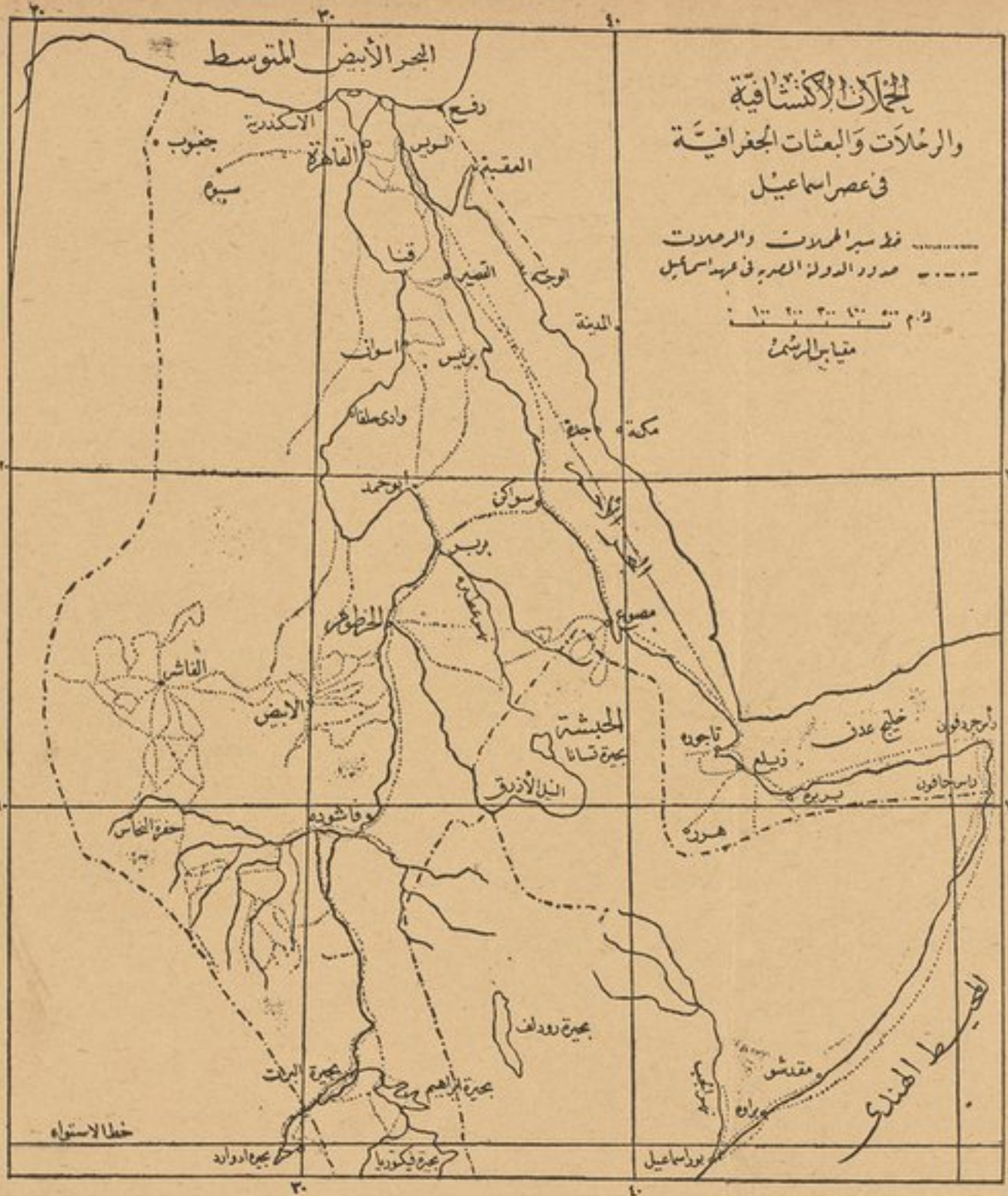
# الخزائن الأكتشافية

والرحلات والبعثات الجغرافية  
في عصر سامعيل

..... فل سيرا المهدوت والرحلات  
- - - - - صدر الدولة المصرية في عهد سامعيل

١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠

مقياس الرسم



## الرحلات والبعثات الجغرافية

إن بسط سيادة مصر وسلطانها على وادي النيل قد مهد الطريق للاكتشافات والتحقيقات الجغرافية والعلمية في أرجاء السودان ، فحفل عصر اسماعيل بالبعثات والرحلات التي أنفذها الخديو لهذا الغرض على نفقة الحكومة المصرية ، وقوامها ضباط أركان حرب الجيش المصري ، فكان لهم الفضل الكبير في مد رواق الحكم المصري ، ونشر لواء الحضارة في السودان ، ولهم فضل لا ينكر في تقدم علم الجغرافيا والاكتشافات ، بما أضافوا إليها من الحقائق الهامة ، والبيانات المبتكرة ، والخرائط والرسوم الدقيقة ، وأنا ذاكرون بالفخر والإعجاب موجز أعما ، هذه البعثات والرحلات المصرية ، وما وصلت إليه من الاكتشافات الجغرافية

فأول هذه البعثات حملة صمويل بيكر باشا إلى منابع النيل وقد أسلفنا الكلام عنه وفي سنة ١٨٧١ قامت بعثة برأسه الأمير الای ( بوردي بك ) Purdy أحد ضباط أركان حرب الأمريكان في الجيش المصري ومعه طائفة من الضباط المصريين ، لجأوا إلى الجهات الواقعة بين النيل والبحر الأحمر ، من القاهرة والسويس شمالاً ، إلى قنا والقصر جنوباً ، واكتشفوا طرق المواصلات ومناجم المعادن والمحاجر في تلك الجهات

وفي سنة ١٨٧٣ سار الأمير الای بوردي بك بحراً إلى موقع برنيس ( برنيقه ) القديمة على البحر الأحمر ( غربي رأس بناس ) ولحقه بها الأمير الای كولستن Colston أحد الضباط الأمريكان في الجيش المصري من طريق قنا برأ ، وخططا الجهات المقفرة الواقعة بين برنيس و ( بربر ) على النيل وقضيا في هذه المهمة نيفا وسبعة أشهر (١)

وفي سنة ١٨٧٤ اكتشف الأمير الای شاني لونج بك Chaille Long بحيرة ابراهيم كما بيناه في موضعه ، واكتشف معظم مجرى النيل المعروف بنيل فيكتوريا ،

---

(١) راجع تقرير الأمير الای بوردي عن هذه الرحلة في مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة نمرة ٢ عدد ٨ ص ٤٣١ ، وتقرير الأمير الای كولستن بالمجلة المذكورة بمجموعة نمرة ٢ عدد ٩ ( اغسطس سنة ١٨٨٦ ) ص ٤٨٩ ، وبحث الأستاذ كورا عن رحلة كولستن من قنا إلى برنيس وخريطة الرحلة في مجلة الجمعية بمجموعة ٣ عدد ٧ ( سبتمبر سنة ١٨٩١ ) ص ٥٢٣

وحقق نقطة كانت غامضة وهي أن نيل فكتوريا يصب في بحيرة ألبرت ، ورسم الطريق بين اللادو ومكر كه جنوبي بحر الغزال

وبعد أن تم فتح دارفور سنة ١٨٧٤ انفذ الخديو ثلاث بعثات كبرى مؤلفة من ضباط أركان الحرب لاكتشاف جهات كردفان ودارفور

الأولى برئاسة الأمير الای بوردی بك ، ومن أعضائها القائم مقام ميزون بك Maison من الضباط الأمريكان في الجيش المصري ، والملازمون محمود افندی صبری (باشا) ، ومحمد افندی سامی ، وسعيد افندی نصر (باشا) ، و خليل افندی حلی ، والدكتور محمد افندی امین ، ومهمتها اكتشاف جهات دارفور ، فكتشفت المواقع وطرق المواصلات بين النيل و ( حفرة النحاس ) بأقصى حدود دارفور جنوبا بغرب (١) ، وجاءت أرجاء هذا الإقليم العظيم ، وكشفت من الطرق ما طوله ٦٥٠٠ ميل ، وحققت ٢٢ موقعا من المواقع الفلكية ، ورسمت خريطة دقيقة لهذه البلاد

والبعثة الثانية برئاسة الأمير الای كلستون ، ومن أعضائها الصاغ احمد افندی حمدي (باشا) والأمير الای بروت Prout من الضباط الأمريكان في الجيش المصري ، والملازمون عمر افندی رشدي (باشا) ، ومحمد افندی ماهر (باشا) ، ويوسف افندی حلی ، و خليل افندی فوزی ، والدكتور بفوند Pfund العالم الطبيعي ، وقد اكتشفت جهات كردفان ، وحققت مواقعها ومدنها وطرق المواصلات فيها ، ورسمت خريطة دقيقة عنها ، ومرض رئيس هذه البعثة خلال الرحلة فتولى الرئاسة بدله الأمير الای بروت

وقضى أعضاء البعثتين ثلاث سنوات يقطعون المراحل ويطوون القفادف ويستهدفون المتاعب المضنية في سبيل الاضطلاع بمهمتهم

والبعثة الثالثة برئاسة المهندس الامريكي ميشل Michey (٢) يصحبه الضابط عبدالفتاح

---

(١) راجع بحث الأمير لای ( اللواء ) بوردی باشا عن هذه البعثة بمجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ١ عدد ٨ ( مايو سنة ١٨٨٠ ) ص ٥ والخريطة الملاحقة بهذا العدد

(٢) عالم في طبقات الارض ومهندس مناجم وكان ملحقا بقسم اركان حرب الجيش المصري وتجد تقريره عن هذه البعثة في مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية بمجموعة ١ عدد ٦ ( اكتوبر سنة ١٨٧٩ ) ص ٧ و ١٥

افندى فتحي لاكتشاف المعادن بين النيل والبحر الاحمر ، وقد كشفت هذه البعثة مناجم للذهب في ( الحمامة ) شمالى قنا ، ثم عرجت بثغور البحر الاحمر وخليج عدن ، كالقصير ، ومصوع ، وتاجوره ، وزيلع ، وأوغلت في الداخل ، ثم عادت الى مصوع وكشفت الجهات الشرقية من الحبشة

ورسم ارست لينان دى بلفون ( ابن لينان باشا ) الطريق بين غندكرو ودوباجا عاصمة أوغنده ، وقد قتل وهو عائد من مهمته . ومن بياناته وضع العلامة جورج شونفرت خريطته عن تلك الجهات  
ورسم البكباشى محمد افندى عزت أحد ضباط حملة منزجر باشا خريطة الجهات الواقعة بين تاجوره وبحيرة اوسا ، بالحبشة

ورسم محمد مختار بك ( باشا ) وعبدالله بك فوزى ( باشا ) خريطة بلاد هرر ، ورسم الأول خريطة المدينة ، ووضع خريطة أخرى لرأس جردفون <sup>(١)</sup> ( جردفوى ) وموقع الفغار الذى أزمع اسماعيل انشاءه في تلك الجهة كما تقدم بيانه

ورسم ضباط أركان حرب نادى باشا الجهات الواقعة بين هرر وزيلع ووضع القائم مقام عبد الرزاق بك نظمى خريطة بربره وماحققتها

وكشفت حملة السومال التى أنفذها اسماعيل سنة ١٨٧٥ سواحل البنادر الواقعة على المحيط الهندى وجهات قسمايو ( بور اسماعيل ) ونهر الجوبا ، وهى الجهات التى قصدت اليها الحملة كما فصلناه في موضعه

وفي سنة ١٨٧٧ جاب الامير الاى ميزون بك Maison بحيرة ( ألبرت ) وأتم الاكتشاف الذى بدأه فيها السير صمويل بيكر ووضع لها خريطة دقيقة <sup>(٢)</sup>  
وأنفذ الخديو سنة ١٨٧٧ بعثة برآسة المستر برتون لاكتشاف المعادن التى بجهات ( مدين ) بجزيرة العرب

وحقق ضباط أركان الحرب برآسة البكباشى عبد الله بك فوزى ( باشا ) حدود

(١) الاسم الصحيح ( جردفون ) كما حققه العلامة أحمد زكى باشا

(٢) مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ١٤ عدد ٥ ( مايو سنة ١٨٧٧ - فبراير سنة ١٨٧٨ ) ص ٥

الجبشة الشمالية والطرق بين مصوع والنخطوم ورسموا خريطتها  
وحقق جيسى باشا مواقع بحر الغزال

وجاب الأمير لاي محمد مختار بك ( باشا ) نواحي السودان الشرقي حين كان رئيسا  
لأركان حرب السودان سنة ١٨٨٠ يصحبه من ضباط أركان الحرب خليل بك فوزى  
والملازمان محمد خير الله وعلى خيرى ، وله مبحث مسهب في تخطيط أبو حراز ، والقضارف  
( ابوسن ) ، والقلابات ، وطومات ، واميديب وغيرها من مدن السودان الشرقي (١)  
واكتشف أمين باشا مدير خط الاستواء نهر السمليكي الواصل بين بحيرة إدوارد  
وبحيرة ألبرت

ورسم ضباط أركان حرب الجيش المصرى سنة ١٨٧٧ خريطة مفصلة لافريقية ،  
وهي أدق خريطة عرفت إلى ذلك الحين ، اشترك في رسمها كل من الأمير لاي لوكت  
Loctiet ، والقائم مقام محمد مختار بك ( باشا ) ، والصاغ عبد الله بك فوزى ، وعبد الرزاق  
بك نظمي ، والضباط محمود صبرى ( باشا ) ، وأحمد فائق ( باشا ) ، ومصطفى كامل ، وأحمد  
فهمى ، وحسن حارس ( باشا ) ، وحسن صفوت ، وابراهيم حلمي ، ومحمد جودت ،  
ومحمد خير الله ، ويوسف ضيا ( باشا ) ، وعلى حيدر ( باشا ) ، وأحمد رشيد  
وهذه الخريطة مودعة ضمن محفوظات الجمعية الجغرافية الملكة

ذكر الجنرال استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى فى عهد اسماعيل أن  
الجهات التي جابها ضباط أركان الحرب وحققوها ، ورسموا مواقعها ، تبلغ فى اتساع  
مداها بمجموع مساحة فرنسا والمانيا والنمسا والمجر (٢) بحدودها القديمة ، وهذا يدل على  
عظم الاكتشافات والتحقيقات التي تمت على أيديهم

وقد ضاع كثير من مباحث هذه البعثات ، لأن الاحتلال الانجليزى تعمد أن يبدد  
أعمالها وخرائطها وبجاميعها النفيسة ، وذلك لسكى يقطع الصلة بين جيشنا القديم المجيد

(١) مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ١ عدد ١١ ( فبراير سنة ١٨٨١ ) ص ٥

(٢) الرحلات المصرية فى افريقية للجنرال استون باشا - مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة

٢ عدد ٧ ( مايو سنة ١٨٨٥ ) ص ٣٤٣



والجيش الذى ألفه الانجليز بعد الاحتلال ، على أن المباحث الباقية لأعضاء هذه البعثات  
تسجل لضباط الجيش المصرى أجلّ الخدمات للعلم والحضارة والعمران ، فإن  
الاكتشافات والحملات البعيدة المدى التى اضطلعوا بها جديرة بأن تعد من مفاخر تاريخنا  
القومى ، ومن الصفحات المشرفة فى تاريخ الجيش المصرى والضباط المصريين

## الحكم المصرى فى السودان

وشهادة الثقات من الأجانب

ذكرنا فى كتاب «عصر محمد على» (ص ١٨٣ من الطبعة الأولى) أقوال الثقات من الأجانب فيما بلغه السودان من العمران على عهد محمد على والآن نذكر ما شهدوا به عن عمران السودان على عهد خلفائه وخاصة فى عصر اسماعيل

قال السير صمويل بيكر سنة ١٨٧٣ فى كتابه (الاسماعيلية) : « أن مصر وحدها هى التى تستطيع تمدين أفريقيا النيلية بإنشاء حكومة نظامية ، وحسبها أن تمت حدودها الى خط الاستواء ، وبذلك تضمن حياة السائحى فى تلك الأقطار ، واليوم قد أصبح امتداد حدودها الجنوبية الى خط الاستواء أمراً واقعاً ، فافتحت أفريقيا الوسطى للحضارة والعمران ، (١)

وقال المسيو سوتزارا Suzzara قنصل النمسا فى مصر على عهد اسماعيل : « إذا علينا ما كانت عليه الشعوب فى تلك الأقطار من الهمجية ، وجب علينا أن نعد خضوعها لسلطة الخديو تدرجاً نحو التقدم ، فان هذه الشعوب أخذت تألف الإدارة المنتظمة القائمة على قواعد الاستقرار والنظام ، ومن جهة أخرى فان الأقطار السودانية التى كانت مقفلة قد فتحت للتجارة والحلاى ، مما مهد السبيل لدخول الحضارة إليها ، (٢)

وقال رودلف سلاطين (باشا) فى كتابه (النار والسيوف فى السودان) الذى وضعه سنة ١٨٩٥ عقب خلاصه من أسر التعايشى (٣) :

(١) الاسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ٤١٢

(٢) تقرير سوتزارا المنشور فى مجلة مصر Revue d'Egypte للمسيو جالباردو بك عدد

مارس سنة ١٨٩٦ ص ٦٢٩

(٣) النار والسيوف فى السودان . النسخة الفرنسية ج ٢ ص ١٨٤ وما بعدها

« ان السودان المصرى يحكمه الآن ( سنة ١٨٩٥ ) الخليفة عبدالله التعايشى ، الرئيس  
المستبد لدعاة المهدي ، وقد كانت السنوات العشر من حكم المهديين كافية لنشر العبودية  
في نواحيه ، ومن الحق أن نقول إن السودان ظل سبعين سنة ونيفا ، منذ عهد محمد علي  
مستظلا بالحكم المصرى ، مفتوحا للحضارة والمدنية ، والمتاجر المصرية والأوروبية  
تردهر في عواصمه ، والدول الأجنبية توفد قناصلها الى الخرطوم ، والسائحون على  
اختلاف أجناسهم يجوبون خلال البلاد ، دون أن يلقوا بممانعة ، بل كانوا يلقون عطفًا  
ورعاية من ولاية الأمور ، وانتظمت طرق المواصلات والتلغرافات وإدارة البريد ،  
فسهلت الاتصال بين أرجاء السودان القاصية ، وأدى الناس الشعائر الدينية بملء الحرية  
سواء في المساجد أو الكنائس ، وقامت مدارس البعثات الى جانب مدارس الحكومة ،  
وعلى الرغم من تعدد القبائل التي تسكن السودان وما كان بينها من العداة ، وتحفزها  
للاقتتال ، فإن حزم الحكومة وسطوتها كانا كافيين لتوطيد دعائم الأمن والسلام في  
مختلف أصقاعه ،

وقال في موضع آخر يصف تبدل الحال بعد غلبة الثورة المهديّة :

« لقد شهدنا في السودان منظرًا محزنًا ، إذ رأينا الحضارة الجديدة التي دخلته مع  
الحكم المصرى تتداعى أركانها ويندكّ صرحها بأيدي أقوام جهلاء يكادون يكونون  
من الهمج ، فأسسوا على أنقاض هذه الحضارة حكومة وضعوا لها نظاما يشبه في بعض  
أشكاله نظم الحكم المصرى ، ولكنهم قضوا على ما ازدان به من العدل والتهذيب ،  
فأقاموا في السودان صرح الظلم والانحطاط ، ولا يكاد المرء يشهد في التاريخ الحديث  
بلاداً أخرى سادت فيها الحضارة الناشئة زهاء نصف قرن من الزمان ، ثم انقلبت الى  
حالة أقرب ماتكون إلى الهمجية ، فان الخليفة والقبائل التي تناصره ، بعد أن اغتصبو  
سلطة الحكم وانتزعوها من أيدي المصريين ، يحكمون الآن الأهلين التعساء حكما جائرا ،  
ويسوقونهم بعضا من حديد ، ويسومونهم من أخسف والنسكال ماجعلهم يتوقون الى  
التخلص من هذه الدولة ويتطلعون الى حكومة يمدون في ظلها الراحة والسلام ، وليس  
أدل على مبلغ ما عاناه السودان في عهد المهديين أكثر من فناء ما يقرب من ثلاثة أرباع  
أهله ، من اجتاحتهم الحروب والمجاعات ، والأمراض المختلفة ، والتقتيل والتنكيل ،

وقال في موضع آخر : « لقد بعد العهد بحالة السودان تحت حكم اسماعيل ، إذ كانت الحكومة المصرية تحمل في ربوعه لواء الحضارة والمدنية ، على حين كانت البقاع الخارجة عن منطقة النفوذ المصرى في حالة الانحطاط والتأخر ، فالسودان بعد أن دخلته الحضارة في ظل الحكم المصرى قد تطرقت اليه الهمجية على عهد المهديين ،  
وقال ما يأتى عن ارتباط السودان بمصر ، مما يجدر بنا أن نذكره على الدوام ونتخذة عبرة وعظة لنا وقاعدة لا تتبدل لسياستنا في السودان :

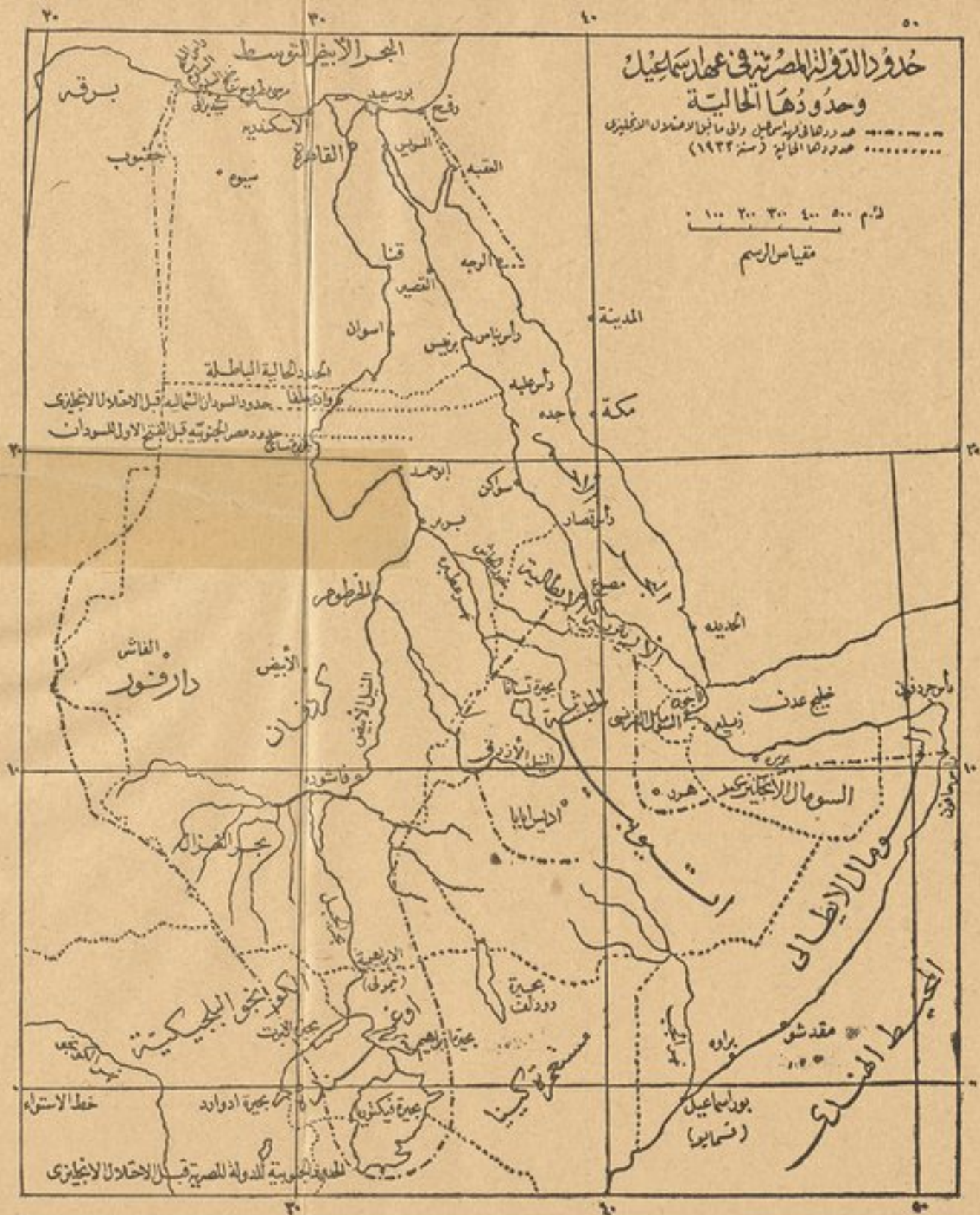
« أرى واجبا على أن أبين وجهة نظرى في أهمية السودان وقيمه لمصر ، وأبدي الرأى الذى ثبت في قرارة نفسى فأقول ، ان الأسباب التى دعت محمد على منذ خمس وسبعين سنة إلى امتلاك السودان لاتزال قائمة الى اليوم ، فالسودان هو مصدر الحياة لمصر ، وكل جهودها يجب أن تتجه إلى صيانة وادى النيل من أية غارة أجنبية ، فان كل خطوة تخطوها دولة أخرى نحو النيل ينظر اليها بعين الفزع من كل من يقدر خطر السيطرة الأجنبية على ذلك النهر العظيم وما تجره من تضحية سعادة مصر وتقدمها وتعريضها لأعظم المضار ،

## حدود السودان المصرى

### أمس واليوم

اكتمل الفتح المصرى فى السودان وبلغت الدولة المصرية حدودها الطبيعية على عهد اسماعيل ، فشملت جنوباً بحيرة ألبرت وبحيرة فيكتوريا والبلاد التى بينهما ، إذ ضمت مملكة أونورو وبسطت حمايتها على مملكة أوغنده ، وبلغت شرقاً سواحل البحر الأحمر وخليج عدن ، ووصلت حدودها الجنوبية الشرقية إلى المحيط الهندى ، وضمت اليها فى هذه النواحي سواكن ومصوع وزيلع وبربره وهرر وسواحل السومال الشمالية ، وصارت جميع شواطئ البحر الأحمر الغربية من السويس شمالاً الى بوغاز باب المنذب جنوباً ملكاً لمصر وامتدت سلطتها إلى شواطئ خليج عدن ، من بوغاز باب المنذب الى رأس جردفون (جردفوى) ثم الى رأس حافون الواقعين على المحيط الهندى ، وبلغت حدود الدولة المصرية غرباً إلى مملكة واداي الواقعة غربى درافور

واليك ما ذكره الكولونل ستوارت Stewart عن حدود السودان المصرى سنة





١٨٨٢ ؛ في تقريره الذي قدمه إلى البرلمان انبريطانى سنة ١٨٨٣ (بعد الاحتلال الانجليزى) وهو يقرب من التحديد الذى ذكرناه ، قال :

« تبدأ حدود السودان المصرى من ضواحي برنيس على البحر الأحمر (صح من رأس علبه) ، وتتبع الخط ٢٤ من خطوط العرض الشمالى الى نقطة غير معينة فى جوف الصحراء اللوية ، بالقرب من الخط ٢٨ من خطوط الطول ، ومن هناك يتجه الحد جنوبا بغرب ، حتى يلتقى بالركن الشمالى الغربى من دارفور حيث الخط ٢٣ من خطوط الطول ، ثم يتجه جنوبا حتى يصل الى ما بين الخط ١١ - ١٢ من خطوط العرض ، ثم جنوبا بشرق ماراً بمونبوتو وبحيرة ألبرت إلى أن يتصل ببجيرة فيسكتوريا ، ومن هناك يصعد شمالا بشرق ويشمل اقليم هرر ، ثم يصل إلى شواطئ المحيط الهندى عند رأس جردفون (جردفوى) ، ومن ثم يعود بمحاذاة الشاطئ حتى يصل الى برنيس ،<sup>(١)</sup>

ومعنى ذلك ان جميع سواحل البحر الاحمر الغربية وسواحل السومال الشمالية الواقعة على خليج عدن كانت من أملاك مصر ، وقد ألحق الكولونيل ستوارت بتقريره ، خريطة مسداليا بك ( مدير دارفور ) عن السودان بهذه الحدود ، وهى منشورة فى الكتاب الأزرق المتقدم ذكره ص ٣٨

وغير خاف أن هذه الحدود قد تراجعت بعد الثورة المهديّة والاحتلال الانجليزى ، إذ توأطأت انجلترا مع الدول الأخرى على انتقاص مصر من أطرافها ، فاحتلت انجلترا أوغنده وأونيورو ومنطقة البحيرات والجزء الجنوبى كله من مديرية خط الاستواء ه وصار الحد الجنوبى للسودان ينتهى الآن عند نيمولى (الابراهيمية) بعد ان كان يشمل بحيرة فيسكتوريا وبحيرات ألبرت ، واغتصبت انجلترا أيضا محافظتى زيلع وبربره ، وأخذت ايطاليا مصوع والاريتريه ورأس جردفون ( جردفوى ) ، وفرنسا تاجوره وجيبوتى ، والحبشة بلاد هرر وبنى شنقول من أعمال فازوغلى

ولم تسكتف انجلترا بالتأمر على اقتسام أسلاب الامبراطورية الافريقية العظيمة التى أسستها مصر بدمائها وأموالها وجهودها ، بل شاركت مصر فى سيادتها على السودان

(١) الكتاب الأزرق الانجليزى عن مصر سنة ١٨٨٣ ج ١١ ص ٦

باتفاق ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ، ذلك الاتفاق الباطل الذى جعل السودان شركة بين مصر  
وانجلترا ، واتخذته هذه سيلا الى الانفرد بحكم السودان ، وإقصاء نفوذ مصر الشرعى  
عن بلاد فتحها منذمئة سنة ونيف ونشرت فيها لواء الأمن والحضارة والعمران ، وبذلت  
فيها من الجهود والارواح والضحايا والاموال

وتراجع الحد بين مصر والسودان ، فصارت ينتهى عند الخط ٢٢ من خطوط العرض ، وأصبح  
حد السودان الشمالى يبدأ عند (فرص) شمالى وادى حلفا ، بعد أن كان الحد الجنوبى لمصر قبل  
الفتح الاول للسودان (فى عهد محمد على) يصل الى جزيرة (ساي) جنوبى وادى حلفا ، وكان  
ينتهى قبل الاحتلال الانجليزى عند « سرس » جنوبى وادى حلفا أيضا

وصارت سواكن ، ووادى حلفا ومايلها جنوباً ، تابعة لإدارة السودان المشتركة  
بمقتضى الاتفاق الباطل المبرم فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩



## الفصل السادس

### الجيش

خلاصة تاريخ الجيش في عهد اسماعيل انه غنى بترقيته وتنظيمه ومضاعفة قوته ، والوصول به الى مستوى الجيوش السكيرة للام الحديثة ، وعنى أيضا بنهضة التعليم الحربى ، فأنشأ المدارس الحربية على أرقى طراز حديث ، واختار لها اكفأ المدرسين والضباط ، وأحسن المناهج الدراسية ، فكان التقدم فى نظام الجيش يسير مطرداً مع تجديد التعليم فى المدارس الحربية

ولكنه فى السنوات الاخيرة من حكمه اهمل شؤون الجيش جملة واحدة ، فاختل نظامه ، ثم أقفل معظم المدارس الحربية التى أنشأها ، وذلك لنعوب معين المال ، وارتباك أحوال الحكومة بسبب فداحة الديون التى اقترضها من غير حساب ، بحيث لم ينته عهده حتى كان الجيش المصرى قد وصل الى درجة مخزنة من الضعف والارتباك

تلك كلبة اجمالية عن حالة الجيش والمدارس الحربية فى عصر اسماعيل ، فالشطر الأول من ذلك العصر هو دور التقدم ، والشطر الثانى يمثل عهد التأخر والاضمحلال فى الشطر الأول بذل الخديو جهوداً كبرى فى تنظيم الجيش ، وأرسل الى فرنسا بعثة حربية تتألف من خمسة عشر ضابطاً من خيرة ضباط الجيش <sup>(١)</sup> ليقتضوا زمناً فى مشاهدة نظام الجيش الفرنسى ، واقتباس خبرة قواده وضباطه ، فأبحرت هذه البعثة على ظهر السفينة الحربية المصرية « شيرجهاد » وأقلتهم الى فرنسا ، فاستقبلتهم

---

(١) ذكرهم اسماعيل باشا هنك فى كتابه ج ٢ ص ٣٠٨ وهم : شاهين باشا . ابراهيم باشا . نسوارى . على بك رضا الطوبجى . على بك وهبى . يوسف بك صديق . محمد بك رضا . محمود بك سامى . اسماعيل بك ايوب . عبد القادر بك حلى . مصطفى بك فهمى . عثمان بك غالب . احمد افندى حمدى ، حسن افندى مظهر . محمد افندى

الحكومة الفرنسية بالحفاوة ، ودرسوا النظم العسكرية الفرنسية والاستحكامات  
والمناورات العمومية ، وغير ذلك من فنون الحرب والقتال ، وجمعوا طائفة من المؤلفات  
الحرية المشتمة على أساليب الجيش الفرنسى ونظاماته ، وعادوا بها ليطبقوها فى مصر ،  
وأخذ الخديو اسماعيل فى تنظيم الجيش على نظام الجيش الفرنسى الحديث

ولم يكتف بذلك بل أحضر من فرنسا بعثة حربية مؤلفة من بعض الضباط الفرنسيين  
لتنظيم المدارس الحرية المصرية ، فجاءت هذه البعثة الى مصر سنة ١٨٦٤ برآسة الكولونيل  
مرشر ( بك ) Mircher ومعه ثلاثة ضباط آخرون وهم رباتيل Rebatei ولارمى ( باشا )  
Larmee ، وبولار Polard ، وألحق بهم الضباط دو برناردى بك الذى كان يخدم  
الحكومة من عهد سعيد باشا ، فتولى هؤلاء الضباط نظارة بعض المدارس الحرية  
ونظموا شؤونها

ولما شرع اسماعيل فى تنظيم التعليم الحربى نقل المدرسة الحرية التى كانت بالقناطر  
الخيرية الى قصر النيل ثم الى العباسية ، وانشأ بهذه الجهة عدة مدارس حرية أخرى بدل  
المدارس التى انشئت فى عهد محمد على وعفا أثرها ، واختار جهة العباسية لقربها من الصحراء  
حيث يسهل على التلاميذ القيام بالتمارينات الحرية وضرب النار ، ولأنه كان بها السراى  
الفخمة التى انشأها عباس باشا الاول ، وتقدم الكلام عنها ، والمباني الملحقة بها ، وكانت  
تصلح مقرأ للدارس والمعاهد والتكنات

وجعل لهذه المدارس إدارة واحدة تدعى « إدارة المدارس الحرية » ،

وفى ما يلى بيان المدارس الحرية التى أنشأها الخديو بالعباسية فى أوائل حكمه :

١ - مدرسة البيادة ( المشاة ) أنشأها سنة ١٨٦٤ ، وكان عدد تلاميذها حين تأسيسها  
٤٩٠ تلميذ ، وتولى نظارتها محمد امين بك ، ثم دى برنارى بك ، ثم منصور افندى حسن ،  
ثم محمد رعا افندى ، ثم جعل لها مديرى إدارة وهم على التعاقب : محمد كامل افندى ، ثم  
ابراهيم عاصم افندى ، ثم محمد صالح افندى

٢ - مدرسة السوارى ( الفرسان ) ، أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها ١٦١ تلميذ ،  
وتولى نظارتها الضابط الفرنسى بولار ثم ياور بك

٣ - مدرسة الطوبجية ( المدفعية ) والهندسة الحرية ، أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد

تلاميذها ٢٨٠ تلميذ ، وتولى نظارتها الكولونل لارمى ( باشا ) ، وكان تلاميذها ينتخبون من بين طلبة مدرسة المهندسخانة ، وهذا يدل على رقى المستوى العلمى لتلاميذها وخريجها ، فلاغرو أن نبغ فيها وفي مدرسة أركان الحرب طائفة من أكفأ انضباط المصريين

٤ -- مدرسة أركان الحرب بالعباسية ، أنشئت سنة ١٨٦٥ ، وتولى نظارتها الكولونل مرشير بك ، ثم شحاته عيسى بك أحد خريجي بعثات محمد على ، ثم رباتيل بك ، ثم عاد إلى نظارتها مرشير بك ، ثم لارمى باشا ، ويختار تلاميذها من نوابغ طلبة المدارس الحربية أو المهندسخانه ، وتعد هي ومدرسة الطبوجية من أرقى المدارس العالية التى أسسها الخديو اسماعيل

٥ -- مدرسة الخطرية بالقلعة ، أنشئت سنة ١٨٧٤ ، وهى أقل شأنًا من المدارس المتقدمة ، والغرض منها تخريج صف الضباط ، وتولى نظارتها القائمقام خليل عفت بك ولم تمكث هذه المدرسة طويلا

٦ -- مدرسة صف الضباط أنشئت سنة ١٨٧٤

وقد خرجت هاتان المدرستان عدداً من صف الضباط الذين استخدمتهم الحكومة فى الاكتشافات الجغرافية بالسودان

٧ -- مدرسة الطب البيطرى ، أنشئت سنة ١٨٦٨ ، وتولى نظارتها المسوليونار ، ووكالتها اسماعيل راضى افندى ، وأحيلت نظارتها منذ سنة ١٨٧٠ على ناظر مدرسة الفرسان ( السوارى )

٨ و ٩ -- مدرسة قلفاوات الشيش ، ومدرسة الجبخانجية

وقد أقفلت هذه المدارس فى أواخر عهد اسماعيل (فبراير سنة ١٨٧٩) لارتباك شؤون الحكومة المالية ، واضطراب أحوالها الادارية والسياسية ، وأنشئت بدلها المدرسة الحربية المستجدة فى ابريل سنة ١٨٧٩ ، وعين لارمى باشا ناظر أ لها ، وهى المدرسة الباقية الى اليوم (١٩٣٢)

هيئة أركان حرب الحديث

عهد الخديو اسماعيل الى طائفة من الضباط الامريكيين تأسيس هيئة أركان حرب

للجيش المصرى ، فتألفت هذه الهيئة من الضباط المصريين الذين عادوا من البعثة الحربية بفرنسا ، ومن الضباط الامريكيين . وجعل على رأسهم الكولونيل ( استون ) Stone وهو ضابط امريكى على جانب كبير من الكفاءة والخبرة ، غادر الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الاهلية ، وجاء مصر وعرض خدماته على الخديو اسماعيل فألحقه بالجيش ، وعهد اليه سنة ١٨٧٠ برأسة هيئة أركان حرب الجيش المصرى ، لما آنسه فيه من الكفاءة ، وأنعم عليه برتبة اللواء ، فصار يعرف بالجنرال استون باشا ، واضطلع بالمهمة التى اسندت اليه ، واستعان على إحياء هذه الهيئة وتنظيمها بطائفة من الضباط الوطنيين وبتائفة أخرى من الضباط الامريكان ومن الميكانيكيين والمهندسين والخبراء فى علم طبقات الارض ، وانشىء فى هذه الهيئة قسم للجغرافية مهمته وضع الخرائط الطبوغرافية الدقيقة عن أنحاء مصر والسودان ، وتولى تخطيط هذه الخرائط ضباط أركان الحرب المصريون والضباط الامريكان ممن قاموا بالرحلات الاكتشافية التى تسكلنا عنها فى موضعها ، فجاءت أعمالهم غاية فى الدقة والاحكام

وانشئت مطبعة خاصة لهذه الهيئة ، لطبع رسومها وخرائطها ، ومكتبة نفيسة تحوى كتباً قيّمة فى الفنون الحربية وما إليها ، وألحق بها متحف حربى للأسلحة والمتحف والتذكارات الخاصة بالجيش ، وتقدمت هيئة أركان الحرب تقدماً مطرداً لم يوقفه سوى ارتباك الاحوال فى أواخر عهد اسماعيل . وقيام الثورة العراقية ، ثم الاحتلال الانجليزى (١)

ولكن من الحق أن نقول أن هيئة أركان الحرب فى عهد اسماعيل كان ينقصها الاتصال المتين بالقيادة العامة للجيش ، فلم يتم التعاون بين الهبتين ، بل دب النفور بينهما ، وأدى اليه فى الغالب صلف ضباط القيادة العامة ومعظمهم من الشراكية الذين كان من أخص صفاتهم الزهو والخيلاء ، وقد كان هذا التنافر من أهم أسباب إخفاق الحملة المصرية فى حرب الحبشة ، كما تقدم بيانه ، وكان انفصال هيئة أركان الحرب والقيادة العامة من العوامل التى حالت دون وحدة الجيش ، وأفضت الى ضعفه واضمحلاله

---

(١) غادر استون باشا مصر نهائياً سنة ١٨٨٢ حين اعزم الانجليز وضع أيديهم على الجيش المصرى ، وتوفى فى نيويورك سنة ١٨٨٧

## الصحافة الحربية

وأنشئت صحيفتان حريبتان لتثقيف عقول التلاميذ والضباط ، إحداهما تدعى ( جريدة أركان حرب الجيش المصرى ) ، والأخرى ( الجريدة العسكرية المصرية ) ، تولى تحريرهما ضباط الجيش المصرى ، وقد اطلعنا فى دار الكتب الملكية على مجموعة من جريدة أركان الحرب ، وهى مجلة شهرية ، صدر العدد الأول منها فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ ( ١٠ يوليه سنة ١٨٧٣ ) ، واستمرت تصدر بانتظام عدة سنوات ، ورأينا مجموعتها كاملة لغاية اكتوبر سنة ١٨٧٨ ، وفيها مباحث قيمة للجنرال استون باشا رئيس أركان الحرب ، ولمحمد مختار افندى ( باشا ) ، وحماد بك عبد العاطى المدرس بالمدارس الحربية ، وعبد الرزاق نظمى ( بك ) ، واحمد بك عزى ، وعبد الله بك فوزى ، من ضباط أركان الحرب وغيرهم ، وكان الشيخ حسن الطويل العالم المشهور يصحح المجلة ورأيت فى العدد الصادر فى ١٥ شوال سنة ١٢٩١ ( ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٧٤ ) نبذة تاريخية عن الحملة الانجليزية على مصر سنة ١٨٠٧ وهزيمتها ، استخلص كاتبها وجه العبرة منها بقوله :

« وإذا قدر الله بغزو هذه الديار مرة أخرى ، فليتذكر ضباط الجيش المصرى غزوة سنة ١٨٠٧ <sup>(١)</sup> ، وليسكن كل ضابط مصمما على المدافعة والذب عن وطنه ، ولا يرتكب العار فى التسليم كما ارتكبه أمين اغا ، بل يدافع بنفسه وبعساكره عن كل نقطة يتجه الهجوم اليها ، كما فعل على بك السلانيسكى الذى اكتسب الفخر والشرف ومنع العدو وصدّه عن الوطن فى غزو بندر رشيد رحمة الله عليه أمين <sup>(٢)</sup> ، فهذه العبارة تدلك على الروح التى كانت تمشى فى مباحث المجلة ، وكيف كانت تبث فى نفوس الضباط روح الواجب والقومية ، ومن المؤلم أن البلاد قد رزئت سنة ١٨٨٢ بغزوة انجليزية

---

( ١ ) راجع وقائع هذه الغزوة فى ( عصر محمد على ) ص ٤٠ وما بعدها ( من الطبعة

الاولى )

( ٢ ) جريدة أركان حرب الجيش المصرى العدد ٦ من المجلد الأول للسنة الثانية

أخرى كغزوة سنة ١٨٠٧ ، ولسكن ضباط الجيش وجنوده لم يقوموا بالواجب الذى ذكرتهم به جريدة أركان الحرب سنة ١٨٧٤ ، فكان ما كان من الهزيمة والاحتلال

### تجديد السلاح والمصانع الحربية

أوصى الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٧ معاملاً الأسلحة الفرنسية بصنع عدة آلاف من البنادق الحديثة ذات الإبر المعروفة ببندق ( شاسبو ) نسبة الى مخترعها ، وسلح بها الجيش المصرى

ورمم حصون الاسكندرية ، وجدّد أسلحتها ومدافعها ، وجلب المدافع الضخمة من طراز ارمسترنج ، وركبها فى طوابى الثغور ، وخاصة الاسكندرية ، وهى المدافع التى كان لها عمل ضئيل أثناء ضرب الأسطول البريطانى لمدينة الاسكندرية سنة ١٨٨٢ ، ولم تؤثر فى سفن الأسطول لعدم تمرن رماثها على استعمالها بسبب سوء تدبير الحكومة والعرايين

وعنى اسماعيل بشأن المصانع الحربية ، التى كانت منشأة من عهد محمد على ، فنظم معمل الحوض المرصود ، وأصلح من شأنه ، وصارت تصب فيه المدافع ، وتصنع فيه الأدوات والآلات الحربية للجيش

وشيد بطره معملاً لصنع الأسلحة المسدسة ، وآخر لصب المدافع وآخر للبندق ، عدا معاملاً الخرطوش والقنابل ، وأصلح مصانع البارود التى كانت موجودة بمصر حتى اشتهر ذكرها فى الآفاق ، وأرسل سلطان مراکش بعثة من المغاربة ليتعلموا فى مصر صناعة البارود والطباعة

وأصلح معمل الأسلحة بالاسكندرية ووسع نطاقه

إنشاء ميدان للرماية والتمرينات العسكرية

( البوليجون )

وفى عهد وزارة الأمير حسين باشا كامل ( السلطان حسين كامل ) للحربية وضع

لارمى بك تصميم انشاء البوليجون للتمرين على ضرب النار ، وأخذت أورطة المهندسين فى بنائه بإشراف لارمى بك وخفاجى بك أحد أساتذة مدرسة أركان الحرب ، وجعل به عدة أقسام للتمرين ، منها قسم لتمرين ضباط المدفعية على الرمى بالمدافع ، وقسم لتمرين الضباط المشاة على الرمى بالبنادق ، وقسم لصف الضباط ، وقسم لتعليم التلغرافات العسكرية وقسم للإشارة

### إدخال النظام الألمانى

كان النظام الفرنسى هو المتبع فى الجيش المصرى ، ولكن الخديو اسماعيل اعتمزم تدريبه على أساليب الجيش الألمانى ، لما ذاعت شهرته بعد انتصاره على الفرنسيين فى الحرب السبعينية ، فأمر بترجمة القوانين والنظامات الألمانية وتعديل الملابس وتغيير الأسلحة ، ولكن ارتباك شؤون الحكومة المالية فى أواخر عهده حال دون الانفاق على الجيش وتجديده

### إحصاء الجيش

ذكر اسماعيل باشا سرنك فى كتابه ( ج ٢ ص ٣١١ ) إحصاء الجيش سنة ١٨٧٣ ، ومنه يتبين أن عدده بلغ نحو ٩٠.٠٠٠ مقاتل من جند وضباط وتلاميذ المدارس الحربية كالبيان الآتى :

٨٤٠٥٣٠ جنود وصف ضباط

٠٢٠٦٦٨ ضباط وقواد

١٠٨٩٠ تلاميذ المدارس الحربية

---

٨٩٠٨٨

وهذا عدا الجيش المرابط فى السودان ، وقد بينا أنه بلغ ثلاثين ألفاً ، أى أن تعداد الجيش المصرى فى مصر والسودان بلغ على عهد اسماعيل نحو ١٢٠.٠٠٠ مقاتل

افتقار الجيش إلى قائد عظيم

رأيت بما تقدم تطور حالة الجيش فى عهد اسماعيل وعلمت ما أصابه من الضعف فى

السنوات الأخيرة من حكمه ، وترجع أسباب هذا الضعف إلى ارتباك شؤون الحكومة المالية الذي كان نتيجة لقروض الخديو ، وإلى عدم التعاون بين قيادة الجيش وهيئة أركان الحرب ، وثمة سبب جوهرى لهذا الضعف ، يتراءى فى عصر اسماعيل عامة ، وهو عجز القيادة العامة ، فقد كان الجيش يعوزه قائد كبير يضارع ابراهيم باشا فى كفاءته وعبقريته ، ويبعث فى نفوس الجنود روح البطولة والمجد والبسالة ، ولم يكن اسماعيل على غرار أبيه فى النبوغ والعبقرية ، ولا ورث عنه صفاته الحربية ، ولم يألف خوض غمار القتال ، ولا وجد بين قواده من يسد الفراغ الذى كان يملؤه البطل ابراهيم ، وغنى عن البيان أن حرمان الجيش مثل القائد العظيم ، ومثل سليمان باشا الفرنساوى أو القواد الذين ازدان بهم تاريخ مصر الحربى فى معارك مصر واليونان وسوريا والاناضول ، كان العامل الأول بما أصابه من الضعف

وقد ظهر هذا الضعف فى حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ، كما بيناه فى الفصل السابق ، وتبين أن أهم أسباب الهزيمة فى تلك الحرب عجز القيادة وسوء النظام ، وكانت هذه الهزيمة موضع دهشة المصريين والأجانب على السواء ، فقد كانوا يعتقدون أن الجيش المصرى لم يزل محتفظاً بالمكانة التى نالها فى حروب محمد على أو فى حرب القرم ، ولسكن حرب الحبشة زلزلت هذه المكانة وكشفت عن أعراض الضعف الذى أصاب الجيش على مر السنين فى عهد خلفاء محمد على

وقد زاد فى ضعفه ارتباك الحكومة المالى ، وتدخل الدول فى شؤونها ، فإن هذا الارتباك أفضى إلى نقص مخصصات الجيش ، وكان من أعمال وزارة نوبار باشا الأولى تخفيض عدد الجيش ، توفيراً فى النفقات وسداً لعجز الميزانية ، فقررت إحالة ٢٥٠٠ ضابط على الاستيداع ، وتسريح عدد كبير من الجنود ، واستمرت أسباب الضعف تزداد وتتفاقم ، إلى أن ظهرت نتائجها مرة أخرى فى وقائع الاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢ ، تلك الوقائع التى تعد صفحة محزنة فى تاريخ مصر الحربى



## الفصل السابع

### البحرية

تولى الخديو اسماعيل الحكم والبحرية المصرية في حالة سيئة من التأخر والضعف ، فقد بدأ اضمحلالها كما قدمنا في عهد عباس ، ولم يعمل سعيد باشا على إحيائها ؛ لما لقيه من العقبات من ناحية تركيا

فأخذ اسماعيل في أوائل حكمه يعنى بتجديد الأسطول ، فبعث النشاط في ترسانة الاسكندرية (دار الصناعة) ، وأحيا معاملها ومصانعها ، وجلب لها العمال من الاسكندرية ومن داخل البلاد ، واستحضر لها الآلات والعتاد ، فعاد إليها نشاطها الذي كان لها في عهد محمد علي

وأنشئ بها بعض السفن الحربية في عهد ولاية عبد اللطيف باشا ، ثم شاهين باشا ، لوزارة البحرية ، وباسم الأول منهما سميت البارجة «لطيف» ، وتم في عهد الثاني بناء البارجة (الصاعقة)

وأوصى الخديو بصنع عدة سفن حربية مدرعة في ترسانات أوروبا

وجدد المدرسة البحرية بالاسكندرية ، وأنشأ مدرسة بحرية أخرى بجوار الترسانة ، أحضر لها المدرسين الأكفاء من مصر وأوروبا ، وعهد بنظارتها إلى ضابط من ضباط البحرية الانجليزية ، يدعى مكيلوب (باشا) ، ووكيله ضابط مصري كفاء وهو عبد الرازق بك درويش ، ثم تولى هو نظارتها من بعده<sup>(١)</sup> . ومن كبار أساتذتها سايون قبودان حلاوه<sup>(٢)</sup> من مشاهير ضباط البحرية ، وانتخب تلاميذ هذه المدرسة من نهباء طلبة المدارس الأميرية والابتدائية ، وكانت تدرس فيها الفنون والعلوم البحرية التي تدرس في المدارس البحرية الأوروبية ، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ، واختارت

(١) الوقائع المصرية العدد ٥٩٨ — ٢١ مارس سنة ١٨٧٥

(٢) الوقائع المصرية العدد ٤٤١ — ٢٣ يناير سنة ١٨٧٢

الحكومة طائفة من خريجيها وأوفدتهم الى انجلترا لإتمام العلوم البحرية ، منهم اثنان لتعلم فن إنشاء السفن ، وهما حسن فريد افندى وحشمت افندى ، واثنان لتعلم الميكانيكا البحرية ، وهما محمد أنيس افندى ، ومحمد عارف افندى ، ولما عادوا إلى مصر التحقوا بدار الصناعة بالاسكندرية ، ومن هذه المدرسة تخرج اسماعيل باشا سرهنك ، مؤلف كتاب حقائق الأخبار عن دول البحار ، وناظر المدرسة الحربية المستجدة

بذن الخديو اسماعيل كما ترى جهوداً ممدوحة في إحياء البحرية المصرية ، ولكن عقبات جمة اعترضته في سبيله ، ذلك أن الحكومة التركية رأت البحرية المصرية آخذة بأسباب النشاط والقوة ، وعلمت بأن اسماعيل أوصى على ثلاث مدرعات في فرنسا ، ومدرعتين أخريين في النمسا ، وأن هذه المدرعات قد تم صنعها ، وأرسل الخديو سنة ١٨٦٨ طوائفها من الضباط والبحارة ليتسلوها ، فاعترضت على تسليمها ، وتذرت بأن الفرمانات لا تبيح لمصر إنشاء السفن الحربية المدرعة ، فانهى الخلاف بأن ابتاعها تركيا لنفسها

وكان هذا الاعتراض يبعاز من انجلترا التي يسوءها أن تجدد مصر قوتها البحرية ، فاستخدمت نفوذها لدى الاستانة لتحول دون هذا التجديد ، وقد وقفت انجلترا هذا الموقف ذاته في عهد عباس ثم في عهد سعيد . وكانت بذلك تعمل على خطة رسمتها لنفسها منذ انشأ محمد على الكبير الاسطول المصري ، وهي إضعاف قوة مصر البحرية ، لكي تأمن على سلطانها في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر

### خدمات الأسطول

ورغم ما اعترض الاسطول من العقبات ؛ فانه أدى خدمات لا تنكر ، فقد اشترك في عدة حملات حربية على ظهر البحار ، كحملة كريت . وحرب البلقان ؛ فكانت سفنه تقل الجنود المصرية إلى الجهات التي تقصدها ، وكان صلة الاتصال بين مصر وثغورها وأملاكها المترامية على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي ، وقد أقلت سفنه القوات العسكرية التي أرسلتها مصر إلى تلك الثغور البعيدة ، كمصوع ، وزيلع ، وبربره ورأس جردفون ( جردفوى ) ، كما أقلت الحملة التي أنفذتها الى بلاد السومال ، ووصلت الى ثغر قسمايو ( بور اسماعيل ) شمالي زنجبار على شاطئ المحيط الهندي

وطافت بعض سفنه حول القارة الافريقية ، متنقلة من البحر الابيض المتوسط الى البحر الاحمر عن طريق الاقيانوس الاعظم ورأس الرجاء الصالح ، قبل أن تشق قناة السويس

### إحصاء الاسطول

أحصى العلامة على باشا مبارك (١) الاسطول المصرى فى عهد الخديو اسماعيل ، فذكر أن عدده ١٤ سفينة حربية ، وهى : المحروسة . مصر . الغربية . محمد على . شيرجهاد . لطيف . دنقله . الطور . سيناء . الخرطوم . أسيوط . وثلاثة مراكب أخرى صغيرة ولاسماعيل باشا سرهنك إحصاء آخر ، فقد قال (ج ٢ ص ٥٥) إن عدد سفن الاسطول ١٨ سفينة حربية ، وذكر (ص ٢٨٧) أسماءها مع ثلاث بواخر حربية أخرى مخصصة لكوب الخديو ، وهذا بيانها :

عدد مدافعها	نوع معدنها	محل انشائها	اسم البارجة
٢٨	حديد وخشب	أمريكا	١ - محمد على (فرقاطة)
٢٨	خشب	تريستا	٢ - شيرجهاد
٦	خشب	الاسكندرية	٣ - لطيف (كورفت)
٥	خشب	انجلترا	٤ - الخرطوم (مدفعية)
٨	مدرع	انجلترا	٥ - دنقله (مدرعة)
٨	خشب	الاسكندرية	٦ - الصاعقة (كورفت)
٧	خشب	انجلترا	٧ - سنار (مدفعية)
٢	مدرع	فرنسا	٨ - زرخ نمره ١
٢	»	»	٩ - » » ٢

ثلاث بواخر حربية لكوب الخديو

٨	حديد	لندن	١٠ - المحروسة
٦	»	طولون (فرنسا)	١١ - مصر

(١) فى الخطط التوفيقية ج ٧ ص ٨٢

اسم البارجة	محل انشائها	نوع معدتها	عدد مدافعها
١٢ - الغربية	طولون (فرنسا)	حديد	٤
	طرادات وسفن للنقل		
١٠ - الطور	انجلترا	حديد	٢
١٤ - اسوان	،	خشب	٤
١٥ - شندی	،	،	٤
١٦ - أسيوط	الاسكندرية	،	٢
١٧ - الجعفرية	انجلترا	حديد	٣
١٨ - سمند	،	خشب	٢
١٩ - نور الهدى	،	حديد	٢
٢٠ - مخبر	،	،	٢
٢١ - عجمی	،	،	٢

فمن هذا الإحصاء ومن مقارنته بإحصاء الاسطول الضخم الذي كان لمصر في عهد محمد علي (عصر محمد علي ص ٤٣٢) يتبين لك مبلغ ما أصاب البحرية المصرية من الضعف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم إذا قارنت هذين الإحصاءين بحالة أسطول مصر الآن - ١٩٣٢ - (أى بعد الاحتلال الانجليزى) وبحثت عبثاً أين هو الاسطول ومم يتألف؟ وماذا يعمل؟ يعرفك الدهش والأسى والألم ، لانعدام قوة مصر البحرية في عهد الاحتلال

### الأسطول التجارى

لما وجد اسماعيل ما يعترضه من العقبات في سبيل تجديد الأسطول الحربى ، وجه عنايته إلى الأسطول التجارى ، فأنشأ شركة للملاحة التجارية ، سميت الشركة العزيبية ، نسبة إلى السلطان عبد العزيز ، أعد بواخرها لنقل المسافرين ونقل المتاجر إلى ثغور البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، بعد أن أبطل الشركة المجيدية التي أنشئت في عهد سعيد باشا ، وجعل رأس مال الشركة الجديدة موزعا على أسهم ليشارك الأفراد فيها

فاكتتب جماعة من سراه المصريين في رأس مالها ، وخصص لها الخديو سبع بواخر كانت موجودة من قبل ، وأوصى بإنشاء بواخر جديدة في إنجلترا ، وجعل على قيادة هذه البواخر ضباط البحرية القدماء الذين تركوا خدمة الأسطول منذ اضمحلاله ، وكذلك بحارته ، وابتاعت وزارة البحرية عدا ذلك عدة سفن شراعية كبيرة لنقل الأخشاب اللازمة لوزارتى البحرية والحربية من بلاد الأناضول ، فكان الأسطول التجارى المصرى بنوعيه من البواخر والسفن الشراعية بالغاً درجة كبرى من التقدم

وكان لبواخر ( الشركة العزيبية ) فضل كبير فى نشاط حركة التجارة الخارجية لمصر ، وتسهيل مواصلاتها البحرية مع الأقطار الأخرى ، وزاحمت شركات الملاحة الأجنبية فى هذا الصدد ، ونجحت فى عملها ، ونمت إيراداتها ، وربحت الأرباح الوفيرة ، ثم ابتاع الخديو اسماعيل أسهمها ، احتكراً لأرباحها ، وحوّلها إلى إدارة من إدارات الحكومة عرفت بمصلحة ( وابورات البوستة الخديوية ) ، فاستمرت مطردة النجاح واتسع نطاق أعمالها ، وصار لها من البواخر الكبيرة ست وعشرون باخرة<sup>(١)</sup> تجوب البحار رافعة العلم المصرى ، وتنقل الناس والمتاجر والبريد بين ثغور مصر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط فى سوريا والأناضول وبلاد اليونان ، وشواطئ الدردنيل والبوسفور ، وثغور البحر الأحمر كسواكن ومصوع وينبع وجدة والحديدة ، وتجتاز بوغاز باب المنذب إلى زيلع وبربره

وقد ألحق بهذه المصلحة الحوض العائم الذى أنشئ بميناء الاسكندرية ، وخصص لبواخرها معمل ( قابريقة ) فى ترسانة الاسكندرية للقيام بما تحتاجه من الإصلاح وبقيت هذه الإدارة الكبيرة ببواخرها وملحقاتها كالحوض وفابريقة الترسانة ملكاً للحكومة ، إلى أن باعها فى عهد الاحتلال ، إلى شركة انجليزية ، بأبخس الأثمان ، فانتقلت تلك المنشآت البحرية العظيمة ، وهذه الثروة القومية الضخمة ، إلى أيدي

( ١ ) هى : الرحمانية . التاكا . الفيوم . البحيرة ، الشرقية . الدقهلية . طنطا . شندى شين . دسوق . كوفيت . سمود . المنيا . الجعفرية . مسير . المنصورة . المحلة . النجيلة . دمنهور . الزقازيق . الحجاز . الحديدة . ينبع . القصير . سواكن . مصوع ( كتاب إحصاء مصر سنة ١٨٧٣ - ص ٤٧ )

الانجليز ، وأنزل العلم المصرى عن بواخرها ، واستبدل به العلم البريطانى ، فكانت نسكية ، وكان خسران

### إتمام ميناء السويس

إن إتمام أعمال الإصلاح فى ميناء السويس ، وإصلاح ميناء الاسكندرية ، وإنشاء الفنارات البحرية ، هى من أعمال العمران التى تتصل بالبحرية ، ولذلك تتكلم عنها فى سياق الحديث عن البحرية فى عهد اسماعيل

شرع سعيد باشا سنة ١٨٥٦ فى إنشاء ميناء جديد بالسويس لسهولة إيواء السفن ، فجعل من الثغر مرفأين ، أحدهما يسمى ميناء ابراهيم ، جعل للبواخر الحربية ، وجعل الثانى للسفن التجارية ، وأقيم حاجز من الأحجار لصد الأمواج عن الميناءين ، وبه البوغاز لدخول السفن وخروجها

وشرع فى إقامة حوض لعمارة السفن ، وقد استمر العمل فى إتمام هذه المشروعات إلى أن كملت فى عهد اسماعيل ، وبلغت نفقات الحوض والجسر الذى يصله بميناء السويس ٢٤٠٠٠٠٠ جنيه ، وقد تنازلت عنه الحكومة المصرية فى عهد الاحتلال إلى الشركة الانجليزية التى اشترت وابورات البوستة الحديدية

### إصلاح ميناء الاسكندرية

لما اتسعت حركة العمران وازدادت المواصلات البحرية فى الاسكندرية شرع اسماعيل فى توسيع مينائها وإصلاحه ، واعتمزم إنفاذ هذا الإصلاح بعدما أنشئت بورسعيد وقارب مشروع قناة السويس التمام ، فقد خشى أن تزامم بورسعيد الاسكندرية ، وتتحول إليها حركة التجارة الخارجية ، فاعتمزم توسيع ميناء الاسكندرية لتجذب إليها السفن فى غدوها ورواحها

فأول ما بدأ به إقامة حوض عائم من الحديد لإصلاح السفن ، بدل الحوض المبنى بالحجر من عهد محمد على . والذى صار مع الزمن لا يفي بإصلاح السفن ؛ وخاصة كبيرة الحجم ، وقد جلب الحوض الجديد من فرنسا سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م)

ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخم الذى يقي الميناء طغيان الأمواج ، ويجعل السفن الراسية به فى مأمن من العواصف ، ولا يزال قائماً إلى اليوم ، وهو جسر من الدبش والأحجار الضخمة والصخور ، تمتد من طرف شبه جزيرة رأس التين إلى جهة العجمى ، وفيه البوغاز لمرور السفن منه ، وأنشأ بداخل الميناء رصيفاً للشحن والتفريغ وأرصفتة أخرى ممتدة فى داخل الميناء ، وكانت هذه المشروعات من أعمال العمران الضخمة التى اقتضت جهوداً كبيرة ، وكلفت الخزانة نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ، وقد عهد بها الخديو إلى شركة انجليزية تدعى شركة جرنفلد ، وبدىء فى العمل سنة ١٨٧١ ، ولم يتم إلا بعد تسع سنوات سنة ١٨٧٩

### الفنارات

وأنشأ عدة فنارات فى ثغور البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر لإرشاد السفن ولتسهيل الملاحة البحرية وهذا بيانها :

#### ( فى البحر الأبيض المتوسط )

فنار البرلس ، أنشئ سنة ١٨٦٨ ، وفنار رشيد سنة ١٨٦٨ ، وفنار دمياط ( تجاه رأس البر ) سنة ١٨٦٩ ، وفنار بورسعيد سنة ١٨٦٩ ، وفنار العجمى سنة ١٨٧٣ ، وفنار حاجز الميناء سنة ١٨٧٦ ، وفنار القبارى سنة ١٨٧٧ ، أما فنار رأس التين الكبير فهو منشأ من عهد محمد على

#### ( فى البحر الأحمر )

وكان بالبحر الأحمر من الفنارات قبل عصر اسماعيل فنار زنوبيا ، وفنار الزعفران جنوبى السويس ، وفنار الأشرفى ، وفنار أبى كيزان ، فرأى الخديو اسماعيل أن هذه الفنارات لا تكفى لإرشاد السفن فى البحر الأحمر ، لسكثرة صخوره ومخاطره ، فأنشأ فنارات أخرى وهى :

فنار السويس . وفنار رأس الغريب جنوبى رأس الزعفران ، وفنار صخور الأخوين

الشمالية ، وفنار جزيرة شدوان الذي تم سنة ١٨٨٩ ، وفنار ( الوجه ) من ثغور  
الحجاز (١)

وأنشأ في خليج عدن بالأقيانوس الهندى فنار بربره السابق الكلام عنه ، وأمر بإقامة  
فنار في جردفون ( جردفوى ) سنة ١٨٧٨ ، ولسكنه لم ينشأ كما تقدم بيانه ( ص ١٦٢ )

---

(١) كانت متصرفية ( الوجه ) تابعة لحكومة مصر



## الفصل الثامن

### حروب مصر في عهد اسماعيل

خاضت مصر في عهد اسماعيل عدة حروب ، تختلف في أهميتها ونتائجها ، ومعظمها مما دعته تركيا إلى خوض غمارها لنجدة جيشها ، ما خلا حروب السودان ، فقد كانت ابتكاراً من الخديو اسماعيل ، لبسط نفوذ مصر في باطن افريقية وشرقها ، والوصول إلى الحدود الطبيعية لوادي النيل ، وحرب الحبشة التي كانت حرباً عقيماً من كل الوجوه ولم يكن للحروب التي خاضتها مصر تلبية لطلب تركيا من نتائج عملية لمصلحة مصر سوى أن اسماعيل كان يتخذها في الجملة ، ذريعة لاستصدار مزايا وحقوق جديدة تقرب مصر من استقلالها التام ، ومن جهة أخرى فانها كانت ميادين لمران الجيش المصري وجنوده وضباطه على ممارسة القتال والإفادة من تجاربه ووقائمه

#### (١) إخماد ثورة العسير

في أوائل عهد اسماعيل نار الأمير محمد بن عائض أمير العسير على الدولة العثمانية ، وقصد الاستيلاء على تهامة اليمن ، فخاربه متصرف الحديدية ، وصدّه في بعض المواقع ، ولكن الأمير استفحل أمره واستولى على بعض المدن ، فاستنجد السلطان عبد العزيز بالخديو اسماعيل ، وطلب إليه أن ينفذ جيشاً مصرياً لإخماد الثورة

فلبى اسماعيل طلبه ، وأنفذ إلى عسير قوة من ثلاث أورط من المشاة ، زودها بالمدافع وكتائب الفرسان ، وعقد لواء قيادتها للأمير الای اسماعيل صادق بك ، فلما وصل إلى ثغر جدة ، اتفق ووالها على تجريد الحملة المصرية صحبة الجنود العثمانية على الثوار من جهة (قنفذة) ، فتمكن من إخماد الثورة ، وقدم الأمير محمد بن عائض طاعته ، ثم عادت الفرقة المصرية ظافرة مشكورة على ما أبلته في القتال ، وأنعم الخديو على قائدها برتبة اللواء مكافأة له على ما أبدى من الشجاعة والكفاءة في القيادة ، وأرسل السلطان إلى

الخديو كتاب شكر وثناء على ما بذله من الحمية والولاء ، وتوسط اسماعيل لدى السلطان عبد العزيز في العفو عن الأمير الثائر ، فقبل شفاعته وعفا عنه وأقره في امارته

## ( ٢ ) حرب كريت

فامت سنة ١٨٦١ ثورة في ولاية الهرسك إحدى ولايات البلقان بتحريض أمير الجبل الأسود ، فجردت تركيا جيوشها لمقاتلة الثوار ، ولما تولى اسماعيل عرش مصر طلبت اليه الحكومة العثمانية أن يعزز جيوشها في الروملى بجيش مصرى حتى لا يقوى ساعد الثوار ولا تزداد اضطراباتهم في تلك الجهات ، فأنفذ اسماعيل باشا فرقة تولى قيادتها اللواء على غالب باشا ، فوصلت الحملة المصرية الى الاستانة ، وعرضها السلطان ، ثم سارت عن طريق ( سلا نيك ) الى ( مناستر ) ورابطت هناك

ثم نشبت ثورة عامة في جزيرة ( كريت ) سنة ١٨٦٦ ، وعجزت تركيا عن إخمادها إذ كان جنودها موزعين في ولايات البلقان ، ولم تقو الحامية التركية في الجزيرة على مقاومة الثورة ، فاستنجدت بمصر ، وأرسل السلطان عبدالعزیز الى الخديو يطلب اليه إنفاذ بعض فرق الجيش المصرى الى الجزيرة لمقاتلة الثوار ، فلبى الطلب ، وأنفذ جيشاً مؤلفاً من خمسة آلاف مقاتل ونيّف ، عقد لواءه للفريق شاهين باشا ، أحد قواد الجيش المصرى المشهورين ، يعاونه اللواء اسماعيل صادق باشا ، وكان من ضباط الجيش المصرى في هذه الحرب راشد بك حسنى ( باشا ) الذى عظم شأنه في حوادث الثورة العرابية ، وأبلى البلاء الحسن فى واقعة التل الكبير ، ومحمود سامى بك الباوردى ( باشا ) الذى صار من كبار زعماء الحركة العرابية ، وفى هذه الحرب كانت نشأة البارودى الحربية

أقلعت الحملة الى جزيرة كريت ، نقلها عمارة من الأسطول المصرى مؤلفة من عشر سفن ، معقوداً لوائها للأميرال قاسم باشا ، وتولت هذه العمارة نقل القوة المصرية التى كانت مرابطة فى ( مناستر ) ، وجاءت بها الى الجزيرة

نزلت الحملة فى كريت ، فاشتبكت والثوار فى جهة تسمى ( أبو قرون ) ، جرح فيها اللواء اسماعيل صادق باشا جرحاً بليغاً نقل على اثره الى مصر ، وتبدلت القيادة العامة

للجيش المصرى ، إذ استدعى شاهين باشا إلى مصر وعين بدله الفريق اسماعيل سليم باشا وزير الحربية وقتئذ كما تقدم بيانه ( ص ٧٧ )

والتقى الجمعان فى واقعة ارقاذى ، وكانت من أعظم الوقائع الحربية ، هزم فيها الثوار هزيمة كبيرة ، وخسروا خسائر عظيمة ، وأبلى فيها الجنود المصريون بلاء حسناً فى القتال ، وأبدوا من الشجاعة والإقدام ما خلد ذكرهم ، وكان راشد بك حسنى وألايه أكثرهم إقداماً ، فأنعم عليه الخديو برتبة اللواء ، وأرسل الجيش المصرى كتاباً بليغاً من إنشاء المرحوم عبد الله باشا فكري ، يثنى فيه على حسن بلاء الجنود وضباطهم وقوادهم ، ويسجل لهم ما أبدوه من ضروب الشجاعة والكفاءة

واستمرت الحرب سجالاتاً حتى أخذت الثورة ، فعاد الجيش المصرى إلى مصر ، وقوبل بمظاهر الحفاوة البالغة ، وأقام الخديو لأفراده الولايم تكريماً لهم على حسن بلائهم فى القتال

### ( ٣ ) حرب البلقان

١٨٧٦ - ١٨٧٧

كانت روسيا لا تفتأ تحرض امارات البلقان على الانتفاض على تركيا ، لى تمهد لنفسها الدخول فى حومة الوغى بعد أن توزع تركيا قواتها فى إخماد الثورات المحلية ، فمن ذلك أنها بذرت بذور الثورة فى تلك البلاد حتى شب أوارها فى المرسك سنة ١٨٧٥ ، وامتدت إلى البوسنة ، وقامت الصرب تشد أزر الثوار

فطلبت تركيا من الخديو اسماعيل إمدادها بجنده من الجيش المصرى ، فأعد الخديو قوة من نحو سبعة آلاف مقاتل بقيادة الفريق راشد باشا حسنى ، ومن ضباطها محمود بك فهمى ( باشا ) الذى صار فيما بعد من زعماء الثورة العرابية ووزرائها ، وصاحب كتاب البحر الزاخر فى تاريخ الأوائل والأواخر

أقلعت الحملة إلى الاستانة ، ثم قصدت إلى حدود الصرب ، فاشتريت والجيش العثمانى فى قتال الصربيين ، وفازت عليهم ، وأظهرت شجاعة وبسالة فى الوقائع التى خاضتها ،

بما دعا الخديو إلى الإنعام على طائفة من قوادها وضباطها بالرتب العالية

وفي غضون ذلك تولى عرش تركيا السلطان عبد الحميد الثاني ( ٣١ أغسطس سنة ١٨٧٦ ) ، بعد أن قتل السلطان عبد العزيز ، وخلع السلطان مراد ، ورجع الجنود المصريون إلى الاستانة إذ وقعت الحرب بين تركيا والصرب

ثم تجدد النزاع بين تركيا والروسيا ، وأعلنت الحرب بين الدولتين ، وهى الحرب المعروفة بحرب البلقان ( ابريل سنة ١٨٧٧ ) ، فطلبت تركيا من الخديو إنجادهما فى هذه الحرب ، ولكن اسماعيل اعتذر بداءة ذى بدء بارتباك شؤون الحكومة المالية ، وعجزها عن الانفاق على المدد . فأعاد السلطان عبد الحميد السكرة ولم يقبل عنذراً

وكانت المشاكل المالية قد جعلت اسماعيل هدفاً لغضب الدائنين الأجانب ، فأخذوا يرهقونه بمطالبهم الشديدة ، والدول الأوروبية من وراءهم تشد أزرهم ، وتهدد الخديو ، بنخشي عاقبة مغاضبة تركيا فى تلك الظروف البصية ، فاعتزم إجابة طلبها

وكانت خزانة الحكومة فى حالة سيئة ، فاستدعى مجلس شورى النواب ، وعرض عليه ربط ضريبة جديدة تدعى ، ضريبة الحرب ، قدرها عشرة فى المائة من مجموع الضرائب ، لسد نفقات الحملة ، فوافق المجلس عليها ، وأعد الخديو جيشاً مؤلفاً من نحو اثنى عشر الف مقاتل بقيادة الأمير حسن باشا ثالث أنجاله ، وبعد أن تمت معدات الحملة أقلعت بهم السفن المصرية إلى الاستانة ومنها إلى (وارنه) أحد ثغور البحر الأسود

وقد أبلى الجنود المصريون فى هذه الحرب بلاء حسناً واشتركوا فى القتال إلى أن وضعت الحرب أوزارها فى مارس سنة ١٨٧٨ ، ثم عادوا إلى مصر

#### (٤) و (٥) حروب السودان والحبشة

كانت الحملات التى جردها الخديو اسماعيل لإتمام فتح السودان خير حروب مصر فى عهده ، وأكثرها نفعاً وبركة ، وهى تعد تكملة لحروب مصر فى عهد محمد على ، وقد وفينا الكلام عنها فى الفصل الخامس ، كما بسطنا الكلام فيه عن حرب الحبشة

## الفصل التاسع

### التعليم والنهضة العلمية والأدبية

نال التعليم والنهضة العلمية نصيباً عظيماً من جهود اسماعيل ، فقد تولى الحكم ومعظم المدارس التي أنشأها محمد علي مقفلة ، ولم يكن باقياً منها سوى مدرسة الطب والصيدلة ، ومدرسة الولادة ( القابلات ) ، ومدرسة حريرية ، ومدرسة ثانوية ، وأخرى ابتدائية ، ومدرسة البحرية بالاسكندرية ، فبعث النهضة العلمية من مرقدتها ، ونفخ فيها روح الحياة والنشاط ، وأعاد تأليف ديوان المدارس ( وزارة المعارف ) ، وعهد برأسته الى ابراهيم أدهم باشا الذي تولاهما في عهد محمد علي ، ووجه همته إلى إنشاء المدارس على اختلاف مراتبها وفنونها (١)

#### المدارس الحربية

فأسس المدارس الحربية التي تكلمنا عنها في الفصل السادس

#### المدارس العالية

وأسس عدة مدارس عالية ، ازدان بها تاريخه ، وكان لها الفضل الكبير على النهضة العلمية والأدبية والفكرية التي ظهرت في عصره ، وفي العصور التي تلتها ، واليك بيان هذه المدارس

#### مدرسة المهندسخانة

هي مدرسة ( الري والعمارة ) وسميت المهندسخانة ، أنشئت بالعباسية سنة ١٨٦٦

---

(١) أهم مراجع هذا الفصل عن معاهد التعليم : الوقائع المصرية . الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك . التعليم في مصر لأمين سامي باشا . التعليم العام في مصر ليعقوب أرئين باشا . التعليم العام في مصر للمسيو دوربك

إسراى الزعفران ، ثم نقلت سنة ١٨٦٨ إلى سراى درب الجمايز ، (ثم إلى الجيزة) ، وكان أول ناظر لها اسماعيل بك (باشا) مصطفى الفلكى ، ثم محمود بك (باشا) الفلكى ، ثم عاد إليها اسماعيل بك الفلكى

### مدرسة الحقوق

هى أعظم المعاهد العلمية التى أسسها اسماعيل ، أنشئت سنة ١٨٦٨ ، وكان اسمها مدرسة «الإدارة والألسن» ، وقد حلت محل مدرسة الألسن التى أقفلت فى عهد عباس ، وسميت «مدرسة الحقوق» منذ سنة ١٨٨٦ ، وكان أول ناظر لها المسيو فيدال Vidal (باشا) أحد علماء فرنسا المشتريين ، وبقي يتولى نظارتها أربعاً وعشرين سنة إلى عام ١٨٩١

وفى هذه المدرسة تخرج معظم رجال النانون الذين نبغوا فى عصر اسماعيل وما يليه من العصور ، ولها الفضل الكبير على نهضة القانون والتشريع والقضاء ، وعلى النهضة الأدبية والسياسية فى البلاد

### مدرسة دار العلوم

أسست سنة ١٨٧٢ ، والغرض منها تخريج أساتذة اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، انتخب طلبتها من نجباء تلاميذ الأزهر ، وتولى نظارتها على التعاقب فى عهد اسماعيل : حامد افندى نيازى ، ثم محمود افندى فوزى ، ثم على بك فهمى رفاعه ، ثم حامد افندى نيازى ، وقد أدت المهمة التى أنشئت من أجلها ، وكان لها الفضل الكبير على نهضة اللغة والآداب العربية فى مصر ، وسنعود إليها فى ترجمة مؤسسها على مبارك باشا

### مدرسة الطب والولادة

وارتقت مدرسة الطب فى عهد اسماعيل ، واتسع نطاقها ، وخرجت جماعة من أعلام الطب فى مصر ، وتولى نظارتهم على التعاقب : برجير بك Burguiere bey ، ثم حافظ افندى محمد ، ثم محمد على بك (باشا) البقلى ، ثم محمد الشافعى بك ، ثم محمد على باشا البقلى ، ثم جلياردو بك

## مدارس البنات

بدأ إنشاء مدارس البنات في مصر على عهد اسماعيل ، وهي هبة تشهد له بالفضل في نهضة الأمة ، فقد كان التعليم النسوي يعتبر من قبل في حكم العدم ، إذ لم تكن في البلاد مدرسة للبنات سوى مدرسة الولادة ، ولم يكن يتعلم فيها في الغالب سوى البنات الحبشيات ، اما الفتيات من سائر الطبقات فلم يكن لهن مدارس لتعليمهن ، وكان الجهل يخيم عليهن ، اللهم الامن كن يتعلمن في بيوت آبائهن واهلهن ، وقليل اولئك

ففي سنة ١٨٧٣ أسست مدرسة السيوفية للبنات ، انشأتها السيدة جشم آفت هانم ثالث زوجات الخديو اسماعيل ، وكان بها حين افتتاحها نحو مائتي تلميذة (١) ، وبلغ عددهن سنة ١٨٧٤ اربعمائة تلميذة ، يتعلمن مجانا ، فضلا عن الإنفاق على ما كملن وملبسهن ويتعلمن القراءة ، والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، والحساب ، والجغرافية ، والتاريخ ، والتطريز والنسيج ، وغير ذلك من الصناعات (٢) وتولى نظارتها حسن افندي صالح ، ثم مدام روزه

وأسست مدرسة أخرى للبنات في القرية بالقاهرة سنة ١٨٧٤ ، وألغيت سنة ١٨٧٨

## المدارس الصناعية

وأسس اسماعيل من المدارس الصناعية :

مدرسة الفنون والصنائع ، وكانت تعرف بمدرسة (العمليات) ، أسست سنة ١٨٦٨ لتخريج الصناع الفنيين ، ومنهم مهندسو الواپورات البرية والبحرية وسواقوها ، والموظفين الفنيون في مصلحة السكك الحديدية ، وتخرج منها مهندسون لصنع عربات السكك الحديدية والبواخر والآلات البخارية

وتولى نظارتها المسيو جيجون بك Guigon bey ، ثم عيسى شاهين افندي ، ثم عاد

(١) الخطاط التوفيقية ج ٢ ، ص ٤٦ ، وجاء في الوقائع المصرية العدد ٥١٩ ( ٥ أغسطس

سنة ١٨٧٣ ) أن عددهن حين افتتاح المدرسة ١٨٠ تلميذة

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٧٦ - ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٧٤

لنظارتها جييجون بك ، ومن كبار أساتذتها اسماعيل بوشناق بك كبير مهندسى  
العنابر بالسكك الحديدية

ويشتمل برنامجها على العلوم الصناعية والهندسية ثم التمرينات العلمية  
فى السنة الاولى يدرس الحساب ، والجبر ، والهندسة الوصفية ، والرسم ، وفن  
العمارة ، واللغات العربية والفرنسية والانجليزية  
وفى السنة الثانية تدرس أنواع الرسم ، واللغات ، والطبيعة وتطبيقها على الصناعات ،  
والميكانيكا ، والجغرافية ، والمحاسبة  
وفى السنة الثالثة ، تدرس المواد المذكورة مع التاريخ وتطبيق الكيمياء على الصناعات ،  
ورسم الآلات البخارية وتركيبها

وكان الطلبة يمارسون بعد الظهر التمرينات العملية فى خمسة معامل ، أولها معمل  
تركيب الآلاب وتصليحها ، والثانى معمل الحدادة ، والثالث المسبك الذى كان يعرف  
بالدوكمخانة ، والرابع معمل الخراطين والتجارين والعينات التى يطلب عملها ، والخامس  
معمل قدور القزانات الحديد والنحاس ، وفى المدرسة قسم لتعليم التلوين بالالوان  
المختلفة (١)

(١) مدرسة التلغراف أسست سنة ١٨٦٨ ، وألغيت سنة ١٨٦٩ ، ثم ألحقت بمدرسة  
الفنون والصنائع

(٢) فرقة النقاشين أسست سنة ١٨٦٩ ، وألغيت سنة ١٨٧١

(٣) فرقة عمليات المرور أسست سنة ١٨٧٠ ، وألغيت سنة ١٨٧٢ ، وفرقة أخرى  
أسست سنة ١٨٦٨ ، وألغيت سنة ١٨٧٢

المدارس الخصوصية

وأنشأ من المدارس الخصوصية :

(١) عن (الوقائع المصرية) العدد ٣٤١ (١٩ يناير سنة ١٨٧٠)



(١) مدرسة المساحة والمحاسبة ، أسست سنة ١٨٦٨ ، وتولى نظارتها نظار مدرسة المهندسخانة

(٢) مدرسة اللسان المصرى القديم ( اللغة الهيروغليفية ) أسست سنة ١٨٦٩ وتولى نظارتها المسيو بروكش ( باشا ) Brngscs العالم الألمانى فى الآثار المصرية وألغيت سنة ١٨٧٦

وأشهر من نبغ من خريجى هذه المدرسة العالم الأثرى الكبير احمد كمال باشا

(٣) فرقة الرسم بالمدارس الملكية أسست سنة ١٨٦٩ وألغيت سنة ١٨٧٩

(٤) مدرسة الزراعة أسست سنة ١٨٦٧ وألغيت سنة ١٨٧٥

(٥) مدرسة العميان والخرس ، للبنين والبنات ، أسست سنة ١٨٧٥ ، وتولى نظارتها محمد أنسى بك نجل سيد الله أبو السعود افندى

#### المدارس الثانوية

وانشأ من المدارس الثانوية

(١) المدرسة التجهيزية بالعباسية أسست سنة ١٨٦٣ ، ثم نقلت الى درب الجمالين

سنة ١٨٦٨ ، وعرفت بالخدوية

(٢) مدرسة رأس التين بالاسكندرية ، أسست سنة ١٨٦٣

#### المدارس الابتدائية

قلنا إن معظم المدارس الابتدائية التى أنشأها محمد على قد ألغيت فى أواخر عهده ، ولم يحدد بدلها فى عهد عباس وسعيد ، فبذل اسماعيل جهوداً كبيرة فى إنشاء المدارس الابتدائية فى القاهرة وفى مختلف العواصم

ويرجع الفضل فى إنشاء هذه المدارس الى شريف باشا ، ثم إلى على باشا مبارك ، الذى فكر فى تحويل التعليم فى الكتاتيب إلى التعليم الابتدائى النظامى ، وكان عدد الكتاتيب وقتئذ نحو خمسة آلاف كتاب

وهناك بيان ما أنشاه اسماعيل من المدارس الابتدائية :

مدرسة المبتديان بالعباسية أنشئت سنة ١٨٦٣ ثم نقات إلى الناصرية ثم إلى المنيرة

مدرسة رأس التين الابتدائية بالاسكندرية سنة ١٨٦٣

مدرسة طنطا ( بينها ) أسست سنة ١٨٦٨

مدرسة أسبوط ١٨٦٨ » »

» بنى سويف ١٨٧٢ » »

» المنيا ١٨٧٣ » »

» القرية ١٨٧٢ » »

» الجمالية ١٨٧٣ « »

» الحسينية ١٨٧٩ » »

» باب الشعرية ١٨٧٤ » »

» عابدين ١٨٧٩ » »

» مصر القديمة ١٨٧٩ » »

» أبو العلابيولاق ( عباس ) ١٨٧٢ » »

» السيدة زينب ( محمد علي ) ١٨٧٢ » »

» شيخون ١٨٧٣ » »

» العقادين ١٨٧٢ » »

» النحاسين ١٨٧٢ » »

» الإمام الشافعي ١٨٧٩ » »

» الحبانة ١٨٧٢ » »

» رشيد ١٨٧٦ » »

» الفشن ١٨٧٩ » »

ويضاف إلى هذه المدارس مدرسة ( الصليبية ) ، وقد كانت مكتبةً أنشأتها والدة

عباس باشا الأول ، وضم إلى المدارس الابتدائية سنة ١٨٧٢ ، ومدرسة قلاوون ،

والشيخ صالح للبنين ، ومدرسة محمد بك سيد احمد ، ومدرسة حافظ باشا بالاسكندرية ،  
ومدرسة البوصيرى ، ومدرسة راتب باشا بالاسكندرية أيضاً  
ومدرسة ( خليل اغا ) ، أنشأها كبير أغاوات والدة اسماعيل ، قرب المسجد الحسينى  
بالقاهرة ، ثم انتقلت أخيراً الى شارع الأمير فاروق  
ومدرسة القبة التى أنشأها الأمير محمد توفيق باشا ولى العهد على نفقته الخاصة

### الحفلات المدرسية

كان الخديو اسماعيل شديد الميل إلى إقامة الحفلات المدرسية التى تختتم بها الامتحانات  
العامة فى المدارس على اختلاف درجاتها ، وكان لهذه الحفلات مظهر نغم فى ذلك العصر ،  
إذ كان يحضرها كبار رجال الدولة ، وتوزع فيها الجوائز والمسكافات على المتقدمين من  
الناجحين ، ويلقى فيها الأساتذة ونوابغ الطلبة الخطب والقصائد ، فكانت هذه الحفلات  
من عوامل النهضة العلية ، ويدل ذلك على مبلغ عناية الحكومة بها أن ( الوقائع المصرية )  
وهى الجريدة الرسمية للحكومة كانت تعنى بوصف كل حفلة مدرسية وتنشر كل ما  
يلقى بها من الخطب والقصائد ، تسجيلاً لها ، وتعظيماً لقائلها ، ونجد فى ( الوقائع المصرية )  
بيانات مستفيضة عن هذه الحفلات وأسماء من يحضرونها من رجال الدولة وأعلام  
الأدب والعلم فى ذلك العصر ، وأسماء الأساتذة والطلبة الذين يخطبون فيها

### الأزهر

ظل الأزهر الجامعة الاسلامية التى تدرس فيها علوم الدين والفقہ واللغة ، وكان  
التعليم فيه يتبع الأساليب القديمة التى درج عليها من سالف العصور  
وقد بدأت روح الإصلاح والتقدم تتمشى فيه من عهد ولاية الشيخ محمد العباسى  
المهدى مشيخته سنة ١٨٧١

وباكورة الإصلاح فيه إنشاء نظام الامتحان لتخريج العلماء والمدرسين سنة ١٨٧٢ ،  
فقد كان التدريس فى الأزهر خلوا من القيود ، فوضع الشيخ العباسى نظاماً لامتحان  
العلماء ، وألف لهذا الغرض لجنة برأسته مؤلفة من ستة من كبار العلماء ، اثنان من  
الشافعية وهما الشيخ خليفه الصفتى . والشيخ احمد شرف الدين المرصنى . واثنان من  
المالكية وهما الشيخ احمد الرفاعى والشيخ احمد الجيزاوى . واثنان من الحنفية . وهما  
الشيخ عبد الرحمن البحرأوى . والشيخ عبد القادر الرفاعى

ومهمة هذه اللجنة امتحان المرشحين للعالمية في مختلف العلوم وإعطاء الناجحين منهم  
اجازة العالمية ، وكان تأليف هذه اللجنة أساس النظام الجديد في الأزهر  
وجاء السيد جمال الدين الافغانى إلى مصر سنة ١٨٧١ ، فنفض في الأزهر روح النهضة ،  
وغرس بزور التقدم الفكرى والعلمى ، وقد بدت ثمارها بظهور المدرسة الحديثة التى حمل  
لوامها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى الأزهر وخارج الأزهر

### البعثات

أعاد اسماعيل عهد البعثات التى ازدان بها عصر محمد على من قبل ، وأخذ يوفد الطلبة  
إلى مدارس أوروبا منذ سنة ١٨٦٣ ، وبلغ عددهم مدة حكمه ١٧٢ طالب ، وهو كما ترى  
أقل من عدد البعثات فى عصر محمد على  
وأنشأ مدرسة لأعضاء البعثة فى باريس بدل المدرسة التى أنشأها محمد على لهذا  
الغرض وأقفلت فى أواخر عهده كما بيناه ، عصر محمد على ، ص ٤٥٢ ، ، لسكن المدرسة  
التي أنشأها اسماعيل أقفلت بعد نشوب الحرب السبعينية

### مدارس الأقباط الأرثوذكس

ونشط الأقباط إلى إنشاء المدارس لتعليم أبنائهم ، ويرجع معظم الفضل فى هذه  
النهضة الى جهود الأنبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط الأرثوذكس  
فصار لهم فى عهد اسماعيل نحو ١٢ مدرسة بالقاهرة ، أهمها المدرسة البطريركية  
الكبرى ، ومدرسة مصر القديمة . وأخرى بالجيزة . ومدرستان بالاسكندرية . ومدرسة  
أكبرية لتعليم اللاهوت واللغة القبطية والطقوس الدينية ، ونشطوا إلى تعليم البنات  
فأنشأوا لذلك مدرستين . واحدة بحارة السقاين . وأخرى بالأزبكية  
وقد منح اسماعيل مدارس الأقباط مساعدات جمة ، أهمها انه وهبها ١٥٠٠ فدان من  
أجود أطيان القطر ، ليخصص ريعها على التعليم فيها ، فكان هذا الريع يبنى بمعظم ما ينفق  
على هذه المدارس

## المدرس الأوروية

كثرت عدد المدارس الأوروية التي فتحتها البعثات الدينية للبنين والبنات ، فبلغ عددها في عهد اسماعيل ٧٠ مدرسة<sup>(١)</sup> ، ولم تنتشر في أي عهد بمثل ما كثرت في عهده وقد خرجت عدداً كبيراً من رجال الأعمال والمهني وموظفي الحكومة ، وخاصة موظفي البريد والسكك الحديدية والمحال التجارية والبنوك وتراجمه القنصليات والمحاكم المختلطة ، ونال كثير منهم الحماية الأجنبية بواسطة القناصل ، فصاروا في حكم الأجانب في انتمائهم للدول الأجنبية ، وميولهم اليها ، وعدم خضوعهم للنظم الأهلية القضائية والإدارية

## وزارة المعارف

قلنا إن اسماعيل أعاد ديوان المدارس (وزارة المعارف) بعد أن ألغى في عهد سعيد ولما تقدمت ههذه التعليم خصص لوزارة المعارف سراي الأمير فاضل بدررب الجمايز ، وهي سراي نفمة وسعت ديوان المدارس وبعض المعاهد العلمية ، كمدرسة المهندسخانة ومدرسة الحقوق . ومدرسة المساحة والمحاسبة . والمدرسة التجهيزية . ودار الكتب ، ومعمل الطبيعة والكيمياء . ومدرج المحاضرات (الانفتياترو) ، فصارت بمنزلة الجامعة المصرية ، وكان اختيار هذه السراي إجابة لاقتراح العلامة علي باشا مبارك حينما ولي وزارة المعارف

وتعاقب على وزارة المعارف في عهد اسماعيل الوزراء الآتية أسماؤهم :

ابراهيم أدهم باشا (يناير - يوليه سنة ١٨٦٣) . شريف باشا (يوليه سنة ١٨٦٣ -  
ابريل سنة ١٨٦٨) . علي مبارك باشا (ابريل سنة ١٨٦٨ - سبتمبر ١٨٧٠) . مصطفى  
بهجت باشا (سبتمبر سنة ١٨٧٠ - مايو سنة ١٨٧١) . علي مبارك باشا (مايو سنة  
١٨٧١ - أغسطس سنة ١٧٧٢) . الأمير حسين كامل باشا (أغسطس سنة ١٨٧٢ -  
أغسطس سنة ١٨٧٣) . مصطفى رياض باشا (أغسطس سنة ١٧٧٣ - مايو سنة ١٨٧٤) .  
محمد ثابت باشا (مايو سنة ١٨٧٤ - سبتمبر سنة ١٨٧٤) . الأمير طوسون باشا (سبتمبر

(١) كتاب إحصاء مصر سنة ١٨٧٣ ص ٢٥٧

سنة ١٨٧٤ — أغسطس سنة ١٨٧٥ ) . يحي منصور باشا ( سبتمبر سنة ١٨٧٥ — يونيه سنة ١٨٧٦ ) . مصطفى رياض باشا ( يونيه سنة ١٨٧٦ — اكتوبر سنة ١٨٧٧ ) . اسماعيل باشا أيوب ( اكتوبر سنة ١٨٧٧ — أغسطس سنة ١٨٧٨ ) . علي باشا مبارك ( أغسطس سنة ١٨٧٨ — ابريل سنة ١٨٧٩ ) . محمد ثابت باشا ( ابريل سنة ١٨٧٩ — يوليه سنة ١٨٧٩ )

### ميزانية التعليم

كان اسماعيل ينفق بسخاء على التعليم ، فقد كانت ميزانية المعارف في عهد سعيد لا تتجاوز ستة آلاف جنيه<sup>(١)</sup> ، فزادها اسماعيل الى أربعين ألفا ، ثم بلغت كما ذكر علي باشا مبارك<sup>(٢)</sup> ٧٥٠٠٠ جنيه ، منها ٤٨٠٠٠ من وزارة المالية (الميزانية العامة) و ٢٠٠٠٠ من إيراد تفتيش الوادى ، و ٧٠٠٠ من ديوان الأوقاف ، وكان التعليم في معظم المدارس مجانيا

ثم نقصت ميزانية وزارة المعارف في أواخر عهد اسماعيل بسبب الارتباكات المالية التي سببتها قروضه ، فهبطت الى ٢٠٠٠٠ جنيه

(١) إدوين دى ليون . مصر الخديو ص ١٦٢

(٢) الخطط التوقيفية ج ١ ص ٨٩



علي باشا مبارك

( ١٨٩٣ — ١٨٢٤ )

زعيم نهضة العلم والتعليم في عصر اسماعيل

## على باشا مبارك

( ١٨٢٤ - ١٨٩٣ )

زعيم نهضة العلم والتعليم في عصر اسماعيل

ان الحديث عن تقدم التعليم في عهد اسماعيل يستتبع الكلام عن العلامة على باشا مبارك ، فان اسمه مقرون بهذه النهضة المباركة

في تاريخنا القومي شخصيات مجيدة ، تعد أركاناً للنهضة القومية ، لما لها من الأثر البالغ في تطورها ، وتوجيهها الى المثل العليا في شتى مظاهرها ، من الناحية الأخلاقية والوطنية ، أو العلمية والأدبية ، أو الاقتصادية والاجتماعية

ومن واجب الوفاء لهذه الشخصيات أن نذكرها دائماً بالخير ، ونخصص لها ما هي جديرة به من البحث والدرس ، ولاغرو فالشخصيات المجيدة في تاريخ مصر هي كالسكواكب النيرة في سماء النهضة القومية

وقد بذلنا ما استطعنا من جهد لدراسة تلك الشخصيات في الأجزاء الثلاثة السابقة من تاريخ الحركة القومية ، كلما عرضت المناسبة للكلام عنها ، وهنا ، لمناسبة التعليم والنهضة العلمية في عصر اسماعيل ، نرى حقاً علينا أن نفي ببعض هذا الواجب نحو العلامة على باشا مبارك ، فهو عماد هذه النهضة ، وقلبها النابض ، ورأسها المدبّر ، وهو من الشخصيات الفذة التي سطعت سطوعاً قوياً في عهد اسماعيل ، ويعد تاريخه قطعة من هذا العصر ، والعصور التي تلت ، الى عصرنا الحاضر ، وإلى ما شاء الله

### نشأته الأولى (١)

ولد المترجم في برنال الجديدة ، من أعمال مركز دكرنس بمديرية الدقهلية سنة ١٨٢٤م

---

(١) اعتمدنا في بيان معظم الوقائع ، على ما استخلصناه من ترجمة على باشا مبارك



( ٥١٣٣٩ ) ، وأبوه الشيخ مبارك بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم الروجى من أهالى هذه الناحية ،  
وجده الأعلى من ناحية كوم بنى مراس والخليج على بحر طنّاح ، من أعمال مركز  
المنصورة ، ولفشل كبير حصل فى هذا البلد تشتت عائلته ، فأقام جده الأكبر ابراهيم  
الروجى فى برنال الجديدة ، ونال فيها مكانة عالية ، فكان إمامها وخطيبها وقاضيها ،  
وبقيت هذه المكانة فى نسله ، حتى عرفت عائلتهم بعائلة المشايخ

ولاضطهاد وقع باهل برنال وإرهاقهم بالضرائب الثقيلة هاجرت عائلة مبارك ،  
وتفرقت فى البلاد ، فنزل والد المترجم بعزبة الحمادين من بلاد الشرقية ( بمركز فاقوس  
الآن ) ، وكان ابنه لم يبلغ بعد السادسة من عمره ، ولم تطب لهم الإقامة فى هذه البلدة ، اذ  
لم يلقوا فيها إكراما ، فارتحلوا منها إلى عرب السماعنة بالشرقية ، فأحسنوا وفادة والد  
المترجم ، وأكرموا مشواه ، ولم يكن فى بلدتهم فقهاء ، فجعلوه مرجعهم فى الأحكام  
الدينية ، وبنوا مسجدا جعلوه إمامه ، ولما بدأ يستريح من الشدائد التى عاناها قبل أن  
يهبط هذا البلد ، أخذ يعنى بتهديب ابنه وتعليمه ، وكان المترجم قبل رحيله من برنال ،  
قد بدأ يتعلم القراءة والكتابة على رجل ضرير من أهلها ، فلما استقر بأبيه المقام بين  
عرب السماعنة ، أخذ يعلمه بنفسه ، ثم أسلمه إلى فقيه اسمه الشيخ احمد أبو خضر ، أصله  
من ناحية الكردى ( وهى بلدة قريبة من برنال ) ، ثم ارتحل إلى قرية صغيرة على  
مقربة من مساكن أولئك العرب ، وهناك حفظ المترجم على يده القرآن فى سنتين

وكان الشيخ يقسو فى معاملته ويضربه ، كماهى عادة الفقهاء والمعلمين مع تلاميذهم فى  
ذلك العصر ، فامتنع عن متابعة القراءة عليه ، وأبى أن يذهب اليه ، وجعل يقرأ عند  
أبيه ، لكن أباه كان لا يستطيع التفرغ لتعليمه ، لكثرة مشاغله ، فتراخى المترجم فى  
الحفظ والدرس ، وكاد ينسى ما حفظه ، فهم أبوه أن يجبره على الرجوع إلى الفقيه ،  
لكنه أبى أن يعود اليه ، وحدثه نفسه بالهرب ، لما كان يجده من سوء المعاملة ، فتدخل  
اخوته فى الأمر ، فأبدى لهم نفوره من الحفظ ، وأعرض عن أن يكون فقيها ،  
ورغب أن يكون كاتباً ، لما كان يراه على الكتاب من حسن الهيئة والقربى من الحكام  
وكان لأبيه صديق كاتب بناحية ( الاخيوّة ) ، فأسلمه اليه ليتعلم الكتابة على يديه ،  
فلازمه فى داره يتعلم عنه ، ولكنه رأى منه قسوة وغلظة ، وناله منه أذى شديد ، إذ

سأله يوماً عن الواحد في الواحد فأجابته باثنين ، فضربه بمقلادة بن ، فشج رأسه ، وكان ذلك على ملاء من الناس ، فشكاه الى أبيه ، فلم يحفل بشكايته ، فهرب ، وانتهى به المطاف الى العودة وحيدا الى برنبال ، وهناك وافاه أخوه الذي كان يبحث عنه ، فأعاده الى أبيه ، وقد حار في معالجته وتعليمه ، وأبدى المترجم نفورا من الرجوع الى الكاتب أو الفقيه ، لما رأى منهما من الايذاء والضرب

فارتأى أبوه أن يعهد به الى صديق له من كتبة المساحين ، فرضى بذلك ، ولازمة ثلاثة أشهر ، ثم انفصل عنه ، وبقى في بيت أبيه يقرأ عليه ، وبعد سنة جعله مساعداً لكاتب في مأمورية أبي كبير . بمرتب قدره خمسون قرشاً . ولكن الكاتب لم ينقده أجره ، الى أن تسلم يوماً حاصل الجباية من أبي كبير ، فأخذ منه راتبه المتأخر ، فنقم منه الكاتب وأغرى به مأمور أبي كبير ، واتفق وإياه على تجنيده ، فاستدعاه المأمور واعتقله ، ووضع الغل في عنقه ولبث في السجن بضعة وعشرون يوماً ، قاسى فيها مر الشدائد والآلام ، ولما علم أبوه بسجنه رفع ظلامته الى محمد علي باشا عزيز مصر ، وكان إذ ذاك في منيا القمح ، فسكتب باخلاء سيده ، وإطلاق سراحه ، وعاد أبوه بالأمر ليطلب من المأمور تنفيذه ، وقبل أن يحضر جاء السجن صديق للسجان ، وأفضى اليه أن مأمور زراعة القطن بناحية أبي كبير في حاجة الى كاتب ، فدل السجان على المترجم ووصفه له بالنجابة ، وحسن الخط ، وبعد قليل جاء أمر الافراج ، وذهب الى مأمور الزراعة ، وكان أسود حبشياً يدعى (عبر افندي) ، فاتخذته كاتباً عنده مقابل جراية يومية من الخبز ، وخمسة وسبعين قرشاً في الشهر ، فارتضى هذا العمل ، وكانت ساحة أخلاق عبر افندي وطيبته مما رغب اليه البقاء في هذه الوظيفة

### ما يؤخذ من نشأته الأولى

إلى هنا ليس في نشأة المترجم الأولى شيء مما يلفت النظر ، لسكنها تصالح أن تكون صورة مصغرة للحياة الاجتماعية في ذلك العصر

فانتقال عائلة المترجم من بلد الى بلد ، من كوم بني مراس على بحر طنّاح ، الى برنبال بأقصى الدقهلية شمالاً ، ثم الى السماعيل بالشرقية ، كان نتيجة سوء معاملة الحكام للاهلين

في ذلك العصر ، وإرهاقهم بالضرائب الجائرة ، مما اضطر تلك العائلة ، وكثيراً مثلها ، الى الرحيل فراراً من المطالب التي لم يستطيعوا أداءها ، بعد أن تجردوا من ماشيتهم ومتاعهم ، وتشدد الحكام في استخلاصها بالسجن والضرب ، فلم يجدوا مخلصاً من هذه المظالم سوى الهجرة من موطنهم ، وهذا يعطينا صورة من مظالم الحكام في ذلك العهد ، إذ لم يسكن ثمة قانون يمنع ظلم القوى عن الضعيف ، ويحول دون اعتداء الحاكم على المحكوم ، ولا ضرائب منتظمة معلومة المقدار ، يعرف كل إنسان حدود ما عليه منها ، بل كانت متروكة لأهواء الحكام والرؤساء ، فلا جرم أن استهدف آل المترجم للتجرد من متاعهم وماشيتهم ، ثم إلى السجن والضرب ، ثم الى الهجرة والتنقل من بلد إلى بلد ، فراراً من المظالم

وهذه النشأة تعطينا من جهة أخرى صورة لما كانت عليه حالة التعليم قبل أن يألف الناس المدارس الحديثة ، فان فكرة تعليم الأبناء كانت موجودة عند الآباء الذين نالوا حظاً من العلم ، يدل ذلك على ميل والد المترجم الى تعليم ابنه قدر ما يستطيع ، لكن طريقة التعليم كانت رديئة ، لا تثمر في تنمية الفكر وتهذيب النفس ، ففقيه القرية ، وكاتب الإخيوه ، وأمثالها من الفمء والعرفاء ، كانوا من الجهل والقسوة بحيث لا ينتج التعليم على أيديهم سوى الجهالة ، وبث روح الخوف والجهن في أخلاق الشباب ، لأن القسوة والضرب يقتلان في نفس التلميذ روح الشجاعة والأخلاق الفاضلة

وليس في نشأة المترجم الأولى حالة غير عادية تجعل منه رجلاً يختلف عن معاصريه ، واسكن أمراً واحداً يلفت النظر ، ذلك هو نفوره من الذل ، وبجفافه قسوة المعلم ، فقيهاً كان أو كاتباً ، أفلا تراه يؤثر الهجرة على احتمال القهر والضرب ؟ ثم ألا تراه كأنما يتقدم عصره ويبدع معاصريه ، فيتطلع إلى أسلوب في التعليم أرقى من الأسلوب العتيق الذي كان مألوفاً في عصره ؟

إن هذه ظاهرة تدل على أن نفس الفتى الصغير تأبى الذل ولا تقيم على الضيم ، وذلك ينبىء عن سمو الخلق ، لأن إباء الذل يدل على نفس عزيزة ، وعزة النفس تجمع حولها سمطاً من الأخلاق السكريمة ، ولا مرء في أن تلك النفس العزيزة كانت من أسباب نبوغ المترجم ، فلو هو رضى بالذل والهوان ، لاستمر في طريقه ، ولم يتجاوز أن يصير

كاتبا صغيرا ، مرءوسا لمثل عنبر افندى ، ولكن انظر إلى ما حدثته به نفسه - وهو يشغل هذه الوظيفة - تجد نفسا متوثبة كانت تحتلج بين جوائح المترجم

فقد روى عن نفسه انه لما اشتغل كاتبا لعنبر افندى رأى منه رافة وشفقة وحسن معاملة ، تختلف عما لقيه من كاتب ابى كبير ، ولكنه شعر بأن لو كان عنبر افندى على غرار ذلك الكاتب ، لما وجد من ينقذه من قسوته وسوء معاملته ، ومن ثم اتجهت نفسه إلى أن يكون بحالة لا ذل فيها ولا تخشى غوائلها ، كما يقول المترجم

فهذا الشعور ، هو فيض النفس العزيزة التي تأتي الهوان ، وتطمح إلى المعالي ، وهو شعور كريم ، كان له أثره في حياة على مبارك

وإن سمو هذا الشعور ليدعونا في إعجاب ، أن نتساءل من أين اقتبسه ؟ وكيف اختص به دون أقرانه في القرية ؟ إن هذا هو سر نبوغ العطاء ، لانجده له تعليلا دقيقا ، فاذا عللته بتأثير البيئة أو الوراثة ، اعترضك في هذا أن النابغة قد ينشأ وغيره من الناس في بيئة واحدة ، ومن أب واحد ، وأم واحدة ، ومع ذلك يتفرد بالنبوغ دون أقرانه واخوته

قد يكون السر في النبوغ هو الاستعداد الفطري للنبوغ ، يولد مع صاحبه ، أو هو الإلهام الذي يودعه الله نفس النابغة ، أو هو التوفيق والعناية الإلهية ، لك أن تفسره بمعنى من هذه المعاني ، أو بها كلها مجتمعة ، ولكن علينا أن نحسب حسابا لتأثير الوسط والوراثة ، فلا شك أن على مبارك قد اقتبس شيئا من أخلاق أبيه ، فقد كان جده الأكبر رجلا معظما مكرما ، نزل بلدة برنبال ، ولم يكن من أهلها ، فصار أمامها وخطيبها وقاضيا ، وبعد وفاته بقيت هذه الوظيفة في نسله ، طبقة بعد طبقة ، فلو لم يكونوا على أخلاق فاضلة ، ونفوس طيبة ، لما احتفظوا بهذه المنزلة ، حتى صارت عائلتهم تعرف بعائلة المشايخ ،

وكذلك لما هجر أبو المترجم ناحية برنبال ، وورد قرية السماعنة ، احتفظ بعزة النفس ، ونال من أهل تلك القرية مكانة ممتازة ، أدركها بعلمه وفضله ، وإنك لتلح عزة نفسه من كونه لم يطق صبرا على اعتقال ابنه ، وذهب إلى منيا القمح ، حيث كان عزيز مصر محمد على باشا ، ورفع إليه ظلامته ، وشكا إليه ما حاق بابنه من السجن ،

فالشكوى من الظلم ، واستصراخ وليّ الأمر ، من الأمور التي تحتاج ( في ذلك العصر ) الى شيء من الجرأة والشجاعة ، فكم من المظالم كانت ترتكب . ويستسلم لها المظلومون ، وإذا حدثتهم أنفسهم بالشكوى منها ، فقلبا تحفزهم الشجاعة إلى إبلاغها لأكبر رأس في الحكومة

فأغلب الظن أن المترجم اقتبس عن أبيه تلك النفس العزيزة ، وهذا فضل يجب أن نسجله لو والد المترجم ، الشيخ مبارك بن مبارك بن سليمان بن إبراهيم الروجي

### نشأته الثانية في المدارس النظامية

إن طموح نفس علي مبارك الى المعالي هو الذي سلك به سبيل المدارس النظامية ، ذلك أنه حينما اشتغل كاتباً عند عنبر افندى ، أخذ يسأل فراش المأمور عن أخبار سيده وأسباب بلوغه هذا المركز الممتاز في الحكومة ، وكان يدهشه أن عنبر افندى ، وهو أسود حبشى ، يصل إلى هذا المنصب ، حين كان يعتقد أن الحكام لا يكونون إلا من الأتراك على حسب ماجرت به العادة في تلك الأزمان ، فعلم من الفراش عن سبب ارتقائه ، انه كان مشترى سيده من ذوات المكانة والجاه ، فأدخلته مدرسة « قصر العيني » إحدى المدارس النظامية التي أنشأها محمد علي باشا ، فتعلم فيها وتخرج منها ، وصار أهلاً للمركز الذي يشغله ، وعلم أن الحكام يؤخذون من خريجي هذه المدارس

فلما استمع المترجم لهذا الحديث ، مالت نفسه الى دخول تلك المدارس ، ليصل إلى ما وصل اليه عنبر افندى ، وأخذ من تلقاء نفسه يسأل عن السبيل إلى دخول المدارس النظامية ، وسأل الفراش : هل يدخلها أحد من « الفلاحين » ؟ فقال يدخلها صاحب الواسطة ، فتعلقت نفسه بالسعى لدخولها ، واعتزم ترك العمل الذي كان يشتغل به ، والذهاب إلى مصر ليلتحق بمدرسة قصر العيني

### دخوله مدرسة ميت العز

وما خالجه هذا العزم حتى أصر على إنفاذه ، دون أن يكشف أحداً ، فطلب الإذن من رئيسه بأجازة يقضيها في زيارة أهله ، فأذن له بخمسة عشر يوماً ، وسافر الى وجهته

وفيا هو يسير في طريقه مر بقرية بنى عياض (١) ، والتقى بجماعة من الأطفال ، يتبعون رجلا خياطاً ، وكل منهم يحمل دواة وقلبا ، فاجتمع بهم تحت شجرة ، وتعرف حالتهم ، فاذا هم تلاميذ مكتب ميت العز ، أحد المكاتب التي أسسها محمد علي باشا ، وكان ذلك فالأحسن للترجم ، كما يقول عن نفسه ، إذ أنه حين اجتمع بالأطفال ورأى الخياط خطه أجود من خطوطهم ، رغب إليه أن يدخل مكتب ميت العز ، وأفهمه أن نجباء المكاتب ينتقلون إلى المدارس دون واسطة ، فابتهج المترجم لهذه الفكرة ، إذ وجد فيها بغيته التي ينشدها ، ولم يكن أحب الى نفسه من أن يسلك سبيل الدخول إلى المدارس ، ويحتمل تلك العقبة التي أشار إليها فراش المأمور في حديثه له ، وهي الواسطة لدخول المدارس ، ورأى أن الاجتهاد في المكتب سيغنيه عن تلك الواسطة التي قد لا يجدها

دخل المترجم مكتب ميت العز ، وناظره من معارف أبيه ، وكان يعلم أن دخول ابنه المكتب لا يرضيه ، فأراد أن يصرفه عن دخوله ، ولكنه رأى منه إصرارا على عزمه ، فبقى بالمكتب خمسة عشر يوما ، وأرسل الناظر إلى أبيه ، فجاء يسعى لإرجاعه عن عزمه ، فأبى ، فلجأ إلى حيلة ينتزعها بها من المدرسة ، فاتفق مع الناظر على أن ينتهز الفرصة في خروج ابنه إلى الفسحة وقت الظهر ، فاختطفه وعاد به قسرا إلى بلده ، وحبسه في البيت عشرة أيام ، وأخذت أمه تبكي وتستعطفه ليرجع عن عزمه ، كي يبقى بينهم ولا يفارقهم ، فوعدها بالبقاء ، ولكنه أسر في نفسه أن يغتم أقرب فرصة لفراق أهله وذويه ، والرحيل في طلب العلم ، وانتظر حتى اطمأنوا إلى عدوله عن فكرته ، ولما كانت إحدى الليالي ربص حتى ناموا جميعاً ، وأخذ دواته وأدواته ، وخرج من البيت خائفاً يترقب ، وتوجه لتقاء ميت العز ، وكان ذلك - كما يقول المترجم - آخر عهده بسكناه بين أبويه . وكانت ليلة مقمرة ، فمضى حتى بلغ ميت العز ضحى الغد ، ولم يشعر الناظر إلا وهو داخل المكتب مع زملائه التلاميذ ، وكأما خشى أن يجيء أبوه ويحتمل عليه لاختطافه ثانية ، فلزم المكتب ، لا يخرج منه ليلا ولا نهاراً ، وجاء أبوه غير مرة ليقتنه

(١) بمركز هيا الآن : قبلى أنى كبير بشرق

بالعدول عن عزمه ، وأأخذه بالحسنى ، فلم ينجح في مسعاه ، واستمر الغلام ملازماً  
المكتب . مكباً على الدرس والتحصيل

انتقاله إلى مدرسة ( قصر العيني )

بقى المترجم في مكتب ميت العز إلى أن جاء ناظر مدرسة الخانكة ( عصمت افندى )  
لاختيار نجباء التلاميذ من المكتب المذكور ليلتحقوا بمدرسة قصر العيني ، فكان التلميذ  
على مبارك ممن وقع عليهم الاختيار ، فجاء أبوه يحاول من جديد صرفه عن الذهاب إلى  
المدرسة ، وشكا أمره إلى عصمت افندى ، فأحاله على ابنه ، وقال إن الخيار له ، فغيروه  
بين العودة مع أبيه أو الالتحاق بالمدارس ، فاختر المدارس ، فبكى والده بكاء كثيراً ،  
وأغرى به جماعة من المعلمين ليستميلوه ، فلم يصغ لهم ، ودخل مدرسة قصر العيني سنة  
١٨٣٦ ، وكان لا يتجاوز يومئذ الثانية عشرة من عمره

وهنا تبدو ظاهرة جديدة في شخصية المترجم ، إلى جانب ما ذكرناه عن عزة نفسه ،  
وظموحه إلى المعالي ، وهى ميله الفطرى إلى العلم ، وشغفه بالارتواء من منهل العذب ، وما  
فطر عليه من قوة الإرادة ، ومضاء العزيمة

فانظر إلى مبلغ حبه للعلم ، والتعلم ، تجده يسعى جهده للالتحاق بالمدارس ، رغم  
إرادة والديه ، وليس من المؤلفين بين الأطفال والشبان أن يقبلوا على العلم بوازع من  
أنفسهم ، بل آباؤهم هم الذين يدفعونهم إلى دخول المدارس ويرغبونهم بمختلف الوسائل  
في متابعة الدرس ، وكثيراً ما يتعب الآباء في إيلاف أبنائهم المدرسة والإقبال عليها

فالغلام الذى يتعلق بدخول المدارس رغم إرادة أبويه ، ويستهدف لغضبهما فى هذا  
السبيل ، لا بد أن يكون قد رسخ فى نفسه شغف شديد بالعلم والتعلم

وتتجلى أيضاً قوة عزيمة المترجم ، فى إصراره على دخول المدارس ، رغم تلك العقبات  
التي اعترضته ، فمن إعضاب والديه ، إلى بُعد الشقة ، ووعورة الطريق ، إلى قلة ذات يده ،  
إلى صغر سنه ، إلى المغامرة بنفسه فى حياة يجهلها ولا يعرف مصيرها ، كل ذلك يدل على  
حظ عظيم من صدق العزيمة وقوة الإرادة

فعزة النفس ، والطموح إلى المعالي ، وحب العلم ، وقوة الإرادة ، هذه هي الصفات التي تظالعتها شخصياً على مبارك وهو بعد في سن الطفولة والمراهقة وسنرى كيف لازمته هذه الصفات في كل أدوار حياته ، فكان لها ذلك الأثر العظيم في أعماله

### التعليم في مدرسة قصر العيني

لم تكن مدرسة الطب قد نُقلت بعدُ إلى قصر العيني ، حينما جاء مصر على مبارك ، بل كانت لم تزل بأبي زعبل ، أما المدرسة التي كانت بقصر العيني وقتئذ ( سنة ١٨٣٦ ) فهي مدرسة إعدادية للمدارس الحربية والعالية

وصف المترجم التعليم في تلك المدرسة ، ويؤخذ من وصفه انه لم يكن على درجة حسنة من التقدم ، لا من جهة مستوى التعليم في ذاته ، ولا من جهة معاملة التلاميذ ، فقد ذكر أنه وجد المدارس على خلاف ما كان يظن ، وأن مدرسيها ورؤساءها كانوا لا يحسنون فهم وظائفهم ، ولا يعنون بالتلاميذ ، وكان التعليم العسكري موضع العناية فيها ، فيتمرن الطلبة على الحركات الحربية في معظم الأوقات ، في الصباح ، والظهر ، وبعد الأكل ، وفي أماكن النوم ، وكان الضرب وأنواع الإيذاء من الأمور المألوفة في التعليم ، وكذلك فلة العناية بما كل التلاميذ ومسكنهم ، فكانت مفروشاتهم حصر الحلفاء ، وأحرمة الصوف الغليظ من صنع معمل بولاق ، ولم يكن الأكل الجارى للتلاميذ سائغاً ، فاستعاض عنه على مبارك بالخبز والزيتون

وقد اعتراه في المدرسة مرض ، لما اجتمع عليه من الأفكار والهموم وتغيير الطقس ، فنقل إلى مستشفى المدرسة ، ولقى في مرضه الشدائد والآلام ، ولحقه الجوع بالمستشفى ، وفيما كان على فراش المرض ، جاء أبوه إلى قصر العيني ، واتصل به بواسطة أحد الممرضين ، ورغب إليه أن يعود معه إلى بلده ، فالت نفسه لإجابته ، وهمّ بترك المدارس ، لما لقيه فيها من التعب والنصب ، ولعدم وجدانه التعليم الذي ينشده ، ولسكنه خشى عواقب الحرب من المدرسة ، إذ كانت الحكومة تتعقب الهاربين من التلاميذ ، وتعتقل أهليهم ، وتسيء معاملتهم ، فخشى أن ينال أباه من عنز الحكومة ما لا يرضاه له ، فامتنع



عن الحرب ، فعاود أبوه الكرة يستميله ويوّن عليه الأمر ، فأبى واعتزم ، الصبر على قضاء الله ، ولما شفى انتقل من المستشفى الى المدرسة ، واستأنف الدرس ولم يصب بمرض بعد ذلك أثناء دراسته

### انتقاله الى مدرسة أبي زعبل

لما نقلت مدرسة الطب الى قصر العينى سنة ١٨٣٧ تحول تلاميذ القصر الى أبي زعبل فانتقل اليها المترجم كسائر تلاميذ المدرسة

وقد شعر بتقدم مستوى التعليم فى مدرسة أبي زعبل ، وينسب المترجم هذا التقدم إلى كفاءة ناظر المدرسة ، وهو المرحوم ابراهيم بك رافت ، وحسن عنايته بتعليم النشء ، وبما ذكره فى هذا الصدد ، أنه كان فى بداءة عهده يجد صعوبة كبيرة فى تفهم فنون الهندسة والحساب والنحو ، ويراها كالظلام ، وكلام المدرسين فيها كالسحر ، ولسكن ابراهيم بك رافت أوضح للتلاميذ معانى الهندسة وقواعدها بأسلوب تقبله عقولهم ، فانفتح لحسن بيانه ذهن المترجم ، وبدأ يعى ما يسمع من الدروس

ولفت نجاح التلميذ على مبارك نظر رافت بك ، فصار يضرب به المثل ، ويجعل نجاحه على يديه دليلا على تأثير أسلوب المدرس فى تثقيف أذهان التلاميذ وفى سنة ١٨٣٩ اختار ولاية الامور نجباء مدرسة أبي زعبل لإلحاقهم بمدرسة المهندسخانة بيولاقي ، فكان على مبارك ضمن هؤلاء

### دخوله مدرسة المهندسخانة

دخل مدرسة المهندسخانة ، وكان حينئذ يافعا ، إذ بلغ السادسة عشرة من عمره ، فأخذ نضوجه العلمى يزداد وينمو ، ومسكت خمس سنوات يتابع الدرس ، حتى استكمل جميع علوم المدرسة ، وظهرت عليه مخايل الذكاء والتقدم منذ دخلها ، فكان دائما أول فرقة ، وأساتذته فيها طائفة من علماء الرياضيات ، ممن علا ذكرهم فى فجر النهضة العلمية . أمثال : محمود باشا الفلسكى . وطائل افندى . ومحمود بك أبو سن . ودقوله افندى . و ابراهيم بك رمضان . واحمد بك فايد . وسلامه باشا ابراهيم . وناظر المدرسة المسيو لامبير بك

أحد علماء الفرنسيين . ولهؤلاء الأساتذة فضل كبير على المترجم ، إذ تلقى على أيديهم العلوم الهندسية والرياضية ، ولم تسكن ثمة كتب مؤلفة في الفنون التي تولوا تدريسها ، بل كان المعلمون يملون ، والتلاميذ يكتبون ما يسمعونه في كراريس . كل قدر اجتهاده ، وكان المعلمون كما شهده لهم بذلك المترجم ، يبذلون غاية جهدهم في التعليم ، وفي آخر عهده بمدرسة المهندسخانة أخذوا يطبعون الكتب في مطبعة الحجر ، فاستعان بها التلاميذ ، الى أن تساءل طبع الكتب المطولة في العلوم والفنون الرياضية

### انتظامه في سلك البعثات سنة ١٨٤٤

تعددت البعثات العلمية المدرسية في عهد محمد علي باشا ، وقد تكلمنا عنها تفصيلاً في كتاب « عصر محمد علي » ، ( ص ٤٥١ طبعة اولى )

وتخرج من البعثات طائفة من النوابغ في عصر محمد علي ، واسماعيل ، ومن حسن توفيق المترجم وحسن استعداده أن انتظم في سلك البعثة الخامسة ، وهي أكبر البعثات شأناً ، وفيها بعض أنجال محمد علي وأحفاده ، ولذلك يسميها علي باشا مبارك ( بعثة الأنجال )

تولى القائد سليمان باشا الفرنسي اختيار أعضاء هذه البعثة من نوابغ طلبة المدارس العالية ، فكان التلميذ علي مبارك ضمن من اختيروا لها من متقدمي مدرسة المهندسخانة ، وبلغ عددهم في مبدئها ٧٠ تلميذاً ، منهم الأمير عبد الحلیم ، والأمير حسين من أنجال محمد علي ، والأمير أحمد رفعت ، والأمير اسماعيل ( الخديو ) من أنجال ابراهيم باشا ، وضمت طائفة من شغلوا المراكز الكبيرة في الحكومة بعد عودتهم ، أمثال شريف باشا ، وعلي باشا مبارك ، وعلي ابراهيم باشا ، وحمام عبد العاطي باشا ، وسليمان نجاتي بك وغيرهم (١)

وقد بدا من المترجم لمناسبة التحاقه بهذه البعثة ، ما فطر عليه من الميل الشديد إلى

---

(١) ذكرنا أسماءهم وترجمنا لنوابغهم في كتاب « عصر محمد علي » ، ص ٤٦٥ وما بعدها

العلم ، فان المسيو لامبير بك ناظر مدرسة المهندسخانة رغب اليه البقاء ليجعله مدرساً بها ، وأفهمه أن بقاءه يجعل بترتيب وظيفة له ، على حين أن التحاقه بالبعثة يجعله باقياً في سلك التلاميذ ، ويفوت عليه تلك المزية ، لسكنه أثر الالتحاق بالبعثة ، ليزداد اكتساباً للعلوم ، ولأن سفره مع الأنجال يزيد شرفاً ورفعة ،

سافرت البعثة الى فرنسا سنة ١٨٤٤ ، ووجهتها تعلم الفنون الحربية ، وأقام أعضاؤها سنتين بباريس ، ولأجلهم أنشئت بها المدرسة المصرية لتعليم الطلبة اللغة الفرنسية ، وإعدادهم لدخول المدارس العليا بفرنسا ، وخصص لهم بها المعلمون والضباط الفرنسيون ، وكان تلاميذ البعثة يتعلمون التعليمات العسكرية كل يوم ، ولقى المترجم في دراسة اللغة الفرنسية مصاعب جمة ، ذلها بقوة العزيمة ، فقد كان الى عهد انتظامه في البعثة غير عارف بتلك اللغة ، شأنه في ذلك كشأن العلامة رفاة بك رافع الطهطاوى حينما انتظم في البعثة الاولى ، واقتضى نظام التعليم في البعثة أن يجعل من المتقدمين في الرياضيات ( ومنهم المترجم ) والعارفين باللغة الفرنسية فرقة واحدة ، وكلف المعلمون أن يلقوا الدروس بالفرنسية للجميع ، لافرق بين من يفهم تلك اللغة ومن لا يفهمها ، ففعلوا ، وأحالوا غير العارفين بها على العارفين ليتعلموا منهم بعد انتهاء الدروس ، ولكن العارفين بالفرنسية كانوا يبخلون على مثل على مبارك بالتعليم ، لينفردوا بالتقدم

فكث المترجم مدة لا يفهم الدروس التي يسمعا ، وخشى العاقبة ، فعالج هذه الصعوبة بالصبر والمثابرة ، وقوة العزيمة ، ذلك أنه أخذ يدرس الفرنسية بنفسه ، واشترى لهذا الغرض السكتب الأولية في الهجاء واللغة ، وأكب على مطالعتها وتفهمها وحفظها ، وبذل في هذا السبيل جهداً لا ينقطع ثلاثة أشهر متوالية ، مع متابعة الدروس التي تلقى بالفرنسية ، فأثمر الحفظ والجهد ثمرة كبيرة ، وصار أول البعثة كلها ، وكان يتبادل الأولية مع زميله على ابراهيم وحماد عبد العاطي

ولما جاء ابراهيم باشا قائد الجيوش المصرية المظفرة الى باريس ، أقيم له احتفال حافل ، وحضر امتحان أعضاء البعثة ، فسمع ثناء مستطاباً على حسن اجتهادهم ، ووزع الجوائز بنفسه على الناجحين منهم ، وناول على مبارك الجائزة الثانية بيده ، وكانت نسخة من كتاب في الجغرافية ، لمؤلفه المسيو مالطربون ، مع مجموعة خرائطه ، ودعا الطلبة

الى تناول الطعام على مائدته ، فكان ذلك تسكريماً لهم وتشجيعاً ، وحثا لهم على متابعة  
الدرس والتحصيل

يتجلى لك في هذه الصفحة من حياة المترجم بباريس ، مبلغ قوة ارادته ، ومثابرتة  
على الدرس والتعلم ، وثمة ظاهرة أخرى ، تزين هذه الصفحة ، وهى بره بوالديه ، وحنوه  
عليها ، فقد أجرت عليه الحكومة مرتباً شهرياً قيمته خمسون ومائتا قرش ، لجعل نصفها  
لأهله ، يصرف لهم من مصر كل شهر ، ويكتفى هو بالنصف الآخر ، وكانت هذه سنته  
معهم منذ دخل المدارس

وهذا البرّ بالأبوين يدل على ما تجملت به نفس على مبارك من الوفاء ، ومكارم  
الأخلاق ، وإنكار الذات ، ولاشك أن هذه المزايا بما يزين شخصية المترجم ويزيدها  
سطوعاً وبهاء

#### التحاقه بمدرسة متز الحربية

ولما انقضى عامان على إقامة البعثة بباريس ألحق الثلاثة الأول من أعضائها ، وهم  
على مبارك ، وحماد عبد العاطى ، وعلى ابراهيم ، بمدرسة المدفعية والهندسة الحربية الشبيرة  
بمتز Metz ، ونالوا رتبة الملازم الثانى فى الجيش الفرنسى ، فأقاموا سنتين آخرين يتعلمون  
الفنون الحربية

وبعد أن أدوا الامتحان النهائى ألحقوا بالجيش الفرنسى ، فكان على مبارك فى  
الآلاى الثالث من فرقة المهندسين الحربية ، وقضى به أقل من سنة ، وبديهي انه اكتسب  
بانتظامه فى هذه الفرقة خبرة كبيرة ، فى الفنون الحربية والهندسية ، فزادت معارفه التى  
نالها فى مدرسة المهندسخانة بيولاى ، ومدرسة بباريس ، ومدرسة متز الحربية والهندسية ،  
فلاغرو أن صار من نوابغ المهندسين المصريين ، وظهر نبوغه فى إدارته ومصاحبة السكك  
الحديدية ، وولايته وزارة الأشغال فى عصر اسماعيل

وكان ابراهيم باشا يرغب فى أن يزداد أعضاء البعثة خبرة وعلماً ، وأن يطينوا مكثهم فى  
الخدمة العسكرية بفرنسا ، حتى يستوفوا تجاربها ، ثم ينتقلون فى الديار الأوروبية الأخرى  
ليطبقوا العلم على العمل ، ويشاهدوا ما فيها من المنشآت الهندسية والحربية ، ولكن

المنية حالت دون إنفاذ هذا البرنامج ، إذ توفي إبراهيم وخلفه عباس الأول ، فطلب الى نوابغ البعثة العودة فوراً الى مصر ، فرجعوا اليها سنة ١٨٥٠ ، وانتقل المترجم بذلك من حياة التحصيل والدراسة ، الى دور العمل والإنتاج

### عمل المترجم في عهد عباس

عاد المترجم كامل النضوج ، واسع الاطلاع ، صادق العزم ، مقبلاً على العمل بكل ما فيه من نشاط وهمة ، ولو وجد من ولاية الأمور من يستثمر مواهبه وكفاءته في النهوض باعمال التقدم والعمران ، لظهرت نتائج هذه المواهب حين عودته الى مصر ، ولكنه لم يجد من يقدر قيمته ، ويستثمر كفاءته ، فانقضت نحو أربعة عشر عاماً ، والبلاد تكاد تحرم من أعماله المنتجة ، وخاصة في عهد سعيد الذي كان يبغضه حقاً ، ولا يعرف قدره ولم يبدأ عهد إنتاجه الكبير إلا في عصر اسماعيل الذي عرف كيف يوجه هذه القوة الى إحياء النهضة العلمية في البلاد

### تعيينه مدرساً بمدرسة طره الحربية

كان أول مركز شغله على مبارك بعد عودته لمصر أن عين مدرساً بمدرسة طره الحربية ، ولكن التعليم في عهد عباس باشا الأول كان مصاباً بالجمود والإهمال ، فتناقص عدد التلاميذ في هذه المدرسة ، وخاصة حينما أنشأ عباس مدرسة المفروزة ، واختار لها الطلبة من جميع المدارس ، بعد إلغاء معظمها ، فلم يبق بمدرسة طره الا عدد قليل من الطلبة المتقدمين في السن ، وأمعنّت المدرسة في التأخر حتى لم يبق في الفرقة التي يلقى فيها على مبارك دروسه سوى تلميذ واحد

صار المترجم إذن بلا عمل ، وليس هذا بما تميل اليه نفسه ، لانه اعتاد الجدّ والدأب على العمل ، ولقد حدثته نفسه ان يتخلف عن المدرسة في اجازة ليزور أهله بعد غيبته الطويلة عنهم ، فرغب اليه ناظر المدرسة في البقاء حتى لا يقطع نصف راتبه اذا هو غاب عنها

### مصاحبته سليمان باشا الفرنساوى

وسعى له الناظر عند الجنرال سليمان باشا الفرنساوى القائد العام للجيش المصري ،

ليصطحبه في مهمة حربية وهي اكتشاف بحيرة المنزلة وسواحل مصر الشمالية ، فتم له ما أراد ، وصحب المترجم سليمان باشا الى دمياط ، وأدى ما كان مطلوباً منه ، وهو ارتياد بحيرة المنزلة ، وخطط رسماً مفصلاً لمواقعها ، وكتب تقريراً عنها ثم ذهب الى بلدته ربنال ، وكان أهله قد رجعوا اليها منذ مدة واستقروا بها

### زيارته لأهله

فدخل البلدة ليلاً على حين غفلة من أهلها ، وذهب من فوره الى منزل أبويه ، وطرق الباب ، وكان أبوه غائباً بمصر ، ولم يكن بالدار سوى والدته وبعض إخوته ، وكان قد فارق أمه منذ أربع عشر سنة ، ولم تكن تتوقع حضوره تلك الليلة ، فلما طرق الباب ، قيل من أنت؟ فقال : ابنكم علي مبارك ، فقامت مدهوشة ، وقصدت الى ما وراء الباب ، وجعات تنظر وتمعن النظر ، لتتحقق الخبر ، وكان هو بردائه العسكري ، متقلداً سيفه وحاملاً شعار الضباط ، فلم تصدق انه هو ، حتى أعادت سؤاله وتحققت انه هو ، ففتحت الباب ، وما أن رأته حتى ارتمت عليه تعانقه ، ووقعت مغشياً عليهما من الدهشة والفرح والتأثر ، ثم أفاقت ، وجعلت تبكي ، وتضحك ، وترغد ، فأقبل أهل البيت ، وجاء الأقارب والجيران يهرعون ، وامتلات بهم الدار ، وانقضى الليل حتى الصباح ، والناس بين راح وغاند ، يحيون لتهنئته ، وأقامت أمه الأفراح ابتهاجاً بعودة ابنها العزيز ، وبلوغه هذه الرتبة العالية ، وبعد يومين قضاهما بين أهله وعشيرته ، عاد الى دمياط ، وعرض على القائد سليمان باشا الفرنساوى نتيجة تجواله في بحيرة المنزلة ، فوقعت عنده موقع الاستحسان ، وأثنى عليه الثناء المستطاب

### التحاقه بمعية عباس باشا

وفي أثناء صحبته سليمان باشا الفرنساوى سعى له في منصب آخر بدلاً من التدريس في مدرسة طره ، فنجح في إلحاقه بمعية جاليس بك قومندان الاستحكامات ، وكان مقره الاسكندرية

فذهب اليها المترجم ليتسلم منصبه الجديد ، ولكن عباس باشا قرر أن يلحقه بمعيته هو وحماد بك ، وعلى بك ابراهيم ، وكلفهم امتحان مهندسى الأقاليم ومعلمي المدارس ، وأنعم عليهم برتبة الصاغ ، فأدى المترجم هذه المهمة ، واستبدل بالمهندسين القدامى مهندسين

اكفاء من خريجي مدرسة المهندسخانة ، وأتم في خلال ذلك مهمات أخرى هندسية ،  
لذا أحيل عليه الكشف على شلال اسوان لدرس مشروع تسهيل الملاحة فيه ، فقدم تقريراً  
وافياً بهذا المشروع

ولما عاد الى القاهرة عهد اليه عباس بالاشتراك مع المسيو موجيل بك Mougey كبير  
مهندسى القناطر الخيرية وضع نظام لمرور السفن من القناطر التي كان بناؤها قد قارب  
التمام ، فأدى هذه المهمة ، وأحيلت عليه وعلى زميله على ابراهيم وحماد عبدالعاطى كل  
الاعمال الهندسية التي تطلبها دواوين الحكومة

### مشروع تنظيم المدارس

وشرع عباس فى وضع نظام جديد للمدارس ، بعد أن الغى معظمها ، فى أواخر  
سنة ١٨٥١ عرض عليه المسيو لامبير بك ناظر مدرسة المهندسخانة ميزانية للمدارس  
الملكية والرصدخانة تبلغ ٢٠.٠٠٠ كيس ( ١٠٠.٠٠٠ جنيه ) ، فاستكثر عباس هذا  
المبلغ ، وأحال المشروع على المترجم ، فوضع للمدارس الملكية ميزانية تبلغ خمسة  
آلاف جنيه ، على أن تكون فى مكان واحد ، وإدارة ناظر واحد ، واستبعد الرصدخانة  
من المشروع ، لعدم وجود من يقوم عليها حق القيام وللكثرة نفقاتها

### نظارته لمدرسة المهندسخانة

ولما عرض المشروع على عباس حاز إعجاباه ، وأحاله على مجلس مؤلف من رؤساء  
الدواوين ، فبحثوه وأقروه ، وأنعم على المترجم لهذه المناسبة برتبة اميرالاي ، وعهداليه  
بتنفيذه ، وجعله ناظراً لمدرسة المهندسخانة وما يلحق بها من المدارس الملكية ، وكلفه  
اختيار مدرسى مدرسة المفروزة ، ووضع نظام للتعليم فيها ، واختيار ما يلزم لها من  
الكتب ، فاضطلع بهذه المهمة ، وعظمت منزلته عند عباس باشا  
وبذل جهداً عظيماً فى ترقية شأن المدارس التي تولى إدارتها ، فكان يرشد المعلمين  
الى خير الطرق للتدريس ، ويتفقد فصول الدراسة وأحوالها ، ويقوم بتأليف الكتب  
المدرسية بنفسه ، يعاونه بعض المعلمين ، وأنشأ مطبعة حروف ومطبعة حجر طبع فيها  
للمدارس الحربية والآيات الجيش نحو ستين ألف نسخة ، من كتب متنوعة ، غير ما طبع

في كل فن بمطبعة الحجر للمهندسخانة ، من السكتب ذات الاطالس والرسوم ، وكان فوق ذلك يلقي بعض الدروس ، كالطبيعة والعمارة ، ويعنى شديد العناية بتوفير حاجات الطلبة في ما كلهم ، ومشربهم ، وملبسهم ، ويسهر على حسن معاملتهم ، فارتقت حالتهم الفكرية والمعنوية ، وكاد يمتنع الضرب والسجن من المدارس

في عهد سعيد باشا

اشتراكه في حرب القرم

يؤخذ مما كتبه المترجم عن نفسه أنه لم يكن مسرّضياً عنه من سعيد باشا ، فقد ذكر عنه أنه لما تولى الحكم وشي له بعض الكاشحين بمدرسة المهندسخانة ووصفوها بما ليس له نصيب من الصحة ، واختلقوا عليها معاييب كثيرة ، حتى أوغروا صدر سعيد على المترجم فأمره بالاشتراك في حرب القرم سنة ١٨٥٤ ، صحبة الحملة المصرية التي كان يقودها احمد باشا المنكلي

وليس من ضير على الحكومة اذا عهدت إلى مثل علي بك مبارك أن يشترك في حرب القرم ، فقد نال حظاً كبيراً من التعليم الحربي ، وتخرج في أرقى المدارس الحربية الفرنسية ، ولكن ملاسبات هذا العمل تدل على أن الغرض منه لم يكن الاستفادة من خبرة المترجم ، إذ لم يعهد اليه في حرب القرم بعمل حربي ذي شأن ، تحرم من أجله مدرسة المهندسخانة كفاءة ناظرها القدير ، ومن جهة أخرى فقد اقترن تكليفه مرافقة الحملة بإلغاء مدرسة المهندسخانة ، فالغرض الحقيقي كان إذن ابعاد المترجم ، وإقفال هذا المعهد العلمي العظيم الذي أخذ على عاتقه ترقيته وإنهاضه ، فالعمل كما ترى ضرره أكثر من نفعه ، وشره أكثر من خيره ، ولكن أهواء سعيد باشا ( وقد كان دائماً كثير التقلب في الآراء ) جعلته يصغي لوشاية الدساسين ، ويوصد أبواب تلك المدرسة ، ثم يحرم البلاد خدمات علي بك مبارك العلمية ، ذلك أن علي مبارك ، وإن كانت دراسته العليا عسكرية ، لكن نفسه اتجهت الى ناحية أخرى غير الحياة الحربية ، وهي ناحية التعليم وتنظيمه والنهوض بأعبائه ، فكان واجباً على سعيد باشا أن يستخدم مواهب المترجم في هذا الميدان ، وأن يعمل على الأقل للحفاظ على نهضة العلم والتعليم التي ازدهرت في عهد أبيه ، ولكن المعروف



أن هذه النهضة قد اضمحلت وتراجعت في عهد عباس وسعيد ، ولم يعاودها النشاط والحياة الا في عصر اسماعيل

ويستفاد مما ذكره المترجم انه شعر بأن تسكليفه مهمة السفر الى بلاد القرم كان مقصوداً به إبعاده ، والنكابة به ، وهذا مفهوم من قوله : « أقمت بهذه السفرة قريباً من سنتين ونصفاً ، وقد لطف الله بي وأحسن اليّ ، ورد كيد الحاسدين في نحورهم ، فاني وإن قاسيت فيها مشاق الأسفار ، وما يلحق المجاهدين من الإرجاف والاضطرابات ، والحرمان من المألوفات ، لسكني رأيت بلاداً وعوائد كنت أجهلها ، وعرفت أناساً كنت لأعرفهم ، واكتسبت فيها معرفة اللغة التركية ، فيؤخذ من ذلك ان ثمة حاسدين كانوا يكيدون له ، ومن مكايدهم أنهم دبروا أمر إبعاده الى بلاد القرم ، وإرساله الى ميادين الحروب المخوفة بالمكاره والأخطار ، ولسكن الله لطف به إذ رد كيدهم ، وعاد من الحرب سالماً وقد نال مزايا جمّة

والواقع أنه أفاد كثيراً من هذه الحملة ، فان الاشتراك في الحروب من شأنه أن يقوى في النفس روح الشجاعة والإقدام ، ولو اشترك المترجم في اقتحام المخاطر ، والبقاء في خط النار ، لسكان أثر هذه الحملة في نفسه أقوى وأعظم ، ولزاد حظه من الشجاعة والجرأة ، ولو قف من الحكومات المتعاقبة التي تولت الحكم في مصر مواقف أعظم شأناً من خطه اللين والمسالم التي اختطها لنفسه ، ومهما يكن من الأمر ، فلا نزاع في أن مداركه قد اتسعت وخبرته قد اكتملت في تلك الحرب

أقام المترجم عشرة أشهر في بلاد القرم ، وكان يعهد اليه أمر المفاوضات والمخابرات بين الروس والترك ، وأقام ثمانية أشهر أخرى في بلاد الأناضول ، أغلبها في مدينة (كوشخانة) ، وكان منوطاً به تسهيل نقل الجنود من مدينة طرابزون الواقعة على البحر الأسود ، الى مدينة أرض روم بأرمينيا ، وعلى أن هذه المهمة ليست من ضروب القتال الفعلية ، فقد لاقى فيها الشدائد والأهوال ، لشدة البرد ، وكثرة الثلج في تلك الجهات ووعورة طرقها ، وصعوبة اجتياز ما فيها من العقبات ، بين جبال شاهقة وأودية سحيقة وقد مرض كثير من الجنود لما أصابهم من البرد القارس ، وأنشأ لهم المترجم

مستشفى بكموشخانه ، نظمه تنظيمًا حسنًا ، ونال ثناء أعيان المدينة وأكبرها ورؤساء الجيش

### عودته الى مصر والوظائف التي تولاها

ولما عاد المترجم الى مصر اعترضته في الحياة عقبات ومتاعب جمّة ، ذلك أن سعيد باشا أمر باخلاء سبيل الجنود وإرجاعهم الى بلادهم ، ورفعت كثيرًا من ضباط الحملة ، ومنهم على بك مبارك ، فسكن في بيت صغير ، وعانى غصاصة العسر والضيق ، وصارت حالته بعد سبع سنوات من عودته من فرنسا ، كحالاته عند ما عاد منها ، وفقد ما كان يناله ويؤمله من المناصب ، وفقد ماله ، وشعر بمرارة اليأس تنغص عليه حياته ، ودخله الهم والكد ، وحدثته نفسه أن يرغب عن خدمة الحكومة والتطلع لمناصبها ، إذ لم يجد من ولاة الأمور إنصافًا ولا تقديرًا ، واعتزم الرجوع الى بلده والاشتغال بالزراعة وقال لنفسه : « عوضنا الله خيرًا في نتائج الفكر وثمرات المعارف ، ولنفرض أننا ما فارقنا البلد ، ولا خرجنا منها ،

وبينما كان يتأهب للرجوع الى بلده صدر الأمر للضباط المرفوتين بالحضور إلى القلعة ، فكان هو بمن أعيدوا للخدمة ، فعدل عن عزمه الأول

وبعد قليل عين معاونًا بوزارة الحربية ، وأحيل عليه النظر في التحقيقات الخاصة بالمصانع الحربية والجبخانات (مخازن البارود) ، ولم يكن هذا العمل مما تألفه نفسه ، لتفاهته وعقمه ، ولكنه راض نفسه على الصبر ، عسى الله أن يأتي بالفرج القريب ، وحدث أثناء قيامه بهذه الوظيفة أن شرع وزير الحربية وقتئذ (اسماعيل باشا الفريق) في وضع رسم لبعض المناورات الحربية ، فعجز عن عمله ، ودار في إتمامه ، فاستدعى على بك مبارك لما كان يعهده فيه من الكفاءة والخبرة ، فوضع الرسم المطلوب ، فأثنى عليه الفريق ، ووعدته بأن يذكره بالخير عند سعيد باشا

وقد وفي اسماعيل باشا بما وعد ، وكان من نتيجة مسعاه أن أمر سعيد باشا بإلحاق المترجم بمستودعي الداخلية ، وكان يحال عليه النظر في بعض القضايا ، ثم عهدت اليه وكالة المحكمة التجارية ، فاضطلع بعبئها بأمانة ونزاهة ، ولكن سلفه فيها وشى به لدى

سعيد باشا ، فرفت منها ، وعاد كما بدا ، عاطلا من المنصب ، واعتكف في بيته ثلاثة أشهر ، ثم عين مفتشاً لهندسه نصف الوجه القبلي ، ثم استدعاه سعيد باشا ، وعهد إليه بوضع مشروع استحكامات الحماد ، وهو مشروع جليل الشأن ، كان الغرض منه تحصين موقع الحماد (جنوبي رشيد) ، بين فرع رشيد وبحيرة أدكو ، لمنع العدو من مهاجمة القطر المصري من هذه الناحية ، فوضع المترجم الرسم المطلوب لهذه الاستحكامات وأدى المهمة على خير مايرام ، ولكنه عند ما أراد أن يعرض الرسم على سعيد باشا ، يستطيع تقديمه إليه ، وتردد عليه آنا في طره ، وآونة في قصر النيل ، فلم يتيسر له مقابلته ، واضطر للالزمة معيته في السفر من بلد الى بلد ، مدة ثلاثة أشهر ، بلا راتب ، ولا عمل ، دون أن يظفر بتقديم الرسم المطلوب ، الى أن رآه سعيد يوما في الجزيرة ، فذكر الرسم الذي كلفه به ، وسأله عنه ، فقدمه إليه ، فنظر فيه قليلا ولم يزد عز قوله : « أبقه حتى نجد وقتا لإمعان النظر فيه » ، وكانت هذه الاجابة نتيجة الانتظار مدة ثلاثة أشهر ، ثم لم يلتفت إليه بعد ذلك ، واسكنه أمر بربط مرتب للمترجم ، وبقي في معيته زمنا طويلا بلا عمل إلى أن أصدر سعيد أمره باختيار بعض المعلمين لتعليم الضباط وصف الضباط الخارجين من تحت السلاح القراءة والكتابة والحساب ، فتقدم على بك مبارك للقيام بهذه المهمة ، ليشغل نفسه بعمل ما ، مهيا كان ضئيلا ، لأن نفسه كانت تعاف الكسل والبطالة ، فصار يدرس لهم حروف الهجاء ، والخط والمبادئ الأولية في الرياضيات والقواعد الهندسية ، وعاونه في التدريس اثنان من المدرسين ، ووضع في ذلك كتابا مختصرا في الحساب والهندسة وطرق الاكتشافات العسكرية سماه (تقريب الهندسة)

وكان يشغل أوقات فراغه بالمطالعة وتدوين بعض الملاحظات على ما يقرؤه ، جمعها بعد ذلك في كتاب سماه (تذكرة المهندسين) ، يحتوي على فنون شتى مما يحتاج اليها المشتغلون بالهندسة ، ولما اعزم سعيد باشا السفر إلى أوروبا أمر برفق أغلب من كان بمعيته ، فكان المترجم ضمن المرفوتين ...

وأمر قبل ذلك ببيع مهيات مدرسة المهندسخانة وأدواتها وكتبها ضمن كثير من تعلقات الحكومة التي اعتبرت زائدة عن الحاجة ، فدهش المترجم ، إذ رأى هذه النفائس تباع بالمزاد بأبخس الأثمان ، وفي جملة الكتب التي طبعها أثناء نظارته لهذه المدرسة ، فدخل المزاد واشترى من هذه الأشياء ما أمكنه ابتياعه

ولما اشتد الضيق بالمرجم فسكّر في الاشتغال بالتجارة ، فاتجر فيما اشتراه ، وعامل  
التجار ، وكثر منه البيع والشراء ، فربح واستعان بالربح على الإنفاق وأداء بعض  
الحقوق ، واستمر يتجر مدة شهرين ، ثم فسكّر في التفرغ للتجارة والإعراض عن مناصب  
الحكومة . لما رآه من اضطراب الأحوال وتقلب الأمور ، مما كاد يفقده ثمرات العلوم ،  
وشعر بأنه كلما تقدم به العمر وكثر بنوه . نفذ ما جمعه من السكد والتعب ، فأثر  
الاحتراف بالتجارة وجال بخاطره أن يعقد وبعض زملائه المهندسين المتقاعدين شركة  
يجعل الغرض منها بناء البيوت للبيع والنجارة . فيربحون منها ويستثمرون فيها معارفهم  
الهندسية وخبرتهم الفنية . فلم يجد من يوافقه على مشروعه . فسكّر في القيام به بنفسه ،  
وفيما كان يسكّر في مخرج من الضيق الذي اشتد به طرق سعيد باشا طارق المنون في  
أوائل سنة ١٨٦٣ . فكان لوفاة أنر كبير في حياة المترجم . ذلك أن اسماعيل لم يسكد  
يعتلى العرش حتى فسكّر في استخدام مواهب زميله القديم في البعثة ، فانفتح باب الأمل  
والتوفيق أمام علي بك مبارك

### أعماله في عهد اسماعيل

لما تولى اسماعيل الحكم ألحق المترجم بمعينه ، ثم جعله ناظراً على القناطر الخيرية ،  
وكانت الى ذلك الحين لم تستخدم أبوابها الحديدية المعدة لإقفال عيونها ، والمانع من اقفالها  
ما قرره المهندسون من أن القناطر لا تتحمل ضغط المياه قبل تقويتها ، وترتب على ذلك  
أن معظم المياه تحولت الى فرع رشيد ، وحرم فرع دمياط مرور المياه فيه ، فلما عرض  
على المترجم ارتأى إقفال قناطر فرع رشيد ، لتغذية فرع دمياط ، فعمل الخديو برأيه  
وأمر بإقفالها . فأنحدرت المياه الى فرع دمياط ، ونالت البلاد التي تروى منه منافع الري  
وخيراته ، وأما الخلل الذي كان متوقعا حصوله في بعض العيون بقناطر فرع رشيد فقد  
تلافاه المترجم ، إذ أقام حاجزاً من الخشب أحاط بالقناطر ، فنشأت خلفها جزيرة من  
الرمل حفظتها من ضغط المياه ، وهكذا تبين صواب الرأي الذي ارتآه علي بك مبارك  
ولما حفر رياح المنوفية <sup>(١)</sup> أحيل على المترجم إنشاء قناطره ومبانيه ، فأقامها على

(١) حفر رياح المنوفية لأول مرة في عهد سعيد باشا وأعيد حفره وتعقيمه في عهد اسماعيل

أحسن نظام ، وفي سنة ١٨٦٥ ندبته الحكومة المصرية عضواً عنها في اللجنة التي ألفت لتقدير الأراضي التي صارت حقا لشركة القناة طبقا لحكم الامبراطور نابليون الثالث ، فأدى هذه المهمة خير الأداء

### وكالة وزارة المعارف

وفي سنة ١٨٦٧ جعل وكيلاً لوزارة المعارف العمومية ( ديوان المدارس ) ، وكان يتولى هذه الوزارة شريف باشا الوزير المشهور ، فتقلد المترجم منصبه الجديد مع بقاء نظارة القناطر الخيرية في عهده ، ويبدأ من ذلك الحين عهد جديد للترجم ، إذ صار له بحكم منصبه النفوذ الكبير الذي يسمح له بإنفاد إصلاحاته في دائرة التعليم العام

كان من مزايا المترجم أنه يتقن كل عمل يتولاه ، ويبدل كل ما في وسعه ليقوم به على الوجه الأكمل ، فاتهز ندب الخديو اسماعيل إياه لرحلة مالية إلى باريس عقيب تعيينه وكيلاً لوزارة المعارف ، وأخذ يستكمل معلوماته عن حالة التعليم ونظام المدارس في فرنسا ، ليقتبس ما يراه صالحاً لمصر ، ومع أن رحلته هذه لم تتجاوز خمسة وأربعين يوماً بما فيها الذهاب والإياب . فقد اطلع على مناهج التعليم في المدارس الفرنسية ، والسكتب المقررة فيها ، ودرس أيضاً نظام المجارى العامة المبني تحت الأرض في باريس

### توليته وزارة المعارف والأشغال

وبعد عودته إلى مصر أنعم عليه الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٨ برتبة الميرميران ، فصار يعرف من ذلك العهد بعلی باشا مبارك ، وأسند إليه إدارة مصلحة السكك الحديدية ، ووزارة المعارف والأشغال ، وبعد قليل ضمت إليه نظارة ديوان الاوقاف ، فجمع بين هذه المناصب الرفيعة ، مع بقاءه ناظراً للقناطر الخيرية والتحافه بالمعية

### العصر الذهبي في حياة المترجم

وهنا يبدأ العصر الذهبي في حياة المترجم ، وهو العصر الذي حفل بالأعمال العظيمة ، التي خلدت اسمه في تاريخ مصر الحديث ، وخاصة في نهضتها العلمية

وأول ما يلفت النظر في هذا الدور من حياته ، كفاءته الممتازة في اضطلاع به بأعباء الوزارات المختلفة ، فقد كان في وقت واحد وزيرا للمعارف ، والأشغال ، والأوقاف ، ومديرا عاما للسكك الحديدية ، وناظرا للقناطر الخيرية ، وهي مهام جسام ، تنوء بالعصبة من الرجال ، ولكن على باشا مبارك قام بها جميعا ، وأظهر من الكفاءة وقوة الإرادة والجلد على العمل ما يدعو حقا للإعجاب ، وصدقت كلمته المتواضعة التي قالها في هذا الصدد عن نفسه : « فبذلت جهدي ، وشمرت عن ساعد جدي ، في مباشرة تلك المصالح فقامت بواجبها »

وهنا تنجلي ميزة كبيرة المترجم ، تظالعا بناحية من نواحي شخصيته ، وهي مقدرته على الاضطلاع بالمهام العظام ، فقد يكون لعلي باشا مبارك أنداد في العلم والذكاء بين زملائه الذين تولوا مختلف الوزارات والمناصب العالية ، ولكننا نعتقد أنه بذل أقرانه في الجمع بين مزايا متعددة ، وهي الكفاءة والجلد على العمل ، والإخلاص ، والنزاهة في أداء واجبه ، وإتقان الأعمال الكبيرة التي تعهد إليه ، على ما تقتضيه من جهود ومتاعب ، فالرأس الذي يسع وزارات المعارف ، والأشغال والأوقاف ، مع إدارة مصلحة متشعبة الأعمال كالسكك الحديدية ، والكفاءة التي تضطلع بكل هاتيك المصالح ، والهمة التي تصرف شؤونها المختلفة ، وتبتكر لها المشاريع الجملة ، كل ذلك لا يصدر إلا عن نبوغ فذ ، وهذا وحده يعطينا فكرة صادقة عن شخصية المترجم

وزع على باشا مبارك اوقاته بين هذه الوزارات المختلفة ، فخصص نصف النهار من الصباح إلى الظهر للمعارف والأشغال والأوقاف ، ومن بعد الظهر إلى الغروب لإدارة السكك الحديدية

### في وزارة المعارف

كانت معظم جهوده موجهة إلى ترقية شؤون التعليم في البلاد

نقله المدارس إلى درب الجماميز

وأول أعماله نقل المدارس من العباسية إلى درب الجماميز ، ذلك أنه رأى ما يتكبده

التلاميذ وأهلهم والاساتذة من المتاعب والمشاق والنفقات ، في ذهابهم الى العباسية ، وإيابهم منها ، فاستصدر من الخديو اسماعيل إذنا بنقل المدارس الى درب الجمايز ، وخصص لها سراى الأمير مصطفى فاضل ، فأصلحها على باشا مبارك وجعلها على استعداد لإيواء المدارس والمعاهد وخصص سلامك السراى لوزارة المعارف ، وجعل كل مدرسة فى ناحية من السراى ، فصارت أشبه ما تكون بالجامعة وجعل بها أيضا وزارة الاشغال ، وديوان الاوقاف ، فسهل عليه القيام باعباء الوزارات المختلفة

ومع اضطراره بأعباء هذه الوزارات ، كان لا ينفك يعنى يتفقد أحوال التلاميذ والمعلمين فى المدارس ، ويدخلها كل يوم ليشهد بنفسه سير التعليم فيها . وليطمئن على حسن نظامها وقيام المدرسين بواجباتهم

### لائحة التعليم وإنشاء المدارس الابتدائية

وقد وجه عنايته منذ تولى وكالة الوزارة الى إصلاح التعليم فى المكاتب ، وتحويل ما يمكن تحويله من السكتاتيب الى مدارس ابتدائية نظامية ، فوضع لذلك لائحته المشهورة بلائحة ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ التى نظمت المدارس ، ودعا طائفة من المشتغلين بالتعليم ليراجعوا المشروع ويبحثوه ، ويبدوا آراءهم فيه ، فدرسوا اللائحة وأقروها ، وصدر أمر الخديو بإجراء العمل بمقتضاها فى مايو سنة ١٨٦٨

وانشئ فى عهده كثير من المدارس الابتدائية النظامية فى القاهرة وعواصم المديرات وكان لاجتماع وزارة المعارف ونظارة ديوان الاوقاف فى يده أثر كبير فى نهضة التعليم ، لأنه بما له من سلطة النظر على الاوقاف الخيرية استطاع إعداد كثير من الامكنة الموقوفة لجعلها معاهد للتعليم بعد اصلاحها ، ولو لم تكن له هذه السلطة لبقيت هذه المباني معطلة لا ينتفع بها ، ولعجزت الحكومة عن النفقات التى يقتضيها إنشاء معاهد جديدة ، وكذلك أمكنه بما له من حق الإشراف على معاهد العلم الموقوفة ان ينظمها ويحولها الى مدارس نظامية ، فأحيا هذه المعاهد بعد ما درست فى أيدي نظار الوقف الخاملين ، وكذلك أحسن ادارة أموال الاوقاف الخيرية ، واستخدم جانبها منها فى الإنفاق على التعليم بعد ان كانت تبسدد وتضيع هباء

وجعل على أهالي التلاميذ المقتدرين مصروفات قليلة تؤخذ منهم برغبتهم على حسب اقتدارهم ، مع ترك الباقي مجانا ، واستوفى باقي نفقات المدارس من إيراد الأوقاف الخيرية الموقوفة على المكاتب وغيرها من وجوه الخيرات ، وخصص لها الخديو اسماعيل إيراد أطيان تفتيش الوادي بالشرقية ، كما منحها بعض الأملاك التي آلت إلى بيت المال من بعض التركات ، فكانت هذه الموارد هي التي ينفق منها على تلك المدارس عدا ما خصص لها في الميزانية السنوية والمصروفات الضئيلة التي يدفعها أهالي التلاميذ ذوى الاقتدار واليسار

### معلو المدارس

إن وضع نظام صالح للتعليم يقتضى توفير العدد الكافي من الأساتذة الأكفاء ، وقد حل على باشا مبارك هذه المعضلة بما أوتي من خبرة ، ونظر صادق ، وعزيمة ماضية ، فأنشأ « دار العلوم » كما سيجىء بيانه ، لتخريج أساتذة اللغة العربية ، واختار لتدريس بقية العلوم ، كالرياضيات والتاريخ والجغرافية واللغات الأجنبية نجباء التلاميذ المتقدمين ممن أتموا دروسهم فى المدارس العالية ، كالمهندسخانة ومدرسة المحاسبة ، ومدرسة الإدارة (الحقوق) ، بأن يجعلوا أولا معيدين لدروس المعلمين زمنا ، ثم يصيرون معلمين استقلالاً ، ولم تكن مدرسة المعلمين العليا قد أنشئت بعد

### دار العلوم

هى من أجل منشآت على باشا مبارك ، أسسها سنة ١٨٧٢ ، والغرض الأصلى منها تخريج أساتذة اللغة الغربية والآداب للمدارس الابتدائية ، ثم للمدارس كافة

ومرجع الفكرة فى تأسيسها ، انه لما أنشئت المدارس الابتدائية ، واتجه العزم الى الإكثار منها ، مسّت الحاجة إلى طائفة من الأساتذة لتدريس اللغة وآدابها فى المدارس الحديثة ، فارتأى المترجم إنشاء مدرسة عالية دعاها « دار العلوم » لتخريج أولئك الأساتذة ، واختار تلاميذها من طلبة الأزهر ، ممن حفظوا القرآن الشريف وتلقوا دروس اللغة والفقه ، واختيروا لهذه المدرسة بالامتحان ، واشتمل برنامج التعليم فيها



على العلوم التي لا تدرس في الأزهر ، كالحساب والهندسة والطبيعة والجغرافية والتاريخ والخط ، مع إتقان علوم الأزهر من لغة ونحو وتفسير وحديث وفقه واختار المترجم للتدريس في دار العلوم جماعة من جلة العلماء الاكفاء في العلوم الأزهرية والعلوم العصرية ، وجعل التعليم فيها مجانياً ، مع دفع مرتب شهري للتلاميذ وقد أثمرت المدرسة ، وتخرج منها أساتذة اللغة والآداب العربية للمدارس الابتدائية في القاهرة والأقاليم ، ثم للمدارس الثانوية والعالية ، ويعد إنشاء دار العلوم أعظم خدمة أسداها المترجم لإحياء اللغة العربية وآدابها في مصر

### دار الكتب

أسست سنة ١٨٧٠

أنشئت دار الكتب سنة ١٨٧٠ ، ولتأسيسها مقدمات ترجع إلى عهد محمد علي ، فقد أنشأ مستودعاً لبيع مطبوعات الحكومة في بيت المال القديم ، خلف المسجد الحسيني ، ولما ولي اسماعيل الحكم أضاف إليها نحو ألفي مجلد من المحفوظات العربية والفارسية ، ابتاعها من تركة حسن باشا المناسترلي ، ثم تطورت الفكرة إلى إنشاء دار عامة للكتب

ويستفاد مما ذكره علي باشا مبارك في الجزء التاسع من الخطة (ص ٥١) أن فكرة تأسيس دار الكتب ترجع إلى الخديو اسماعيل ، فإنه رغب في إنشاء مكتبة عامة تجمع الكتب المتفرقة في مخازن الحكومة ، ومكانب الأوقاف وفي المساجد ونحوها ، وأمر المترجم بالنظر في ذلك ، فحقق الفكرة ، وأنشأ دار الكتب في سراي درب الجمايز بجوار المدارس

ولكن يؤخذ مما جاء في الجزء الثالث من الخطة (ص ١٤) أن صاحب الفكرة في هذا المشروع الجليل هو علي باشا مبارك ذاته ، فقد قال في هذا الصدد :

«ثم ظهر لي أن أجمع كتب خانة خديوية ، داخل الديار المصرية ، أضاهي بها كتب خانة باريس ، فأستأذنت الخديوي اسماعيل باشا في ذلك ، فأذن لي ، فشرعت في بناء الكتب خانة الخديوية هناك أيضاً (بدرج الجمايز) ، وبعد فراغها جمعت فيها ما تشتمت من

من الكتب التي كانت بجهات الأوقاف ، زيادة على ماصار مشتراه من الكتب العربية والفرنجية وغيرها ، وجعلت لها ناظراً ورتبت لها خدمة ومعاونين ، وعملت لها قانوناً لضبطها ، وعدم ضياع كتبها ، فجاءت بعون الله من أنفع التجديدات التي حدثت في عهد الخديوي اسماعيل باشا ، وحصل بها النفع العام ، وللخاص والعام ،

وقد ابتاع اسماعيل باشا بمجموعة الكتب القيمة التي تركها أخوه الأمير مصطفى فاضل بعد وفاته ، وأهداها إلى دار الكتب

وأنفق على الدار من ميزانية المدارس ، وفتحت أبوابها لطلاب العلوم والمعارف ، وسهلت لهم الاطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات ما كان يمكنهم الوصول إليها لولا إنشاء هذه الدار ، فأدت ولا تزال تؤدي خدمات جليلة للنهضة العلمية والأدبية

### مجلة ( روضة المدارس )

ومن أجل منشآته العلمية إنشاء مجلة « روضة المدارس » ، على نفقة وزارة المعارف وياشرافها ، وسنتكلم عنها فيما يلي :

### مدرج المحاضرات ( الانفتياتر )

ورتب دروساً عامة أو محاضرات دوزية بالانفتياتر ( المدرج ) بسرأي درب الجمايز سنة ١٨٧١ ، فعهد إلى النابهين من أساتذة المدارس إلقاء هذه المحاضرات لتثقيف أذهان الطلبة

وكان يشجع هذه الحركة فيحضر المحاضرات بنفسه ، وحذا حذوه كبار الموظفين في مختلف الوزارات ، وخاصة وزارة المعارف ، وكان يحضرها أيضاً عدا طلبة المدارس العالية . فريق من طلبة الأزهر ، وهم الذين صاروا نواة دار العلوم التي أنشئت سنة ١٨٧٢ وتولى إلقاء المحاضرات طائفة من العلماء المشار اليهم بالبنان ، فكان الشيخ حسين المرصني يدرس الآداب العربية ، واسماعيل بك ( باشا ) مصطفى الفلiski ناظر المهندسخانة يدرس علوم الفلك باللغة العربية ، ومنصور افندي أحمد أحمد أساتذة المهندسخانة ، يلقي محاضرات في الطبيعيات ، وفرانس بك ( باشا ) كبير مهندسي الأوقاف في المباني ،

وجيجيون بك ناظر مدرسة الفنون والصنائع في الميكانيكا ، وبروكش باشا ناظر مدرسة اللسان المصري القديم في التاريخ العام ، والشيخ عبد الرحمن البحر اوى في فقه الإمام أنى حنيفه ، والشيخ أحمد المرصفي في التفسير والحديث ، والمسيو بكتيت في الطبيعيات ، وأحمد بك ندا في علم النبات وغيرهم الخ الخ (١)

### معمل الكيمياء والطبيعة

وأنشأ بدر الجماميز أيضا معملا للكيمياء والطبيعة لتوسيع مدارك التلاميذ في العلوم الطبيعية واطلاعهم على تجاربيها ومشاهداتها والمران على استعمال الآلات الرياضية والطبيعية

### أعماله الهندسية

ان شهرة على باشا مبارك تقوم في الغالب على خدماته الجليلة للتعليم ، على أن له مآثر أخرى في أعمال العمران التي تمت في عهد اسماعيل ، منها ما يختص بالرى ، ومنها ما يتعلق بتنظيم القاهرة والمدن الأخرى

فليس يخفى أنه بولايته وزارة الاشغال سنة ١٨٦٨ ، قد عهد اليه الخديو بمعظم الأعمال الهندسية التي استحدثت في ذلك العهد

فاشترك في تنظيم القاهرة ، وتوسيع شوارعها وحاراتها ، وإنشاء أحيائها الجديدة ، ومعظم الأعمال التي تمت من هذا القبيل نفذت في عهده ، مثل شارع محمد على ، وميدانه ، وشوارع الازبكية ، وميدانها ، والشوارع المنشأة بعابدين ، وباب اللوق وغيرها بما هو بداخل المدينة وخارجها

قال في هذا الصدد : « وجرى العمل على ذلك ، فظهرت كل هذه المباني الحسنة ، والشوارع المستقيمة المتسعة المحفوفة بالأشجار الخضرة النظرة ، المستوجبة للقادمين على المدينة انشراح الصدور ، والفرح والسرور ، وأزيل ما كان يجبتها البحرية من التلال التي كانت تمتد من جهة الفجالة إلى قرب باب الفتوح ، ثم تبرع الخديو اسماعيل

(١) من كتاب (التعليم العام في مصر) لأمين سامى باشا ص ٢٤

للراغبين بمواضع كثيرة ، فأنشأوا بها المباني المشيدة ، والبساتين العديدة ، وناهيك بقصور  
الاسماعيلية ودورها وبساتينها وشوارعها ، التي بكل الوصف عن محاسن بهجتها ،  
واشترك في استحداث الإنارة بغاز الاستصباح ، واقامة وابور المياه لتغذية القاهرة  
بماء الشرب الصالح بواسطة شركتي النور والمياه ، وإقامة ( كوبري ) قصر النيل البديع ،  
وغير ذلك من الأعمال النافعة

وساهم أيضا في أعمال العمران بمدينة الاسكندرية والسويس ، وما أقيم في المديرية  
من الدواوين ، والجسور ، والقناطر ، والترع ، قال في هذا الصدد : « وهذه الأعمال جميعها  
أو أكثرها كنت أبشر أمورها من رسومات وشروط مع المقاولين ونحو ذلك ،  
لتعلقها بديوان الأشغال ، فكنت في مدة إحالة هذه الدواوين على مشغولا بالمصالح  
الاميرية ، وتنفيذ الأغراض الحديدية ، ليلا ونهاراً ، حتى لا أرى وقتاً التفت فيه لحوالي  
الخاصة بي ، ولا أدخل بيتي إلا ليلا ، بل كنت أفسر في الليل فيما يفعل بالنهار ،  
وكان متوليا وزارة الاشغال عند افتتاح قناة السويس ، فعهد اليه الخديو اسماعيل  
إعداد معدات حفلاته الفخمة

ومن أعماله في ديوان الأوقاف أنه حكر كثير آ من أراضي القاهرة للراغبين في  
بنائها ، مقابل حكر ضئيل يدفعونه كل سنة ، فعمرت جهات كانت من قبل خرابا بلقعا ،  
وأقيمت المباني والعمائر في أخطاط عديدة من المدينة  
وبإدارته مصلحة السكك الحديدية اشترك في مد كثير من الخطوط الحديدية  
وإنشاء محطاتها

### انفصاله عن الوزارة ثم عودته

انفصل المترجم عن إدارة السكك الحديدية ، ثم عن وزارة المعارف ( في سبتمبر  
سنة ١٨٧٠ ) ، وعن الاشغال ثم عن الاوقاف ، لخلاف وقع بينه وبين اسماعيل صديق  
باشا ( المفتش ) وزير المالية المشهور بحظوته عند الخديو اسماعيل ، ذلك أن المفتش  
رغب في أن يضم إيراد السكك الحديدية الى وزارة المالية ، فلم يقبل على باشا مبارك هذا  
الضم إلا اذا تعهدت المالية بجميع نفقات المصلحة ، فوقع الخلاف بين الرجلين ، ووشى

اسماعيل صديق بالمرجم عند الخديو ، فأدى ذلك إلى انفصاله عن الوزارات التي كان يقوم بأعبائها ، ولزم بيته ، على أن انفصاله لم يدم طويلا ، ولعل الخديو شعر بالفراغ الذي ترتب على انفصاله عن العمل ، ولم يجد من بين وزرائه من يسد هذا الفراغ ، فعهد اليه ثانيا بوزارة المعارف ( ١٣ مايو سنة ١٨٧١ ) ثم بالنظر على ديوان الاوقاف ، وبعد قليل أعيد إلى ديوان الاشغال ، وبقي يتولى وزارة المعارف الى أغسطس سنة ١٨٧٢

ثم عن الخديو أن يعين ابنه الامير حسين كامل باشا ( السلطان حسين كامل ) ناظراً لهذه الدواوين في أغسطس سنة ١٨٧٢ ، وبقي المترجم يتولى شؤونها ، وصار منصبه مستشاراً ، لها ، وبعد قليل انفصل ديوان الاشغال برئاسة الامير حسين كامل وجعل المترجم وكيله

وفي أغسطس سنة ١٨٧٣ عين المترجم عضواً بالمجلس الخصوصي الذي كان بمنزلة مجلس الوزراء ، وبعد قليل انفصل عنه لما ألقاه في حقه الواشون كاسماعيل باشا صديق وأضرابه وما أرجفوا به من أن كتابه ( نخبة الفكر ) الذي كلفه الخديو تأليفه عن النيل مشتمل على نقد الحكومة الخديوية وتقبيح سياستها ، فلزم بيته ثانيا

وفي مارس سنة ١٨٧٤ جعل رئيسا لقسم الهندسة بديوان الاشغال ، ولما ألحق هذا الديوان بوزارة الداخلية التي تولاها الامير محمد توفيق ولي عهد الأريكة الخديوية وقتئذ جعل المترجم مستشاراً له ، ثم استقل ديوان الاشغال ، فبق المترجم مستشاراً للديوان ( ديسمبر سنة ١٨٧٥ )

ولاشك ان تعيين علي باشا مبارك في هذه المناصب الثانوية كان نتيجة الوشاية التي ألقاها اسماعيل صديق في حقه عند الخديو

#### في وزارة نوبار باشا

ولما وقعت بمصر الاحداث المالية ، وحدث التدخل الاجنبي ، وعينت لجنة التحقيق الدولية ، كان من مطالب اللجنة تنازل الخديو عن سلطته المطلقة لمجلس النظار ، فنألفت وزارة نوبار باشا الاولى في اغسطس سنة ١٨٧٨ ، وهي الوزارة التي دخلها الوزيران الأوربيان كما تراه مفصلا فيما يلي ، واشترك فيها المترجم إذ تولى وزارة المعارف وديوان

الاقواقف ، فاستأنف عمله في إحياء نهضة التعليم ، فشرع في بناء بعض المدارس الابتدائية وظل قائماً بعمله في جو مملوء بالاضطرابات والارتباكات ، الى ان استهدفت وزارة نوبار باشا إسخط الأمة ، وثار عليها الضباط ثورتهم الاولى فاستقالت في فبراير سنة ١٨٧٩ ، وخلفتها وزارة توفيق باشا القصيرة المدى ، وكان المترجم ضمن أعضائها متولياً المعارف والاقواقف ثم دُعي شريف باشا الوزير المشهور الى تأليف الوزارة الجديدة استجابة لمطالب الأحرار فألف وزارته المعروفة بالوزارة الوطنية

وكان طبيعياً ألا يكون المترجم من أعضائها ، لان الوزارة النوبارية سقطت مغضوباً عليها من الشعب ، إذا كانت متهمه بما آلاة الدول الاجنبية ، ووزارة توفيق باشا لم تكن مرضياً عنها من الرأى العام وفى عهد وزارة شريف باشا اشتدت الأزمة السياسية ، بين الخديو اسماعيل والدول الأوربية ، وانتهت بخلعه نزولاً على إرادة الدول

#### فى عهد الخديو توفيق

ولما تولى توفيق باشا مسند الخديوية وعهد الى مصطفى رياض باشا تأليف الوزارة ، كان على باشا مبارك عضواً فيها ، متقلداً وزارة الأشغال ، فبذل جهداً ممدوحاً فى تنظيم هذه الوزارة والقيام بكثير من أعمال الرى والعمران

#### الثورة العراية

وفى عهد هذه الوزارة هبت عواصف الثورة العراية ، ولم يكن على باشا مبارك من أنصار الثورة ، بل كان يميل الى الاعتدال وأخذ الأمور بالحكمة والحوادة ، ونصح العرايين بالرؤية فلم يسمعوا له نصحاً ، وقد تبين أنه كان أبعد نظراً منهم ، لأنه لا يخفى أن التطرف والشطط فى مسلك الثورة العراية ، كانا من الأسباب التى أدت الى كارثة الاحتلال لم يكن المترجم إذن من أنصار الثورة ، بل كان عضواً فى وزارة رياض باشا التى تحركت الثورة لمناواتها وإسقاطها ، وقد سقطت فعلاً فى سبتمبر سنة ١٨٨١ نزولاً على إرادة الثوار ، وألف شريف الوزارة الجديدة

ومع أن شريف باشا كان يقدر كفاءة علي باشا مبارك واستقامته وإخلاصه ، إلا أنه لم يشركه في الوزارة ، لأنه كان عضواً في وزارة رياض المغضوب عليهما من الشعب ، وهكذا قدر على المترجم أن يكون عضواً في الوزارتين اللتين هبت عليهما عواصف الثورة واستقالتا نزولاً على إرادة الثوار

فالأولى وزارة نوبار ، التي سقطت بتأثير ثورة الضباط في عهد اسماعيل ، والثانية وزارة رياض ، التي سقطت نزولاً على إرادة العرايين

ولما استقالت وزارة شريف وأعقبها وزارة محمود سامي باشا البارودي ، ظل علي مبارك بعيداً عن الوزارة ، وفي عهد وزارة البارودي جاء الاسطول البريطاني الى ثغر

الاسكندرية ، ثم تلاحقت الأحداث الى أن رزئت البلاد بالاحتلال الانجليزي ولما قامت الحرب بين العرايين والانجليز ، وانحاز الخديو توفيق باشا الى الاحتلال ، انعقدت جمعية عمومية في القاهرة تضم أعيان البلاد وذوى المكانة فيها ، وحضر علي باشا مبارك هذه الجمعية ، وكان ضمن الوفد الذي انتدبه الجمعية للسفر الى الاسكندرية ، ومقابلة الخديو توفيق باشا ، لإبلاغه قرارات الجمعية ، فلما وصل الى الاسكندرية سعى في طريقه لتهدئة الحالة ، فلم ينجح ، فانحاز الى الخديو

#### في وزارة شريف باشا الرابعة

ولما ألف شريف باشا وزارته الرابعة سنة ١٨٨٢ عقب الاحتلال كان المترجم ضمن أعضائها ، وتقلد وزارة الاشغال ، فعنى بأعمال الري والعمران ، كما كان شأنه كلما تولى هذه الوزارة

ووزارة شريف باشا هي التي استقالت احتجاجاً على إخلاء السودان ، فالتزم له نصيب في الموقف المشرف الذي وقفه شريف باشا بتقديم استقالته التاريخية في يناير سنة ١٨٨٤

#### في وزارة رياض باشا

#### ظهور الخطط التوفيقية

وبعد إقالة وزارة نوبار الثانية تولى رياض باشا الوزارة في يونيه سنة ١٨٨٨ ،

فكان على باشا مبارك ضمن أعضائها ، وزيراً للمعارف العمومية ، وهي الفترة التي ظهر فيها كتابه الخالد (الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة) وهو دائرة معارف لخطط مصر وآثارها وجغرافيتها وتاريخها في عصورها القديمة والحديثة ، وبعد تكملة وتجديداً لخطط المقرئزي ، ولكتاب تخطيط مصر الذي وضعه علماء الحملة الفرنسية ، وفيه وصف شامل لمصر ، وقراها ، ونيلها ، وترعاها ، وبحيراتها وسواحلها ، وتخطيط كامل لأحياء القاهرة وشوارعها ، ودروبها ، وميادينها ، وماحتوت عليه من المباني ، والمساجد ، والزوايا ، والأضرحة ، والربط ، والتكايا ، والأسبلة ، والقصور ، والوكائل ، والحمامات ، والكنائس والأديرة ، والمدارس ، والمسكاتب مع تراجم علماء مصر وشعرائها وأدبائها وحكامها وأمرائها ، وكان مرجع المترجم في هذه الموسوعة الكبرى ، كسب التاريخ والخطط ، قديماً وحديثاً ، وحجج الأوقاف والاملاك ، ومباحثه ومشاهداته ، وما وجدته مسطوراً على الأحجار والجدران ، ولئن قيل إن العلامة على باشا مبارك استعان في وضع الخطط بطائفة من المهندسين من تلاميذه ومرءوسيه في وزارة الأشغال والمعارف ، فذلك لا ينقص من فضله ، ولا يقلل من عظم العمل الذي اضطلع به ، وحسبه أن إرادته وجهت مساعدته الى معاونته في البحث والتنقيب ، وروحه تمشى في جميع أبواب الكتاب ومباحثه

وتقع الخطط التوفيقية في عشرين مجلداً ، ظهرت سنتي ١٣٠٥ و ١٣٠٦ (١٨٨٧ - ١٨٨٩) . أفرد المؤلف الأجزاء الستة الأولى للقاهرة ، والأجزاء السابعة للاسكندرية والأجزاء الأخرى لبقية مدن القطر المصري وقراه ، وخصص الجزء الثامن عشر لمقياس النيل ، والتاسع عشر لترع مصر ورياحاتها ومنشآت الري فيها ، والعشرين لتقودها القديمة والحديثة ، وبالجملة فهذا الكتاب غرة في تاريخ مصر العلمي ، ومأثرة خالدة للمترجم ، وهو مرجع لكل باحث في شؤون مصر العلمية والهندسية والتاريخية ، وله أيضاً في عالم التأليف كتاب (علم الدين) وهو قصة عمرانية قيمة ، وكتاب (تنوير الافهام في تغذي الأجسام) طبع سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) و (نخبة الفكر في تدبير نيل مصر)

ويقول الدكتور محمد دري باشا في ترجمته لعل باشا مبارك (ص ٦١) انه وضع



كتاباً سماه ( آثار الإسلام في المدنية والعمران ) فكان هذا الكتاب آخر مؤلفاته شرح فيه ما أدخله الإسلام من العمران في الممالك ، وما ترتب عليه من المدنية والنظام ، قال : « والذى نعرفه من أمره أنه لما أكمله تأليفاً وتبليغاً أعطاه لأحد أفاضل العلماء الأزهرين ليعيد نظره فيه ويدقق في مراجعته ، وهو باق فيما نعلم في خزنة مؤلفه رحمه الله ، وقد استأنف المترجم جهوده في عهد وزارة رياض باشا لنشر التعليم وإنشاء المدارس ، ومن أجل أعماله في هذا العهد تقرر طبع كتاب ( مرشد الخيران إلى معرفة أحوال الانسان ) تأليف العلامة ( محمد قدرى باشا )

كان هذا الكتاب الجليل مخطوطاً ، فرأى العلامة على باشا مبارك أن يخرجها للناس منشوراً ، لتعم فائدته ، فاشتراه من ورثة المرحوم قدرى باشا ، وطبعه سنة ١٨٩٠ على نفقة الوزارة ، وقررت تدريسه في مدرسة الحقوق ، ودار العلوم ، فأسدى بذلك خدمة عظيمة للعلوم الشرعية ، والقانونية ، وللنهضة العلمية ، والتشريعية

ولما استقالت وزارة رياض باشا سنة ١٨٩١ ، لزم المترجم بيته ثم سافر إلى بلده لتفقد أملاكه وإصلاحها ، بعد أن تركها وأهمل شأنها طوال السنين ، لاشتغاله بالمصالح العامة ، وهناك مرض بداء المثانة ، فعاد إلى مصر

#### وفاته

وألح عليه المرض ، إلى أن وافته المنية بمصر في منزله بالخلية الجديدة ، في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣ ، فانطلقاً المصباح الذى أضاء البلاد بأنوار العلم والعرفان ، أربعين سنة ونيفاً ، وأقفلت المدارس حداداً على أبيها ، وارتجت البلاد حزناً على فقيدتها ، وانتقل المترجم إلى عالم الخلود ، تاركاً ذكرى مجيدة ، حافلة بما أسداه لمصر من جلائل الأعمال

## الجمعيات العلمية

الجمعيات العلمية هي من الوسائل الفعالة الى نشر العلوم والمعارف ، ومن مظاهر تقدم الأفكار والثقافة في المجتمع ، وقد ازدان عصر اسماعيل بظهور الجمعيات العلمية ذات الأغراض السامية والمقاصد الجليلة

### المجمع العلمي

المجمع العلمي هو الهيئة العلمية التي أنشأها نابليون في مصر سنة ١٧٩٨ وسبق لنا الكلام عنها (تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١١٨ - طبعة أولى - ) ، وقد أُلغى هذا المجمع عند جلاء الفرنسيين ، ثم أعيد إنشاؤه سنة ١٨٥٩ بالاسكندرية في عهد سعيد باشا ، واستمر قائماً في عهد اسماعيل يؤدي مهمته في نشر المباحث العلمية ، وهو قائم الى اليوم واسمه ( مجلس لمعارف المصري ) ، ومقره بوزارة الأشغال العمومية ، وله مجلة تنشر مباحثه

### جمعية المعارف ( أسست سنة ١٨٦٨ )

هي أول جمعية علمية ظهرت في مصر لنشر الثقافة بواسطة التأليف والطباعة والنشر ، أسسها سنة ١٨٦٨ محمد عارف باشا ، أحد أفاضل العلماء في ذلك العصر والعضو بمجلس الأحكام ، والغرض من هذه الجمعية نشر العلوم والمعارف بطبع الكتب العلمية وتأليفها وتهذيبها وتلخيصها ، وقد جعلت تحت رعاية الأمير محمد توفيق باشا ولي عهد الأريكة الخديوية وقتئذ ، وتولى وكالتها ورأسها الفعلية محمد عارف باشا . وتألقت برأس مال موزع على أسهم طرحت للاكتتاب العام ، قيمة السهم ثلاثون قرشاً (١) ، واقتنت مطبعة لطبع الكتب التي تولت نشرها ، عدا ما كانت تطبعه في دار الطباعة الأميرية ، والمطبعة الوهبية . وتولت الجمعية طبع طائفة من أمهات الكتب في التاريخ والفقه والأدب . منها أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير في خمسة مجلدات . وتاج العروس من شرح جواهر

(١) عن لائحة الجمعية المنشورة في الوقائع المصرية العدد ٣٠١ - ٧ يونيه سنة ١٨٦٩

القاموس . والفتح الوهبي في شرح العتبي في مجلدين . وتاريخ ابن الوردي . وشرح التنوير على سقط الزند (ديوان أبي العلاء المعري) . وديوان ابن خفاجة . والبيان والتبيين للجاحظ . وديوان ابن المعتز . وشرح الشيخ خالد على البردة . وعنوان المرقصات والمطربات لنور الدين أبي الحسن . والمختصر في أخبار البشر . ومحاضرات الراغب الأصفهاني ، ورسائل بديع الزمان الهمذاني . وغير ذلك من الكتب القيمة ولقيت الجمعية إقبالا عظيما وتعصيда كبيرا من الطبقات الممتازة في المجتمع ، إذ بلغ عدد أعضائها سنة ١٢٨٦ هـ ( ١٨٦٩ - ٧٠ م ) ٦٦٠ ونيفا ، وردت أسماؤهم في ذيل كتاب ، الفتح الوهبي ، ، نذكر هنا طائفة منهم ، نموذجاً للطبقات التي اشتركت في الجمعية ، وللكي نتبين مبلغ تعصيد المجتمع في ذلك العصر للشروعات العلمية :

ابراهيم بك حلیم من قضاة محكمة الاستئناف . ابراهيم أدهم بك وكيل محافظة الاسكندرية . السيد ابراهيم جميعي من أعيان الاسكندرية . السيد ابراهيم بك المويلحي من أعضاء المجلس الابتدائي . أبو زيد افندي ابراهيم باشمهندس القليوبية . اترى بك ابر العز من أعضاء مجلس شورى النواب . احمد طلعت باشا كاتب الديوان الخديوي . الشيخ احمد شرف الدين المرصفي من علماء الأزهر . احمد رشيد باشا من أعضاء المجلس الخصوصي (مجلس الوزراء) . احمد خيرى بك مهردار الخديو . احمد بك عبيد ناظر قلم ترجمة السكتب الحربية . الشيخ احمد البتوني قاضى طنطا . الشيخ احمد الانصارى قاضى طهطا الشيخ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ووكيل الجمعية بالاستانة . احمد بك فتحى ناظر مدرسة الاسكندرية . أمين بك فكرى . جعفر مظهر باشا حكمدار السودان . جعفر صادق باشا رئيس مجلس استئناف قبلى . حسن بك الشريعى . الشيخ حسونه النواوى . حسين نخرى بك (باشا) . حسين شرين باشا . خليل باشا يكن . الفريق راشد باشا حسنى . الدكتور سالم بك سالم . الشيخ عبد الرحمن الايبارى . الشيخ عبد الرحمن الرافعى . وبيد اللطيف باشا من أعضاء المجلس الخصوصي . محرم افندي على عمدة السنبلالوين ومن أعضاء مجلس شورى النواب . محسن بك . محمد عرفان باشا . السيد محمد بيومى مكرم . السيد محمد المويلحي . الدكتور محمد شافعى بك . مصطفى رياض باشا . يوسف صالح عمدة كفر بهيده . احمد رسم العلايلى من أعيان الاسكندرية . الشيخ بدر اوى عاشور عمدة بهوت . الدكتور حسين بك عوف . الشيخ حسنين حمزه من أعضاء مجلس شورى

النواب . حماد بك عبد العاطى . على ذو الفقار باشا وزير الخارجية . محمد مظهر باشا  
وكيل مجلس الأحكام . ابراهيم افندى هلال مأمور ضبطية ميت غمر . احمد صادق  
باشا ناظر الدائرة السنية . احمد فريد بك ناظر قلم المحاسبة . السيد احمد مشرفه . احمد ذهني  
بك ناظر الجبخانات . الشيخ احمد باشا من علماء الاسكندرية ، اسماعيل افندى عبد الخالق  
وكيل ديوان الرزنامة . اسماعيل بك زهدى ناظر مدرسة المبتديان . أمين بك سيد احمد .  
السيد حسن موسى العقاد . السيد حسن المرقبي ، شفيق بك منصور . الخ الخ

وقد ظلت الجمعية قائمة تؤدي مهمتها الى أن اشتد النزاع السياسى بين الخديو اسماعيل  
والأمير عبد الحلیم باشا ، لتنافسهما على عرش الخديوية ، وكان عارف باشا من أنصار حلیم  
باشا ، فهاجر الى الاستانة خوفا من بطش اسماعيل ، وانحلت الجمعية

### الجمعية الجغرافية الخديوية

أسست سنة ١٨٧٥

هى من أهم المنشآت العلمية فى مصر ، أسسها اسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ ، والغرض  
منها العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها ، وأول رئيس لها هو العالم  
الألماني الدكتور جورج شونفرت Schweinfurth ، ووكيلاه العلامة محمود باشا الفلكي ،  
والجنرال استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، ولها مجلة دورية تنشر المباحث  
والاكتشافات . وتؤدي خدمات جليلة للعلم والجغرافية ، وقد رجعنا فى كثير من المواطن  
الى المباحث القيمة والخرائط الدقيقة المنشورة فى مجلتها

### الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشئت بالاسكندرية سنة ١٨٧٨ (١٢٩٦ هـ) بمسعى السيد عبد الله نديم ومساعدة  
سعد الله بك حلايى من سراة الثغر ، والباعث على إنشائها شعور الخاصة بطغيان النفوذ  
الاجنبى فى البلاد ، وتدخل الأجانب فى شؤونها ، واستشارهم بمراقبتها  
فأسست هذه الجمعية لفتح المدارس الحرة لتعليم البنين والبنات ، وتهذيب الأخلاق  
وإعانة الفقراء ، وقد انشأت مدرسة بالاسكندرية لتعليم البنين والبنات ، وعقد فيها

محفل للخطابة ، كانت تلقى فيه الخطب والمحاضرات مرة في الأسبوع ، ووضع لها قانون ، وأجرت عليها الحكومة راتباً سنوياً على سبيل الإعانة ، فاتسع نطاقها ، وذكرت جريدة التجارة ،<sup>(١)</sup> لأديب اسحق نبأ إنشاء هذه الجمعية بالاسكندرية ، وجمعية أخرى بالقاهرة وأخرى بدمياط

وهي غير الجمعية الخيرية الإسلامية الحالية التي أسست سنة ١٨٩٢

### الصحافة

لم تظهر في مصر على عهد عباس وسعيد من الصحف المصرية سوى الوقائع المصرية ، التي أنشأها محمد علي باشا ، وكانت الحكومة تتولى إصدارها ، ولم يظهر غيرها من الصحف العربية ، وهذا من مظاهر الجمود الذي أصاب النهضة العلمية في ذلك العهد ثم نشطت الحياة العلمية والأدبية في عصر اسماعيل ، فكان من مظاهرها تأسيس الصحف العلمية والأدبية ثم السياسية ، وقد نهض بالصحافة في ذلك العصر طائفة من العلماء والأدباء المصريين ، وطائفة أخرى من الأدباء السوريين ، وثمة عامل آخر كان له الأثر البالغ في نهضة الصحافة ، والنهضة العلمية والأدبية عامة ، وهو تعضيد الخديو اسماعيل لها ، ومساعدته الأدبية والمالية للقائمين عليها وإناذا كرون هنا الصحف والمجلات التي ظهرت في عصره :

(١) يجب أولاً أن نذكر الوقائع المصرية ، فقد استمرت تصدر بانتظام في عهد اسماعيل ، وارتقى أسلوبها الإنشائي ، وخدمت النهضة الصحفية خدمة تذكرو ، بما كانت تنشره من الفصول العلمية والأدبية ، وكانت تعنى بذكر أخبار الحكومة والأخبار الخارجية ، وتنشر مضابط مجلس شوري النواب . وتسهب في وصف الحفلات العامة ، وخاصة الحفلات العلمية والمدرسية ، ثم حفلات سباق الخيل ، التي كان لها شأن كبير في ذلك العصر ، وتعد الوقائع سجلاً يصور لنا ناحية من حياة مصر السياسية والاجتماعية في عصر اسماعيل ، وهي من أهم المراجع الرسمية التي لا يستغنى عنها من يكتب عن تاريخ مصر الحديث

(١) بالعدد ٢٢ من السنة الأولى - ابريل سنة ١٨٧٨

ونشأ الى جانب الوقائع صحف أخرى عليية ثم سياسية

الصحف العلية والأديبة والحربية

(٢) أسبقها مجلة (اليحسوب) ظهرت سنة ١٨٦٥ ، وهي مجلة شهرية طبية ، أنشأها الدكتور محمد علي باشا البقلى وإبراهيم الدسوقي ، ولم تعمر طويلا

(٣) مجلة (روضة المدارس) أنشأها العلامة علي مبارك باشا سنة ١٨٧٠ حين كان وزيراً للمعارف العمومية ، وهي من أجل أعماله ، وكانت الوزارة تتولى إصدارها والإنفاق عليها ، والغرض منها إحياء الآداب العربية ونشر المعارف الحديثة ، أسندت رأستها الى العلامة رفاعه بك رافع الطهطاوى ، وتولى تحريرها ابنه علي بك فهمى رفاعه (باشا) ، مدرس الانشاء بمدونة الإدارة والألسن (الحقوق) وقتئذ ، وكان يحرر فيها طائفة من أعلام الأدب والعلوم فى ذلك العصر ، أمثال علي مبارك باشا ، وعبد الله بك فكرى (باشا) ، والشيخ حسين المرصنى ، ورفاعة بك رافع ، وابن علي بك فهمى رفاعه ، والميسو بروكش باشا ناظر مدرسة اللسان المصرى القديم ، ومحمود باشا الفلكى ، واسماعيل بك مصطفى الفلكى (باشا) ، ومحمد قدرى بك (باشا) والدكتور محمد بك بدر ، واحمد بك ندا العالم النبأى الشهير ، والشيخ عبد الهادى نجما الاييارى ، والسيد بك صالح مجدى ، وعبد الله أبو السعود افندى ، محرر صحيفة وادى النيل ، والشيخ عثمان مدوخ أحد أساتذة اللغة العربية بالمدارس التجهيزية ، والشيخ حسونه النواوى ، والشيخ حمزه فتح الله ، فكانت المجلة ميداناً يتبارى فيه فطاحل الكتاب فى ذلك العصر ، وفيها المباحث العريفة فى العلم والأدب والاجتماع والتاريخ والفلك والرياضيات ، وكانت تصدره رتين فى الشهر ، وقد صدر العدد الأول منها فى ١٥ المحرم سنة ١٢٨٧ (سنة ١٨٧٠) ، واستمرت تصدر ثمانى سنوات ، فأفادت الثقافة فائدة كبرى ، قال عنها المسيو دور بك مفتش التعليم العام على عهد اسماعيل فى كتابه<sup>(١)</sup> : «وهذه المجلة كانت توزع مجاناً على التلاميذ ، وقد ساعدت على نشر العلوم والمعارف . لأنها عودت الطلبة ملكة المطالعة والبحث ، وفتحت صفحاتها للناهين منهم لنشر اجرائهم القيمة . فكان ذلك مما يشجعهم ويستحثهم على المباحث والجهود المستقلة عن دروسهم »

(١) التعليم العام فى مصر ص ٢٥٣ للسيو دور بك

وقد أصاب المسميو دور في قوله ، فإن المجلة كانت تنشر مباحث طريفة لبعض نهاء التلاميذ ، وقد رأيتُ فيها قصائد رقيقة من نظم المرحوم اسماعيل باشا صبري ، تتجلى فيها روح الشعر الحديث ، وكان وقتئذ ، الشاب النجيب اسماعيل افندي صبري أحد تلامذة مدرسة الإدارة ،

فمنها قصيدة في مدح الخديو اسماعيل بالعدد ٢٠ من السنة الأولى<sup>(١)</sup> قال في مطلعها :

سَفَرَتُ فلاح لنا هلال سعود ونمي الغرام بقباي العمود

وقصيدة أخرى بالعدد ٥ من السنة الثانية قال في مطلعها<sup>(٢)</sup> :

أغرَّتكَ الغراء أم طلعة البدر وقامتكَ الهيفاء أم عادل السمر

وشعرك أم ليل تراخي سدوله وثغرك أم عقد تنظم من در

وأخرى بالعدد ٢٣ من السنة الثانية<sup>(٣)</sup> استهلها بقوله :

لا والهوى العذرى والوجد عذل عذولى فيك لا يجدى

إني مع الصدف وطول الجفا باق على الميثاق والعهد

ويتبين من ذلك أن مدرسة الشعر الحديثة قد بدأت باكورتها تظهر في مجلة روضة المدارس<sup>(٤)</sup>

(٥٤هـ) جريدة ( أركان حرب الجيش المصرى ) و ( الجريدة العسكرية المصرية ، وقد سبق الكلام عنهما ص ( ١٨١ )

### الصحف السياسية

وظهر من الصحف السياسية :

(٦) صحيفة ( وادى النيل ) ، أنشأها الشاعر الناثر عبدالله أبو السعود افندي سنة ١٨٦٧

(٢) ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٨٨

(١) غاية شوال سنة ١٢٨٧

(٣) ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٨٨

(٤) عن « عصر محمد على » ص ٤٩٧

وهي أقدم صحيفة سياسية ظهرت في مصر ، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع في شكل  
المجلات ، وظلت تصدر الى ان الغيت بأمر الحكومة سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢م)  
(٧) جريدة (نزهة الأفكار) سنة ١٨٦٩ لمنشئها ابراهيم بك المويلحي ومحمد بك  
عثمان جلال ، وكانت أسبوعية ، ولم يصدر منها إلا عددان ، ثم عطلها اسماعيل بنصيحة  
شاهين باشا وزير الحربية ، إذ حذره عواقب لهجتها وما تؤدي اليه من إثارة الخواطر  
(٨) وأنشأ ميخائيل افندي عبد السيد سنة ١٨٧٧ جريدة (الوطن) ، وكانت  
سياستها وطنية ، ولهجتها حرة ، وقد استمرت تصدر الى ما بعد الاحتلال ، ووقفت حيناً  
ثم عادت الى الظهور سنة ١٩٠٠

(١٠٩٩) وظهرت سنة ١٨٧٧ جريدة (مصر) وهي جريدة اسبوعية ، محررها أديب  
اسحق ، ومديرها سليم النقاش ، وأنشأ أيضاً سنة ١٨٧٨ صحيفة يومية بالاسكندرية  
باسم جريدة (التجارة) ، وسياسة الصحيفتين وطنية حماسية ، تجلت فيها تعاليم جمال الدين  
الأفغاني وروحه ، وكانت له في الجريدتين بعض الرسائل ، يكتبها هو أو يملئها على تلاميذه  
وقد ألغاهما رياض باشا سنة ١٨٨٠

(١١) جريدة روضة (الأخبار) لصاحبها محمد بك أنسى نجل عبد الله أبو السعود افندي ،  
أنشأها بدل صحيفة (وادي النيل) التي عطلتها الحكومة كما أسلفنا ، وكان عبد الله  
أبو السعود افندي محرر قسمها السياسي الى آخر أيامه

وقد ذكرها على باشا مبارك في الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٦٩ ، وذكرها أيضاً أديب  
اسحق في جريدة (التجارة) بالعدد الصادر في ٢٩ مايو سنة ١٨٧٨ ، لمناسبة اعتراف  
صاحبها تغيير اسمها باسم (النيل) ، وصدرت بهذا الاسم سنة ١٨٧٨

(١٢) جريدة (الكوكب الشرقي) لصاحبها سليم (باشا) الحموي ، صدرت بالاسكندرية  
سنة ١٨٧٣ ، ولم تعمر طويلاً ، وذكرت «الوقائع المصرية» بالعدد ٤٢٩ الصادر في ٢٤  
اكتوبر سنة ١٨٧١ أن سليم حموي أنشأ مكتبة بالاسكندرية وقاعة للمطالعة بها

(١٣) جريدة (الأهرام) لسليم (بك) وبشاره (باشا) تقلا ، صدرت سنة ١٨٧٥  
بالاسكندرية ، (والآن بالقاهرة) ، وقد لاقت في مبدأ صدورها عقبات جمة ، ثم نالت  
حظاً كبيراً من الرواج ، وكانت في مبدأ ظهورها اسبوعية ، ثم صدرت بجانبها جريدة  
(صدى الأهرام) يومية حتى عطلت ، ثم انفردت (الأهرام) بالظهور وصارت يومية ،



واستمرت تصدر الى اليوم ، فهي أقدم الصحف المصرية السياسية  
(١٤) جريدة (الاسكندرية) جاء ذكرها في جريدة (التجارة) بالعدد ٥ يونيه  
سنة ١٨٧٨ إذ قالت إن سليم افندى حموى عزم على إصدار جريدة اسبوعية تسمى  
(الاسكندرية) ، وقد صدرت فعلا في يوليه سنة ١٨٧٨  
(١٥) جريدة (السكوكب المصرى) للشيخ محمد وفاء ، ذكرتها جريدة التجارة بالعدد ٣  
من السنة الثانية (١٩ مايو سنة ١٨٧٩)

(١٦) (مرآة الشرق) ، وهي جريدة سياسية أنشأها سليم عنحورى ، ثم تنحى عنها  
في ابريل سنة ١٨٧٩ ، وتولاها ابراهيم افندى اللقانى (بك) بإيعاز من السيد جمال الدين الأفغانى  
(١٧ و ١٨) وأنشأ الشيخ يعقوب صنوع صحيفتين سياسيتين ، وهما (مرآة الأحوال)  
صدرت في لندن سنة ١٨٧٦ ، و (أبو نضارة) صدرت سنة ١٨٧٧ بالقاهرة ، وهي  
صحيفة ممارضة لاسماعيل ، وكان الشيخ يعقوب صنوع مضرباً إسرائيلياً ، متعلقاً  
بالصحافة ، يميل الى الدعاية في كتابته ، واتصل بالسيد جمال الدين الأفغانى ، وقيل إنه  
هو الذى أوعز اليه إصدار جريدته لانتقاد سياسة اسماعيل (١) فأصدرها ، وكانت أول  
جريدة هزلية سياسية صدرت في مصر ، وقد نفاه اسماعيل من مصر ، فرحل الى باريس  
واستأنف إصدار جريدته بأسماء مختلفة معارضاً الخديو منتقداً أعماله ، ولم يكن  
يخلو عدد منها من صور هزلية تنطوى على التعريض الشديد بالخديو اسماعيل ، فلقيت  
رواجاً عظيماً ، واستمر الشيخ ابو نضارة يصدر جرائده الى ما بعد الاحتلال ، وكان معادياً  
لسياسة الانجليز ، وتوفى سنة ١٩١٢

وأغلب الصحف السياسية التي كانت تصدر في مصر ظهر كما ترى في أواخر عصر  
اسماعيل ، وقد أطلق لها حرية الكتابة ، وكان يميل الى هذه الحرية في أواخر عهده ، حين  
اصطدم بالمطامع الأوروبية ، وشعر بوطأة التدخل الأجنبي ، فكانت الصحافة تحمل  
بحق على هذا التدخل حملات صادقة ، وراقت هذه الخطة لاسماعيل ، فلا غرو أن أطلق  
للصحف حرية الكتابة ، لكنه لم يكن يرضى منها أن تتعرض لشخصه أو تنتقد أعماله

(١) عن ترجمة يعقوب صنوع المسمى بالشيخ (أبي نضارة) في تاريخ الصحافة للفيكونت

وكان لهذه الصحف عامة فضل كبير في إنارة البصائر والأفكار ، وتوجيه الأنظار إلى العناية بشؤون البلاد العامة ، وانتقاد الأعمال الضارة التي تصدر عن الحكومة ، فكانت أداة لظهور حرية الآراء السياسية ، ولها الفضل أيضا في نشر العلوم والمعارف ، وتهذيب لغة الكتابة ، وترقية أساليب الإنشاء ، فكانت من هذه الناحية من عوامل نهضة الأدب في العصر الحديث

### الصحف الافرنجية

وظهر في هذا العصر عدة صحف أوروبية ، منها جريدة (الفارد الكسندرى) أنشئت بالاسكندرية سنة ١٨٧٤ ، وجريدة البروجريه اجبسيان LeProgres Egyptien وهي صحيفة معارضة لاسماعيل ، وجريدة (الريفورم) La Reforme

### الطباعة

تقدمت الطباعة وأدركت شأوا كبيرا في عهد اسماعيل ، فقد وجه عنايته الى مطبعة بولاق ، ونهض بها حتى ضارعت المطابع الكبرى ، وكان يتولى نظارتها حسين بك حسنى (باشا) ، الذى كان له الفضل الكبير في نهضتها ، وظل يتولى نظارتها الى ما بعد الاحتلال ، وأسس اسماعيل مصنعا للورق ، تولى إدارته كذلك حسين بك حسنى مدير دار الطباعة ، وأخذ هذا المصنع منذ سنة ١٨٧١ يورد الاوراق اللازمة لمصالح الحكومة ولطببع المؤلفات العلمية ، وكذلك الاوراق والدفاتر اللازمة للتجار<sup>(١)</sup>

### حسين حسنى باشا

ويعد حسين حسنى باشا هذا من أركان النهضة العلمية والأدبية ، إذ كان له فضل كبير في إحياء العلوم بواسطة الطباعة والنشر

وهو من خريجي مدرسة المهندسخلانة ، أتم دراسته فيها ثم تولى تدريس العلوم الرياضية بها ، وانتقل الى مطبعة بولاق سنة ١٢٦٨ هـ بوظيفة كاتب ومصحح بالوقائع

(١) الوقائع المصرية العدد ٤١٠ (أول يونيه سنة ١٨٧١)

المصرية ، وارتقى حتى صار ناظراً لها ، وهو من نوابغ علماء الرياضيات والميكانيكا في عصره . وقد زار كثيراً من دور الطباعة ومصانع الورق في أوروبا ، باحثاً منقبا ، وجلب منها عدة ماكينات مستحدثة ، ركبها في مطبعة بولاق ، وفي سنة ١٢٨٤ جلب من لندن الماكينات اللازمة لتأسيس مصنع الورق ، فأنشأه بجوار مطبعة بولاق ، وجاء من أحسن معامل الورق إتقاناً وإحكاماً ، وأنتج من الورق ما كاد يعطل ما يرد من أوروبا ، وكانت جميع تكاليفه وثمان آياته تستوفى من ربح المطبعة والمصنع ، وذلك بفضل مهارة حسين بك حسنى ونزاهته ، ذكر عنه العلامة على باشا مبارك « أنه أحيا روح المطبعة الاميرية ونشر صيتها في جميع الأقطار <sup>(١)</sup> » ، وتوفي سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) وأنشئت عدة مطابع أخرى لطبع الصحف والمؤلفات كان لها الفضل الكبير في إحياء نفائس الكتب القيمة في الأدب والعلم ، وتولت طبعتها وطبع المؤلفات الحديثة

فمن هذه المطابع مطبعة جمعية الممارف المتقدم ذكرها

والمطبعة الأهلية القبطية التي جلبها من أوروبا الأنبا كرلس الرابع سنة ١٨٦٠ في عهد سعيد باشا ، وهي أول مطبعة أنشئت في مصر بعد مطبعة بولاق

ومطبعة ( وادى النيل ) أنشأها عبد الله أبو السعود افندى ، وكان يطبع فيها صحيفة ( وادى النيل ) ، ومجلة روضة المدارس ، وجريدة ( أركان حرب الجيش المصرى )

و ( المطبعة الوطنية ) بالاسكندرية

والمطبعة الوهية ، انشئت سنة ١٢٨٠ هـ مؤسسها مصطفى افندى وهي ( بك ) ، ومطبعة أركان حرب الجيش المصرى التي سبق الكلام عنها

ومن أمهات الكتب التي طبعت في ذلك العصر وكان لها الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية : كتاب المثل السائر ، لأبى الفتح الموصلى ، والأغانى لأبى الفرج الاصفهاني . وتاريخ ابن خلدون ومقدمته ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وفقه اللغة للشعالبي . ووفيات الاعيان لابن خلسكان . وفوات الوفيات ، وإحياء العلوم للغزالي ، وتفسير الفخر الرازى ، والبخارى ( شرح القسطلاني ) ، وسفينة الراغب ، وحياة الحيوان ، ونفح الطيب من

(١) عن ترجمته في الخطط التوفيقية ج ٢ ص ١٢١

غصن الاندلس الرطيب ، وقانون ابن سينا في الطب ، وتذكرة داود ، وغير ذلك من  
نفائس الكتب

### مظاهر النهضة العلمية والأدبية

أقترن عصر اسماعيل بالنهضة العلمية والأدبية التي ظهرت في إبان النصف الثاني من  
القرن التاسع عشر ، ولهذه النهضة عوامل شتى ، أولها انتشار التعليم في المدارس والمعاهد ،  
وظهور طائفة من العلماء والأدباء ممن تخرجوا في مدارس والبعثات أوفى الأزهر  
على عهد محمد علي وخلفائه ، وقد ظهرت ثمار قرائحهم على توالي السنين ، وخاصة في عهد  
اسماعيل ، إذ كان يشجع أكثرهم ويعضدهم ، ويسند اليهم المراكز الممتازة في الحكومة  
ويعدهم بالمنح السخية ، فكانت هبات اسماعيل أكبر عضد للنهضة العلمية والأدبية ، وكان  
لانتشار التعليم في المدارس عامة أثر كبير في نموها وتقدمها ، إذ تألفت بيئة صالحة من  
المتعلمين تؤيدها وتناصرها بالإقبال على ما تنتجه قرائح العلماء والأدباء ، ولولا هذا  
الإقبال لخذت القرائح ، وكسدت سوق العلم والأدب ، وثمة عامل آخر ، وهو مجيء  
السيد جمال الدين الافغانى سنة ١٨٧١ الى مصر وإقامته بها ، فقد نفخ في الحياة العلمية  
والأدبية ثم السياسية روحا من اليقظة خطت بها خطوات واسعة الى الامام  
ومن عوامل هذه النهضة ظهور الجمعيات العلمية ، وتقدم الطباعة ، وظهور الصحافة ،  
ونشاط حركة التأليف والترجمة والنشر ، ففي عصر اسماعيل ازدهرت الحركة العلمية  
والأدبية التي هي أساس النهضة الحاضرة ، ونشط الأدب والشعر ، وظهرت طبقة من  
الشعراء بدا على شعرهم أسلوب العصر الحديث ، من حسن الديباجة ، وصفاء القرينة ،  
وبلاغة العبارة ، وتهذب أسلوب الكتابة والإنشاء ، وأخذ يتخلص من شوائب التعقيد  
والركاكة ، والسجع المتكلف ، وهبت عليه نسمة الترسيل البليغ والمعاني الطريفة  
وظهرت طائفة من العلماء المؤلفين والمربين توفروا على إخراج الكتب القيمة في  
الطب والرياضيات والتاريخ والفقه والتشريع وما إلى ذلك

وارتقى مستوى المناصب الحكومية ، إذ تولاها المتخرجون من المدارس والمعاهد  
والبعثات ، فظهرت ثمار النهضة في فروع الحكومة ، كالتعليم والرى والهندسة والإدارة  
والقضاء والصحة والجيش والاسطول

وكان للنهضة العلمية والأدبية أثرها في تقدم الحياة الاجتماعية ، ثم الحياة الوطنية والسياسية ، مما سنعود إليه في موضعه

والآن يسوقنا الحديث إلى الكلام عن أعلام هذه النهضة ، وسنقصر القول على خلاصة وجيزة لتراجم أولئك الأعلام الذين اكتملت شخصياتهم في هذا العصر ؛ فمن هذه الخلاصة تجتمع لنا صورة عامة للحياة الأدبية والعلمية في عصر اسماعيل

## أعلام الأدب في عصر اسماعيل

رفاعة بك رافع الطهطاوى ، وعلى باشا مبارك

أدرك رفاعة بك عصر اسماعيل ، وله الفضل الكبير على العلم والأدب كما أسلفنا في ترجمته (عصر محمد على ص ٤٧٠ من الطبعة الأولى و ٣٨٢ من الطبعة الثانية )  
وعلى باشا مبارك ، هو صاحب الأيادى البيضاء على الأدب والعلم والتعليم في مصر كما بينا ذلك في ترجمته

## السيد جمال الدين الأفغانى

هو باعث روح الحياة في النهضة العلمية والأدبية والسياسية ، فواجب أن نعهده في مقدمة أعلام الأدب في عصر اسماعيل ، وسنترجم له في الفصل الثانى عشر

## الشيخ حسين المرصنى

توفى سنة ١٨٨٩

شيخ الأدباء في ذلك العصر ، وأستاذ الطبقة الأولى من دار العلوم ، نشأ في (مرصنى) بالقليوبية ، وهى بلدة أنجبت طائفة من أعلام الأدب والفقهاء واللغة ، كان والده الشيخ احمد حسين المرصنى من أئمة العلم في عصره ، وانقطع للتدريس بالازهر ، ونشأ المترجم ميالا للعلم والأدب ، ذكر عنه العلامة على باشا مبارك في الخطط التوفيقية (ج ١٥ ص ٤٠) انه « من أجلاء العلماء وأفاضلهم ، له اليد الطولى في كل فن ، وقل أن يسمع شيئا الا ويحفظه ، مع رقة المزاج ، ووحدة الذهن ، وشدة الحدق ، وتصدر للتدريس

فقرأ بالأزهر كبار الكتب ، ثم تولى تدريس اللغة والآداب في دار العلوم ، وتعلم اللغة الفرنسية ، وله مؤلفات قيمة منها :

(١) الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية طبع بمصر سنة ١٢٨٩ هـ في جزأين

(٢) وله كتاب في الأدب والاجتماع سماه (الكلم الثمان) في الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة والحرية والترية

محمود باشا سامى البارودى

(١٨٤٠ - ١٩٠٤)

باكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث ، وأول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين ، كانت نشأته الأدبية والحرية في عصر اسماعيل ، وسطع نجمه في سماء الأدب على ذلك العهد ، ثم اقترن اسمه بعصر الثورة العراقية ، وكان له فيها الدور الكبير ، وسنترحم له في موضعه من كتاب (الثورة العراقية والاحتلال الانجليزى)

عبد الله أبو السعود افندى

(٨٢٠ - ١٨٧٨)

أول صحفى سياسى ظهر في تاريخ مصر الحديث ، ولد في دهشور قرب الجيزة ، وأصله من بركة ، تلقى العلم في مدرسة البدرشين ثم انتقل الى مدرسة الألسن ، وتخرج منها على يد رفاة بك ، فهو من تلاميذه الأفاضل ، وكان يحضر دروس الأزهر ، وأتقن اللغات العربية والفرنسية والاطالية . ونبغ في فنون الأدب والشعر . وارتقى في المناصب حتى صار في عهد اسماعيل ناظر قلم الترجمة المستجد وأستاذ التاريخ بدار العلوم ، وأنشأ سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) صحيفة (وادي النيل) كما تقدم بيانه

ونظم حوادث مصر في كتاب سماه (منحة أهل العصر بمنتى تاريخ مصر) ، ووضع كتاب (الدرس العام في التاريخ العام) طبع قسم منه سنة ١٢٨٩ ، وعرب كتاب (تاريخ مصر القديمة) لمريت باشا ، الخ ، وله ديوان شعر مطبوع ، وله أرجوزة نظم فيها سيرة

محمد علي . وشارك رفاة بك وتلاميذه في ترجمة السكود ( قانون نابليون ) ، وتولى هو وحسن أفندي فهمى المصرى تعريب قانون المرافعات وجعل سنة ١٨٧٦ قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وتوفي في فبراير سنة ١٨٧٨ ، وهو من نوابغ الأدباء والعلماء في عصر اسماعيل

الشيخ محمد عبده

توفي سنة ١٩٠٥

الاستاذ الإمام ، وفيلسوف الإسلام ، وأكثب العلماء وأعلم الكتّاب (١) ، كانت نشأته العلمية والأدبية في عصر اسماعيل ، وانضوى الى لواء السيد جمال الدين الأفغانى ، وصار من خاصة تلاميذه منذ قدم السيد الى مصر سنة ١٨٧١ ، فكان لهذه الفترة من الزمن الأثر الأكبر في اتجاهه العلمى والروحى ، وكتب بعض الرسائل فى صحيفتى ( التجارة ) و ( مصر ) لأديب اسحق ، ثم عظمت شخصيته فى عصر الثورة العرابية كما سيحى . يسانه فى كتاب ( الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى )

ابراهيم بك المويلحى

( ١٨٤٦ - ١٩٠٦ )

زعيم الكتّاب فى عصره ، وأستاذ المدرسة الحديثة فى الأدب والإنشاء ، من أسرة المويلجى الشهيرة ، وهى أسرة عربية ، أصلها من «المويلح» من ثغور الحجاز التى كانت تابعة لمصر ، وكان جده السيد ابراهيم المويلحى من كبار موظفى الحكومة فى عهد محمد على ، يميل للأدب والأدباء ، فورث عنه المترجم هذا الميل ، وكان أبوه من سرة مصر ، وله بيت تجارى كبير اشتهر بصناعة الحرير وتجارته

ولد المترجم فى أوائل سنة ١٢٦٢ هـ ، ( ١٨٤٦ م ) وترعرع فى حجر والده ، فى مهاد العز والنعمة ، الى أن توفي أبوه سنة ١٢٨٢ هـ ( ١٨٦٥ ) وهو لا يتجاوز العشرين بكثير ، فتولى تجارة أبيه مشاركا أخاه عبدالسلام المويلحى (باشا) ، ولسكنهما لم يوفقا فى التجارة

(١) تعبير « المنفلوطى » فى « مختاراته »

وآل بيت المويلحي من الناحية المالية الى الخسران ، لولا مروءة الخديو اسماعيل ، فقد نظر الى هذا البيت نظرة عطف وسخاء ، فوهب المترجم وأخاه من المال ماوفى ديونهما ثم انعم على ابراهيم بالرتبة الثانية ، وجعله قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وهو في الثامنة والعشرين من عمره وانعم على عبد السلام بهذه الرتبة أيضاً ، وابقاه يزاول التجارة استبقاء لهذا البيت التجارى القديم

وظهر ميل المترجم الى الأدب من مشاركته محمد عارف باشا في تأسيس جمعية المعارف التي عنيت بإحياء الكتب العربية ، وقد سبق الكلام عنها ، ثم اشترك مع محمد بك عثمان جلال في إصدار جريدة سياسية اسمها ( نزهة الأفكار ) ولسكن لم يصدر منها الا عددان وصدر أمر اسماعيل بالغائها

وكان المترجم من تلاميذ السيد جمال الدين الأفغانى ، وقد اتصل من طريقه بالحركة السياسية التي ظهرت في عصر اسماعيل ، والتي انتهت بوضع اللائحة الوطنية وتأليف وزارة شريف باشا الأولى كما سيجيء بيانه في موضعه ، وعين سكرتيراً لاسماعيل راغب باشا وزير المالية في الوزارة الوطنية ، وكان المترجم من رجال اسماعيل المخلصين لشخصه ، المغمورين بكرمه ، ولازمه في منفاه عدة سنوات ، اشتغل خلالها بالصحافة حيناً . ثم ذهب الى الاستانة سنة ١٨٨٥ ، فأكرم السلطان عبد الحميد وفادته ، وعينه عضواً في مجلس المعارف . وظل في هذا المنصب نحو تسع سنوات ، ثم عاد الى مصر ، وكتب في الصحف مقالات جامعة في الأدب والسياسة والاجتماع ، جمع بعضها في كتاب سماه ( ما هنا لك ) ، ثم أنشأ صحيفة ( مصباح الشرق ) وهي صحيفة أسبوعية نالت في عالم الادب والكتابة مكانة لم تبلغها صحيفة أخرى ، وله فيها المقالات الرائعة التي كادت تبلغ عليا مراتب البلاغة والإنشاء لولا ماشابها من الإقذاع في الهجو ، والتقلب مع الالهواء . وتوفي في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦

محمد بك عثمان جلال

(١٨٢٨ - ١٨٩٨)

واضع أساس القصة الحديثة في الأدب المصرى ، ولد في ( ونا القس ) بمديرية بني سويف



وتلقى العلم في مدرسة قصر العيني ( وكانت لم تزل مدرسة اعدادية ) ، ثم في مدرسة أبي زعبل . ثم في مدرسة الألسن ، فهو من تلاميذ رفاة بك رافع الطهطاوى ونبغ في العلوم وبدا عليه الميل الى الشعر والأدب والتعريب ، وكان ميالا الى الفن الروائى بجيد التعريب فيه مع تمصير ما يعر به أحيانا . وله كتاب ( العيون اليواقظ ) وهو تعريب شعري لروايات لافونتين ومواعظه . ويعد هذا الكتاب أعظم آثاره الادبية وأشهرها ، وعرب رواية ( بول وفرجينى ) عن الفرنسية . ووضع كتاب ( التحفة السنوية فى لغتى العرب والفرنسوية ) منظومة ، وعرب بعض الروايات التمثيلية ، منها ( تروتوف ) لموليير . عربها بتصرف وأسماها ( الشيخ متوف ) بعد أن أسبغ عليها مسحة مصرية ، وقد مثلت هذه الرواية على المسارح فى مصر ، وله أرجوزة فى رحلة الخديو سنة ١٨٨٠

أدرك المترجم عصر محمد على وخلفائه إلى أوائل عهد عباس الثانى ، وشغل مناصب عدة فى الحكومة ؛ وآخر ماتولاه منها منصب القضاء فى المحاكم المختلطة سنة ١٨٨١ ، وأحيل الى المعاش سنة ١٨٩٣ ، وتوفى سنة ١٨٩٨ عن سبعين سنة

عائشة عصمت تيمور

( ١٨٤٠ - ١٩٠٢ )

« طليعة اليقظة النسوية »<sup>(١)</sup> ، فى تاريخ مصر الحديث ، وأول من نبغ من المصريات فى الشعر والأدب ، نشأت من بيت كريم ؛ إذ كان أبوها اسماعيل باشا تيمور ، أحد كبار الحكام فى عصر عباس الأول وسعيد واسماعيل ، وشقيقها العلامة أحمد باشا تيمور ، بدت عليها ملكة الأدب والشعر وهى بين السابعة والثالثة عشرة ، ورأى أبوها منها هذا الميل ، فعنى بتثقيفها ، وأحضر لها أستاذين لتأخذ عنهما الأدب والعلوم ، وقالت الشعر وهى فى الثالثة عشرة ، فأعجب بها والدها وحبب اليها إجادته ، فأكبت على نظم الشعر بلغات ثلاث ، الفارسية والعربية والتركية ، وتزوجت وهى فى الرابعة عشرة بمحمد بك توفيق بن محمود بك الاسلامبولى ، فشغلها الحياة الزوجية عن الأدب

(١) تعبير الكاتبة الادبية ( الآنسة مى ) فى ترجمتها لعائشة عصمت تيمور

حيناً ، فلما شبت ابنتها ( توحيدة ) عهدت اليها شؤون المنزل ، وبعد وفاة والدها سنة ١٨٨٢ وزوجها سنة ١٨٨٥ تفرغت للشعر والأدب ، وأتقنت النحو والعروض على يد معلمتين من أهل العلم في هذا العصر ، هما فاطمة الأزهرية ، وستيتة الطبلابية ، وعادت الى نظم الشعر ، ثم توفيت ابنتها توحيدة فاشتد حزنها عليها ، وشغلت بالذكرى والبكاء سبع سنين عددا ، ثم عادت الى الكتابة والشعر ، وكانت وفاتها سنة ١٩٠٢ ولها من الآثار الأدبية : حلية الطراز ، وهو ديوان شعرها العربي ، وده شكوفة ، وهو ديوانها التركي والفارسي ، وده نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال ، وهي قصة أدبية كتبها بأسلوب المقامات

عبد الله باشا فكري

( ١٨٣٤ - ١٨٨٩ )

من أعلام الأدب في عصر اسماعيل ، ولد بمكة المشرفة ، وكان أبوه محمد افندي بليغ قد تخرج في المدارس الملكية التي أنشأها محمد علي . ومهر في العلوم الرياضية ، الى أن صار من المهندسين . والتحق بخدمة الحكومة وحضر مواقع حربية ، أهمها في حرب الموره . فعقد في الموره على والده المترجم . وعاد بها الى الحجاز ، فوضعت بمكة غلاما هو صاحب الترجمة ، وسمى باسم جده الشيخ عبد الله أحد علماء الأزهر ، ثم عاد بليغ افندي الى مصر ، وما زال في خدمة الحكومة ، حتى تقلد منصب باشمهندس الشرقية ، ثم مفتش هندسة الجزيرة والبحيرة ، وتوفي سنة ١٢٦١ هـ . والمترجم لم يتجاوز الحادية عشرة ، فأخذ يطلب العلم بالأزهر وأتقن اللغة العربية وعلومها ، والحديث والتفسير والمنطق . وتعلم اللغة التركية أيضا ، والتحق بالمناصب مع استمراره حيناً على تلقى العلوم بالأزهر ، وانتظم في عهد سعيد باشا بالمعية السنية ، وتولى كتابة الانشاءات الديوانية بالعربية والتركية ، واستمر بالمعية الى عهد اسماعيل ، ورافقه في رحلته الى الاستانة ، وظل متصلا به ، مشمو لا برعايته ، وعهد اليه سنة ١٢٨٤ ملاحظة تعليم أنجاله الأمراء فاضطلع بهذه المهمة وكان يلاحظ الدروس التي تلقى اليهم وأحيانا يدرس لهم بنفسه وكان يتولى كتابة رسائل الخديو اسماعيل في مهام الدولة . فنهض بأسلوب الكتابة

الرسمية ، ومعظم هذه الرسائل منشور في ( الفوائد العسكرية ) ، وتدرج في المناصب على عهد اسماعيل وتوفيق ، ولما أنشئت إدارة المكاتب الأهلية بوزارة المعارف جعل وكيلها سنة ١٨٧١ ، وصار وكيلاً لوزارة المعارف في يولييه سنة ١٨٧٩ ، واستمر يشغل هذا المنصب إلى ديسمبر سنة ١٨٨١ ، إذ تألف مجلس النواب على عهد الثورة العرابية ، فجعل كبير كتاب المجلس ، ولما استقالت وزارة شريف باشا وألف محمود باشا سامي البارودي الوزارة في فبراير سنة ١٨٨٢ ، اشترك المترجم فيها متولياً وزارة المعارف العمومية ، فكان عضواً في « وزارة الثورة » التي عارضت الخديو توفيق باشا واستقالت احتجاجاً على مسلكه في مايو سنة ١٨٨٢ ، ومن هنا سنحط الخديو على المترجم ، فلما أخفقت الثورة كان من المقبوض عليهم بتهمة الاشتراك في الفتنة ، ثم أطلق سراحه بعد أن أثبت برأته منها ، ولكن معاشه كان موقوفاً من يوم اعتقاله ، فالتمس من توفيق باشا العفو عنه في قصيدة طويلة أبان فيها عن إخلاصه وولائه لسدته ، فأمر بإعادة معاشه ، وفي سنة ١٣٠٦ هـ ندمته الحكومة لرأسه الوفد المصري في المؤتمر الذي انعقد بمدينة استوكهلم عاصمة السويد والنرويج ، وعرج على بعض بلاد أوروبا ، يصحبه نجله أمين باشا فسكرى ، ولما عاد اشتد به مرض أصابه أثناء رحلته ، حتى وافاه الأجل يوم ١٠ المحرم سنة ١٣٠٧ ، وكان كاتباً أديباً ، وشاعراً بليغاً

### الشيخ عبد الهادي نجا الاياري ( ١٨٢١ - ١٨٨٨ )

من كبار الأدباء والكتاب في ذلك العصر ، وصفه علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية ( ج ٨ ص ٢٩ ) بالحبر الهمام وغر العلماء الأعلام ، الإمام الأريب ، واللوزعي الأديب ، الشاعر الناثر ، الحافظ الماهر ، العلامة الشيخ عبد الهادي نجا ابن العلامة الشيخ رضوان الاياري ، ولد في ابيار غربية ، وتلقى العلم في الأزهر على يد شيوخه ، ونبغ في علوم اللغة والفقه والأدب ، فذاعت شهرته ، وعهد إليه الخديو اسماعيل تثقيف أبنائه وتعليمهم ، ومنهم الأمير توفيق باشا ، وكان وهو يتولى هذا المنصب يتصدر للتدريس في الأزهر وفي بيته ، وأخذ عنه كثيرون من جلة العلماء ، كالشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمد البسيوني ، ولما تولى توفيق باشا الأريكة الخديوية قرب به إليه وجعله إماماً للبعية ومفتياً ، وشغل هذا المنصب حتى وفاته ، وكان كاتباً أديباً ، راسل أعلام الأدب في سائر

الاقطار كأحمد فارس الشدياق والشيخ ناصف اليازجي والشيخ ابراهيم الأحمد ، وله مؤلفات قيمة في الأدب واللغة بلغت أربعين كتابا

السيد عبد الله نديم ( ١٨٤٣ - ١٨٩٦ )

الكاتب الشاعر الأديب ، والخطيب الوطني المفوّه ، أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفغاني ، ومن الذين استمسكوا بتعاليمه ومبادئه طول حياته ، ولد بالاسكندرية ، ونشأ محبا للأدب ، ميالا للخطابة والشعر ، جريئا مقداما ، مولعا بالحرية ، بدأت شخصيته الأدبية والسياسية تظهر في أواخر عهد اسماعيل ، وبدأ ينشر رسائله في جريدتي (مصر) و (التجارة) ، وأسس سنة ١٨٧٩ الجمعية الخيرية الإسلامية بالاسكندرية ، التي ضمت أعيان الثغر ووجهاءه ، وكانت باكورة أعمالها إنشاء مدرسة أهلية لتعليم البنين والبنات ، وهو أكبر خطباء الثورة ، وله فيها دور كبير سنفصله في موضعه من كتاب ( الثورة العراقية والاحتلال الانجليزي )

أديب اسحق ( ١٨٥٦ - ١٨٨٥ )

الشاعر الناثر ، والصحفي السياسي الحر ، ولد في دمشق ، وبدا منه منذ صباه الميل إلى الشعر والأدب ، والتعاقب بالحرية ، فما أن جاء مصر حتى اتصل بجمال الدين وصار من أخلص تلاميذه ، وأصدر جريدة (مصر) ثم جريدة (التجارة) وامتازتا بالأسلوب البليغ والروح الوطنية ، وكان السيد جمال الدين يكتب فيهما أحيانا ، وكذلك الشيخ محمد عبده ، ولقيت الصحيفتان إقبالا عظيما ، ثم ألغيتا بأمر رياض باشا ، وهجر أديب اسحق مصر سنة ١٨٨٠ ، ورحل إلى باريس حيث أصدر فيها جريدته باسم (القاهرة) ، وهناك أصيب بعلّة الصدر ، وعاد إلى بيروت ، ثم رجع إلى مصر في عهد الثورة العراقية ، وأعاد إصدار جريدة (مصر) ، وعين رئيسا لقلم الترجمة بوزارة المعارف ، ثم كاتبانبا نيا مجلس النواب ، ولما أخفقت الثورة هاجر من مصر ضمن من هاجروا إلى سوريا ، واشتدت به علة الصدر ، فحجّاه مصر للاستشفاء ، فلم تتقدم صحته ، فعاد إلى بيروت ، ولم يمض عليه ثلاثون يوما حتى عاجلته المنية سنة ١٨٨٥ وهو في ريعان الشباب ، وقد جمعت أقواله وأشعاره في كتاب اسمه « الدرر »

الشيخ علي الليثي - توفي سنة ١٨٩٦

شاعر الخديو اسماعيل ، وشيخ الندماء في عصره ، كان أدبيا ذكي الفؤاد ، حاضر البديهة ، لطيف العشرة ، حلوا الحديث ، خفيف الروح ، محبا للخير ، محبوبا من معاصريه ، قربه اليه الخديو ، وجعله «منشئا بالمعية» ، وكان يستصحبه في غدواته وروحاته ، ويحترمه ويأنس لسمره وأحاديثه ، وله ديوان شعر لم يطبع

علي أبو النصر المنفلوطي - توفي سنة ١٨٨٠

من شعراء ذلك العصر المجيدين ، ولد في منفلوط ، وتعلق منذ صباه بالشعر والإنشاء ، فقربه اسماعيل إليه وجعله «منشئا بالمعية» ، ونال جوائز وهباته ، ورافقه في سفره الى الاستانة على عهد السلطان عبد العزيز ، وله ديوان شعر طبع ببولاق سنة ١٣٠٠ هـ

الشيخ حسن الطويل - توفي سنة ١٨٩٩

هو أنبغ من درس المنطق في مصر قبل حضور السيد جمال الدين الافغانى ، ومن كبار علماء الأزهر وأساتذة دار العلوم ، وجهابذة المنطق والعلوم الرياضية ، أخذ عنه العلوم الشرعية والرياضية والفلسفية نخبة من علماء مصر وأدبائها ، توفي في ٤ يولييه سنة ١٨٩٩

السيد صالح مجدى بك (١٨٢٧ - ١٨٨١)

كاتب شاعر ، ومعرب ومؤلف ، ولد بقريه أبي رجوان القبلية سنة ١٢٤٣ هـ وتلقى العلم في مكتب حلوان من المكاتب النظامية التي أنشأها محمد علي باشا ، ثم في مدرسة الألسن ، فأتقن علوم اللغة العربية ، ودرس الفرنسية ، ومهر في التعريب على يد أستاذه رفاعه بك رافع الطهطاوى ، وبعد أن تخرج في مدرسة الألسن التحق بقلم الترجمة ، وتخصص في تعريب كتب الرياضيات ، ثم انتقل إلى مدرسة المهندسخانة ، وتولى بها تدريس العربية والفرنسية والترجمة ، وعرب كثيرا من الكتب الرياضية وكانت كلها تدرس في المدارس ، وله غير ذلك من الكتب التي تجل عن الحصر ، كما يقول عنه العلامة

على باشا مبارك ( الخطط ج ٨ ص ٢٢ ) ، وبعد أن قضى عشر سنوات يتولى التدريس في مدرسة المهندسخانة انتقل إلى ألابى المهندسين والسكبورجية ، وتولى ترجمة وتصحيح ما يعرب من الفنون الحربية ، وانتقل في عهد اسماعيل إلى قلم الترجمة المستجد ، واشترك في ترجمة ( السكود ) قانون نابليون ، وتولى هو تعريب قانون تحقيق الجنايات ، واستمر يرقى في المناصب حتى جعل سنة ١٢٨٧ هـ مأموراً لإدارة المدارس ، ولما أنشئت المحاكم المختلطة عين قاضياً بمحكمة مصر المختلطة ، وشغل هذا المنصب حتى توفى سنة ١٨٨١ ، وكان شاعراً أديباً ، وله ديوان شعر كبير طبع سنة ١٣١٢ هـ ، وله مقالات أدبية في مجلة ( روضة المدارس ) ، ووضع كتاباً لم يطبع في ترجمة حياة رفاعه بك رافع اسمه ( حلبة الزمن بمناقب خادمو الوطن ) ، وقد أحصى العلامة على باشا مبارك مؤلفاته وتراجمه فبلغت خمسة وستين كتاباً ورسالة ، وكتب بيده من السكر اريس ما لا يدخل تحت حصر

#### ابراهيم بك مرزوق ١٨١٧ - ١٨٦٦

شاعر أديب ، أدرك أوائل عهد اسماعيل ، وهو من تلاميذ رفاعه بك ، توفى بالخرطوم سنة ١٨٦٦ ، وله ديوان شعر جمعه محمد بك سعيد ابن جعفر مظهر باشا حكمدار السودان وسماه « الدر البهى المنسوق » ، بديوان ابراهيم بك مرزوق ، طبع بيولاى سنة ١٢٩٤ هـ

#### أبو الوفاء نصر الهورينى - توفى سنة ١٨٧٤

من خريجي بعثات محمد على ، وكان يجيد الفرنسية ، وله كتاب « المطالع النصرىة للطابع المصرىة فى الاصول الخطية » ، وكتاب « تسلية المصاب على فراق الأحباب » ،

#### محمود صفوت الساعاتى - توفى سنة ١٨٨٠

شاعر أديب ، توجه إلى الحجاز ، فأكرم أمير مكة مشواه ، وأبقاه عنده مدة ثم عاد إلى مصر والتحق بالمعية ، وعرف بالساعاتى لبراعته فى فن الساعات ، وان لم يحترفه ، وله ديوان مطبوع سنة ١٩١٢

### محمد عارف باشا

من أفاضل علماء ذلك العصر وأدبائه في اللغتين العربية والتركية ، وقد تجلّى ميله إلى العلم والأدب في إنشائه جمعية المعارف التي سبق الكلام عنها

احمد بك عبيد - توفي سنة ١٨٨٠

من نوابغ خريجي مدرسة الألسن ، ورئيس قلم الترجمة بوزارة الحرية ، وله تراجم في الفنون الحربية والرياضية ، وترجم عن الفرنسية تاريخ بطرس الأكبر ، وكان وكيلاً للحكمة التجارية بالقاهرة ، ثم قاضياً بمحكمة الاسكندرية المختلطة سنة ١٨٧٥

### خليفة افندى محمود

من خريجي مدرسة الألسن ، ومن أنبغ تلاميذ رفاة بك ، التحق بقلم الترجمة وصار رئيس القسم الخاص بترجمة التواريخ والأديبات في هذا القلم ، وله تراجم كثيرة في التواريخ، منها (إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا) وهو مقدمة لتاريخ الإمبراطور شارلسكان الذي عرّبه بعنوان (إتحاف ملوك الزمان بتاريخ الإمبراطور شارلسكان) ، لروبرتستون ولیم المؤرخ الانجليزي في ثلاثة أجزاء طبعت سنة ١٢٦٦ هـ وأدرك أوائل عصر اسماعيل وتوفي سنة ١٢٨١ هـ<sup>(١)</sup> (١٨٦٤)

### بقية أعلام الأدب

وثمة أدباء آخرون ، مثل الشيخ محمد قطه العدوى أحد كبار الأساتذة في مدرسة الألسن ، وقد أدرك أوائل عصر اسماعيل ، والشيخ احمد عبد الرحيم الأستاذ بمدرسة الألسن ، والشيخ مصطفى سلامة ، وكلاهما من محرري الوقائع المصرية ، والشيخ ابراهيم عبد الغفار الدسوقي كبير مصححي السكتب العلية وأستاذ المستشرق (لين) والمتوفى سنة ١٨٨٢ ، و ابراهيم بك اللقاني أحد تلاميذ السيد جمال الدين الافغانى ، وكان يسكتب

(١) كما جاء في الخفظ التوفيقية ج ٨ ص ٢٣

في جريدتي ( مصر ) و(التجارة) ثم في ( مرآة السرق ) وغيرها من الصحف . والزرقاني  
الشاعر الأديب . ومحمد افندي عبد الرازق المتوفى سنة ١٨٧٣ ( ١٢٩٠ هـ ) معرب كتاب  
( غاية الأرب في خلاصة تاريخ العرب ) للسيو سيدليو طبع سنة ١٢٨٩ هـ . والشيخ حمزة  
فتح الله وقد بدأت كفايته اللغوية تظهر في ذلك العهد ، وأمين بك فكري نجل عبد الله  
باشا فكري ، وعلى بك فهمي رفاة نجل رفاة بك ، واحمد بك فتحي ناظر مدرسة  
رأس التين . وتادرس افندي وهي ( بك ) . ومحمد افندي فتى . وعبد السلام افندي سلى .  
والشيخ عثمان مدوخ ، وهؤلاء ظهرت باكورة آثارهم الأدبية في مجلة ( روضة المدارس )  
.. الخ . الخ

### علماء الهندسة والرياضيات

على باشا مبارك . مصطفى بهجت باشا . محمد مظهر باشا . احمد فايد باشا . حسين باشا  
فهمي المعمار . احمد بك السبكي . حسن بك نور الدين . وهؤلاء قد ترجمنا لهم في « عصر  
محمد علي ، ص ٥١٥ وما بعدها ( من الطبعة الأولى )

حسين حسنى باشا وقد ترجمنا له في الكتاب الحالي ص ٢٥٠

محمود باشا الفلكي

( ١٨١٥ - ١٨٨٥ )

هو محمود باشا حمدي الفلكي ، أنبغ من أنجبهم مصر الحديثة في الفلك والرياضيات ،  
ولد سنة ١٢٣٠ هـ - ١٨١٥ م ببلدة الحصنة بمديرية الغربية ، وعنى أخوه بتربيته وأدخله  
مدرسة الاسكندرية التي أنشئت سنة ١٨٢٤ في عهد محمد علي ، فارتقى إلى رتبة بلوك أمين ،  
وكان أخوه قد سبقه إلى دخول هذه المدرسة وتخرج منها ضابطاً في الأسطول ، ثم انتقل  
المترجم الى مدرسة المهندسخانة بمصر ، فبذ أقرانه من التلاميذ في العلم والذكاء وحسن  
الاستعداد ، وتخرج من المدرسة سنة ١٢٥٥ هـ وكان من أوائل الناجحين ، فعين أستاذاً مناعداً  
للعنوم الرياضية بها ، ونال رتبة ملازم ثان ، وكان من تلاميذه وقتئذ على مبارك ( باشا ) ،  
وبقى يتولى التدريس بالمهندسخانة ، وتعلم اللغة الفرنسية واستطاع أن يعرب بعض  
الكتب الفرنسية في الرياضيات ، وأخذ يتقن من ذلك الحين دراسة العلوم الفلكية في



المؤلفات التي وضعها كبار علماء الفلك بفرنسا ، ويدرس هذه العلوم لتلاميذ المهندسخانة ومن تلاميذه فيها اسماعيل ( باشا ) الفلكي ، وابتكر وضع التقاويم السنوية ، فوضع تقويمًا لسنة ١٢٦٤ هـ قارن فيه بين التواريخ الهجرية والميلادية والقبطية ، وبين مواقع الشمس والقمر لتلك السنة ، وعُرف بين الناس من ذلك الحين بلقب ( الفلكي ) ، الذي لازمه طول حياته

وفي سنة ١٢٦٦ هـ ( منتصف سنة ١٨٥٠ ) اعتزم عباس باشا الأول إعادة تنظيم رصدخانة بولاق ( دار الرصد ) المنشأة في عهد محمد علي ، فأنفذ ثلاثة من نوابغ المهندسين إلى باريس للتخصص في الفلك ، وهم المترجم وكان مدرسا بالمهندسخانة وحسين افندي ابراهيم ، واسماعيل مصطفى الفلكي ، وكانا قد أتماداستها بالمدرسة ، فسافروا إلى أوروبا سنة ١٨٥١ ، ومسك المترجم نحو تسع سنوات مكبا على استكمال العلوم حتى نبغ في الرياضيات والفلك

وكان يواصل الحضور بدار الرصد في باريس ، وزار دور الرصد في مختلف النواحي بأوروبا ، وظهر نبوغه هناك بإدخاله بعض إصلاحات في الآلة المسماة بالتيودوليد ، ونشر بعض مباحث فلكية في المجلات الأوروبية ، ووضع أثناء دراسته بباريس الرسائل الآتية :

( ١ ) رسالة عن التقاويم الإسلامية والاسرائيلية طبعت سنة ١٨٥٥ بيروكسل  
( ٢ ) رسالة عن التقاويم العربية قبل الإسلام حقق فيها مولد النبي عليه الصلاة والسلام ونشرت في المجلة الآسيوية ثم عربها الأستاذ احمد زكي ( باشا ) بعنوان ( نتائج الافهام في تقويم العرب قبل الاسلام ) - ( ٣ ) رسالة عن فعل « كان » ، - ( ٤ ) رسالة عن المواد المغناطيسية الأرضية قدمها سنة ١٨٥٦ إلى المجمع العلمي بفرنسا

ونال المترجم أعظم الشهادات العلمية ، ثم عاد إلى مصر في عهد سعيد باشا سنة ١٨٥٩ ، فأنعم عليه برتبة أميرالاي ، وعهد اليه وضع خريطة مفصلة للقطر المصري ، فاضطلع بهذه المهمة وشرع في تخطيط تلك الخريطة بمعاونة بعض المهندسين ، ورتب

الرسوم وأبرز من جليل صنعه وجميل وضعه لما انبهرت منه العقول ووقفت على مقدار براعته ، (١)

فأنجز خريطة جامعة للوجه البحري لم يسبقه اليها أحد من العلماء والمهندسين ، ووضع خريطة أخرى للوجه القبلي ، وأخرى عن مدينة الاسكندرية

وفي سنة ١٢٧٦ هـ عهد اليه سعيد باشا بالرحلة إلى دنقله لملاحظة كسوف الشمس الكلي ، فأدى هذه المهمة ، وانتهز هذه الفرصة فحقق المواقع الفلكية على النيل ، ووضع رسالة مسببة عن هذا الكسوف قدمها الى سعيد باشا وإلى أكاديمية العلوم بباريس فنالت استحسان العلماء

وخطط معالم الاسكندرية القديمة ، ونقب في حفارها ، وهو أول عالم عصري كشف عن آثار الاسكندرية وموقع سورها القديم ، وله في ذلك رسالة بديعة باللغة الفرنسية عن الاسكندرية القديمة طبعها سنة ١٨٦٦ ، وهي رسالة تتضمن نتائج مكتشفاته وما قام به من النقب والحفر ، وما وصل اليه من كشف معالمها القديمة ، كأسوارها ، وشوارعها ، وأقنيتها ، ومراسحها ، ومتحفها ، ومكتبتها الشهيرة ، وقصورها ، ومبانيها ، وضواحيها ، ولم يسبقه إلى هذه المكتشفات المؤسسة على عمليات الحفر عالم عصري من الافرنج ، لأن مهندسى الحملة الفرنسية لم يسكن لديهم الوقت ولا الوسائل الكافية للحفر والتنقيب (٢) ، وقد بحث اثنان منهم في مواقع الاسكندرية ، أولهما المسيو سان جنيس Seini Genis أحد مهندسى الحملة ، وله في الاسكندرية القديمة بحث مستفيض منشور في الجزء الخامس من كتاب (تخطيط مصر) Description de l'Egypte ، وليكن المسيو سان جنيس لم ينقب ولم يحفر الأرض كما فعل محمود باشا الفلكي ، بل اكتفى بذكر نتائج مشاهداته وآرائه التاريخية ، وكذلك كتب المسيو جراتيان لويير Gratien Lepere بحثا في وصف الاسكندرية نشر في الجزء الثامن عشر ، اقتصر فيه على تدوين مشاهداته وما

(١) عن ترجمة حياته بقلم اسماعيل بك (باشا) الفلكي والأميرالامى محمد مختار بك (باشا) في محاضرة القاها بالجمعية الجغرافية بجلسة ٨ يناير سنة ١٨٨٦ ونشرت في مجلة الجمعية بمجموعة ٢ عدد ١٢

(٢) عن تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١٦٦ (طبعة اولي)

نقله عن مؤرخى الافرنج والعرب ، وللمسيو نورى Notry وللمسيو مارتان Martin وكلاهما من مهندسى الحملة الفرنسية بختان أقل أهمية من أبحاث سان جنيس وجراتيان لويير ، منشوران فى الجزء الخامس عشر من كتاب ( تخطيط مصر ) ، وكل هذه المباحث لم تكن مقرونة بأعمال الحفر والتنقيب

فحمود باشا الفلكى هو أول عالم عصرى خطط معالم الاسكندرية القديمة ، على ما كشفت له أعمال الحفر تحت الأرض ، وقد بذل فى مكشفاتة جهوداً كبيرة ، وكان تحت إمرته جماعة من المهندسين المصريين ، ونحو مائتى عامل يشتغلون فى النقب والحفريات ، وبما أفرد عمله وميزه أنه استنار الأرض فى عهد الخديو اسماعيل باشا ، أى قبل أن تغطى بالمباني الحديثة ، وتضيع معالم الآثار ، فهو أول من خطط سور البطالسة القديم تخطيطاً مبنياً على الاكتشاف والفحص الدقيق

ورسالة محمود باشا الفلكى مقرونة بخريطة هى أبداع مارسمه العلماء والمهندسون عن الاسكندرية القديمة ، وإليها يرجع علماء أوروبا فى أبحاثهم

وقد خالف علماء الحملة الفرنسية فى بعض آرائهم ، فعين لمدينة (كانوب) مكاناً غير الذى عينوه ، وكشف أطلال مدينة تابوزيريس (بوصير - غربى الاسكندرية) التى يسمى الفرنسيون برجها برج العرب

وله رسالة ممتعة فى التوضيح عن عمر الأهرام والغرض الأصيل من تشييدها ، وتناسبها مع كوكب الشعرى ، وأخذ بنفسه مقاييس الأهرام وموقعها من التناسب الفلكى قال الأمير الالى محمد مختار بك (باشا) فى هذا الصدد : « وكنت موجوداً معه عند شروعه فى أخذ مقاييس الأهرام وموقعها من التناسب الفلكى ، وأعلم علم اليقين أنه وصل إلى معرفة الغرض من تشييدها ، إذ وجدها محكمة البناء فى رسم يقابل كوكب الشعرى عند طلوعه ، فكان الذى بناها قصد أن يجعلها مزولة ليعرف منها يوم شم نسيم العلماء ، وكذلك لأجل تعريض جثث المدفونين فيها لموافاة صعود الكوكب المذكور ، فيسبغ عليهم من آياته رحمة وغفرانا ، لأن كوكب الشعرى كان من معبودات المصريين القدماء ،

وله رسالة فى التنبؤ بارتفاع النيل قبل وقوعه ، وأخرى عن ضرورة إنشاء دار

الرصد بمصر ، وأخرى في توحيد موازين العملة في الديار المصرية ، ورسالة في المقاييس والمكاييل في مصر ، وترجم كتاب ( حساب التفاضل والتكامل )

وعين سنة ١٨٧١ ناظراً لمدرسة المهندسخانة ، وتولى نظارة الرصدخانة ، وإذ كان وكيلاً للجمعية الجغرافية ، فقد ناب عن الحكومة المصرية في المؤتمر الجغرافي الذي عقد ببازيس سنة ١٨٧٥ ، والمؤتمر الجغرافي الآخر الذي عقد بمدينة البندقية سنة ١٨٨١ ومن أعماله إنشاء مدفع الظهر بالقلعة ، وأنشأ على سطح منزله ( بميدان الفلكي ) مزولة تبين ساعات النهار ، ورفعت من مكانها بعد وفاته

وقد تولى وزارة الأشغال سنة ١٨٨٢ في عهد وزارة اسماعيل راغب باشا ، وعين وكيلاً لوزارة المعارف في وزارة شريف باشا سنة ١٨٨٢ - ١٨٨٤

ثم عهد إليه بوزارة المعارف في عهد وزارة نوبار باشا الثانية سنة ١٨٨٤ ، وتولى رئاسة الجمعية الجغرافية الخديوية ، وبقى يتولاها مع الوزارة إلى أن توفي في ١٩ يولييه سنة ١٨٨٥

وقد أبنته الجمعية الجغرافية الخديوية في اجتماعها يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٦ ، وألقى كل من اسماعيل بك مصطفى الفلكي والأميرالاي محمد مختار بك محاضرة في ترجمة حياته وماآثره ، واقترح الأميرالاي محمد مختار بك اقتناء مكتبة المترجم ، وما فيها من نفائس الكتب ، وما خطه وما دونه من ملاحظاته ومعلوماته ، ونتائج اختباراته العلمية ، وكان المترجم يفكر في إعداد قاعة عامة للبطالعة بداره يعرض فيها لمن يرغب من محبي الاطلاع كل ما وصل اليه من نفائس الكتب والخرائط والمخطوطات ، وقد تحققت هذه الفكرة سنة ١٩٢٩ ، إذ وهبت كريمته مكتبة الفقييد إلى الحكومة

اسماعيل باشا الفلكي - توفي سنة ١٩٠١

هو اسماعيل باشا مصطفى الفلكي ، من تلاميذ محمود باشا الفلكي ، ومن نوابغ علماء الرياضيات والفلك ، أتم دراسته في مدرسة المهندسخانة ببولاق والتحق سنة ١٨٤٥ على عهد محمد علي بالرصدخانة القديمة التي كانت ببولاق ، ثم أوفده عباس الأول سنة ١٨٥٠

ضمن البعثة التي خصصها لدراسة الفلك ، وكانت مؤلفة من محمود حمدي (باشا) الفلكي ، ومن المترجم وحسين افندي ابراهيم ، ومكث اسماعيل أربعة عشر عاما في فرنسا يدرس علوم الفلك ، ويتفقه فيها ، ويمارسها في دور الرصد ، فجاز بحق هو ومحمود باشا لقب (الفلكي) ، ومارس أيضا صناعة الآلات الفلكية ، وأتقنها في باريس ، وعاد إلى مصر في أوائل عهد اسماعيل ، فقدر كفاءته وأنعم عليه بالرتبة الثانية ، ولما أنشأ الرصدخانة بالعباسية عهد اليه بنظارتها ، وقد عهد اليه دراسة مشروع سكة حديد سواكن - بربر بالسودان . فبحثه ووضع تصميما له ، ولكنه لم ينفذ ، وناب عن الحكومة سنة ١٨٧٣ في مؤتمر الإحصاء الدولي بموسكو ، فأعجب العلماء بكفاءته وسعة اطلاعه ، وتولى نظارة الرصدخانة ونظارة مدرسة المهندسخانة

ومن أعماله أنه أصاح مقياس النيل في أسوان سنة ١٨٧٠ ، وله مؤلفات في الفلك والرياضيات أهمها (١) الآيات الباهرة في النجوم الزاهرة ، طبع ذيلا لمجلة روضة المدارس و (٢) الدرر التوفيقية و (٣) تقاويم فلكية كان ينشرها كل عام بالعربية والفرنسية (٤) والتحفة المرضية في المقاييس والموازن المترية معربة عن الفرنسية شاركه في تحريرها صادق بك شنن

### سلامة باشا

هو سلامة باشا ابراهيم ، مفتش هندسة الوجه البحري ، ثم مفتش هندسة الوجه القبلي ، ثم مفتش عموم ديوان (وزارة) الأشغال ، وهو من كبار المهندسين في ذلك العصر ، وأصله من الاسكندرية ، وأبوه السيد ابراهيم شراييه بن صالح شراييه من أهالي الثغر<sup>(١)</sup> ، وله آثار تشهد له بالكفاءة في الأعمال الهندسية ، منها أنه أنشأ ترعة الساحل ، وكان وقتئذ وكيلًا لمظهر باشا مفتش بحر الشرق ( فرع دمياط ) على عهد سعيد باشا ، واشترك مع مصطفى بهجت باشا في إنشاء الترعة الابراهيمية ، وهي من أجل أعمال

(١) عن حجة شرعية حررها سلامة باشا في يوم الأحد ١٥ المحرم سنة ١٣٠٠ مسجلة

# كُتِبَ الْمَسِيدَةُ وَالْيَاضِيَّاتُ فِي عَضُدِ انْهَابِكُمْ



محمد مظهر باشا



مصطفى بدرجت باشا



علي باشا مبارک



شمسود باشا الفلکی



احمد عیسیٰ باشا الفلکی



حسین نجفی باشا



احمد عیسیٰ باشا محمد



عامر بک بعد

ال عمران التي أنشئت في ذلك العصر ، وفي إقامة قناطر التقسيم على الترعَة المذكورة ، وهي من أعظم قناطر الري في العالم

محمد ثاقب باشا

من أهالي القرشية بمديرية الغربية ، ومن مشاهير المهندسين في عصر محمد علي وإسماعيل ، حضر بعض المواقع الحربية على عهد محمد علي ، وعاون مصطفى بهجت باشا في بناء القناطر الخيرية ، وصار مفتش هندسة الوجه القبلي ، توفي سنة ١٨٧٤

إسماعيل باشا محمد

ناظر قلم الهندسة ورئيس إدارة دروس المدارس الملكية ، ثم مفتش هندسة الوجه القبلي ، واشترك في إتمام ترعة الابراهيمية وقناطرها ، وهو الذي صار رئيس مجلس شوري القوانين سنة ١٨٩٩

أحمد بك نجيب

أستاذ الرياضة بمدرستي أركان حرب والطوبجية ، وله كتاب (التحفة البهية في الهندسة الوصفية) ، طبع سنة ١٢٩٠ هـ

حسين أفندي علي الديك

مدرس الحساب بمدرسة المحاسبة ، وله كتاب قيّم في مسك الدفاتر اسمه ( عدة الحاسب وعمدة الكاتب ) طبع سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) وله كتاب (عمل الدواوين المتواتر في بيان رسوم الدفاتر) طبع سنة ١٢٩١

علي أفندي عزت

أستاذ العلوم الرياضية بالمهندسخانة ، توفي سنة ١٨٧٢ وله كتاب (حسن الصنعة في علم الطبيعة) طبع سنة ١٢٧٠ هـ ، و (النخبة العزية في تهذيب الأصول الهندسية) طبع سنة ١٢٧٤ و (الخلاصة العزية في تهذيب الأصول الحسابية) طبع سنة ١٢٨٥

عامر بك سعد

أستاذ الرياضيات بالمدارس الحربية ، وله ( المنحة الزهرية في الأعمال الجبرية )  
طبع سنة ١٢٦٩ هـ ، و ( أحسن الوسائل لتصريف السوائل ) طبع سنة ١٢٩١ ، وهو ملخص  
القواعد النظرية في تصريف المياه من البحيرات والجداول

السيد عمارة

من تلاميذ رفاة بك ، وله كتاب ( تهذيب العبارات في فن أخذ المساحات ) عربيه عن  
الفرنسية بإرشاد رفاة بك

### علماء الطب والجراحة

محمد علي البقلي باشا . احمد حسن الرشيدى بك . محمد الشافعى بك . حسين عوف  
باشا . وهؤلاء قد ترجمنا لهم في « عصر محمد علي » ، ص ٥٢١ وما بعدها ( طبعة أولى )

محمد درى باشا

( ١٨٤١ - ١٩٠٠ )

كبير الجراحين في عصره ، ولد بالقاهرة سنة ١٢٥٧ هـ ، وأبوه السيد عبد الرحمن  
احمد من محلة أبى على القنطرة ( غربية ) ، تلقى التعليم الابتدائى والثانوى ، ثم التحق  
بمدرسة المهندسخانة في عهد نظارة على باشا مبارك ، لسكنه كان ميالا إلى الطب ، فما زال  
يسعى في الانتقال إلى مدرسة قصر العينى حتى وفق إلى غرضه سنة ١٢٦٩ هـ ، والتحق  
بها ، وأكب على الدراسة ، ونجح في الامتحان السنوى ، ولكن سعيد باشا أمر بإلغاء  
مدرسة الطب وأخرج منها تلاميذها ، فكان المترجم ضمن من ألقوا بأحدى الأورط  
العسكرية في الجيش ، فلم يتسرب اليأس إلى نفسه ، وأخذ يعنى بالاطلاع على المعلومات  
الطبية ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، واشتغل بمرضا في الجيش ، وظل كذلك إلى أن أعاد  
سعيد باشا فتح مدرسة الطب ، فعاد إليها المترجم ، وأتم دراسته بها ، وظهرت عليه علامات  
الذكاء والنبوغ ، فعين مساعداً ومعيداً للجراحة بالمدرسة



وفي سنة ١٢٧٩ هـ أوفد سعيد باشا بعثة من الأطباء لإتمام دراستهم في باريس مؤلفة من الأطباء محمد بك فوزي ، ومحمد بك عامر ، وقاسم بك فتحى ، ومحمد بك القطاوى ، وعلى بك رياض ، ومحمد بك زهران ، وعقباوى افندى ، والمترجم ، وكان أصغرهم سناً ، وقد استدعت الحكومة هؤلاء الأطباء فى أوائل عهد اسماعيل ، قبل إتمام دراستهم ، لاحتياج الحكومة اليهم ، فرجعوا إلى مصر ، عدا المترجم فقد استثنى منهم لصغر سنه ، فأكمل معارفه الطبية وأتم دروسه على أشهر جراحى العالم وقتئذ ، وبقي يوالى الدرس والتخصص فى باريس نحو سبع سنوات ، ونبغ فى الجراحة نبوغاً عظيماً ، شهد له به أساتذته ، وفى خلال هذه المدة قابل الخديو اسماعيل فى باريس ، فشمله بعطفه ورعايته ، إذ سمع من أساتذته الثناء المستطاب على كفاءته واجتهاده

وعاد المترجم إلى مصر ، فتقلد المناصب الطبية ، وأهم ما تقلده منصب كبير الجراحين بمستشفى قصر العيني ، والأستاذ الأول للجراحة بمدرسة الطب ، وأنعم عليه بالرتب إلى أن نال الباشوية سنة ١٣١٥ هـ ، وسطع نجمه فى الجراحة ، وذاعت شهرته فيها حتى عمت أرجاء البلاد ، وبلغ ذروة الشهرة بما عرف عنه من النبوغ فى فنه ، والمهارة فى إجراء العمليات الجراحية الخطيرة ، والدقة فى تشخيص الداء والدواء ، والتفانى فى الإخلاص لعمله وفنه ، وحب الانسانية ، والبر بالفقراء والمعوزين ، هذا إلى تعلقه بالعلم والتأليف ، فقد اقتنى مكتبة عليية من أنفس المكاتب ، وألف مجموعة تشريحية من أعظم ما جمعه الأطباء ، وأنشأ لنفسه مطبعة لطبع مؤلفاته ورسائله ، سميت المطبعة الدرية ، كان يطبع فيها المؤلفات الطبية التى ظهرت فى عصره ، وقد ظل مخلصاً لفنه وللعلم حتى وافته المنية ليلة ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٠ ، وأهم مؤلفاته الطبية « بلوغ المرام فى جراحة الأجسام » طبع بالمطبعة الدرية فى أربعة مجلدات ، وله « الإسعافات الصحية فى الأمراض الوبائية » طبع سنة ١٣٠٠ هـ

حسن بك عبد الرحمن

توفى سنة ١٨٧٥

تخرج من مدرسة الطب بقصر العيني ثم تولى تدريس التشريح فيها ونبغ فى هذا الفن ،

وترجم كتاب ( القول الصحيح في علم التشريح ) طبع سنة ١٢٨٣ هـ بإرشاد محمد علي باشا  
البقلي إذ كان ناظراً لمدرسة الطب

محمد بك حافظ

توفي سنة ١٨٨٧

تخرج في مدرسة قصر العيني ، وأتقن فن الرمد بأوروبا ، ثم تولى تدريسه بقصر  
العيني ، وله كتاب ( مطمح الأنظار في تشخيص أمراض العين بالبحث بالمنظار ) طبع  
سنة ١٢٩٩ هـ

سالم باشا سالم

توفي سنة ١٨٩٣

من القنایات بمديرية الشرقية ، تعلم في مدرسة الألسن ، ثم في مدرسة الطب ، وأوفدته  
الحكومة في عهد عباس باشا الأول لإتمام دراسة الطب في مونيخ بألمانيا ، فأكمل دراسته  
علماً وعملاً ، وعاد إلى مصر ، وارتقى في المناصب الطبية وجعله الخديو توفيق باشا طبيبه  
الخاص ، وله من المؤلفات (١) وسائل الإبتهاج إلى الطب الباطني والعلاج طبع سنة ١٢٩٨ هـ  
في أربعة مجلدات و (٢) دليل المحتاج في الطب والعلاج و (٣) الينابيع الشفائية والمياه  
المعدنية

جليلة تمرهان

توفيت سنة ١٨٩٩

من خريجات مدرسة القابلات (الولادة) ، ثم تولت التدريس فيها ، ولها في فن الولادة  
كتاب ( محكم الدلالة في أعمال القبالة ) طبع سنة ١٢٨٦ هـ

محمد بك بدر

توفي سنة ١٩٠٢

من زاوية البقلي بمديرية المنوفية ، ومن خريجي مدرسة الطب بقصر العيني ، وأحد تلاميذ محمد علي باشا البقلي ، أتم دراسته في إنجلترا وعاد منها في عهد سعيد ، فتولى مناصب عدة حتى صار أستاذاً في مدرسة الطب ، ونال منزلة رفيعة لدى اسماعيل ، وله من المؤلفات (١) الفرائد الدرية في علم الشفاء والمادة الطبية طبع سنة ١٣٠٧ هـ و (٢) الدرر البدرية النضيدة في شرح الأدوية الجديدة طبع سنة ١٣١٠ و (٣) الصحة التامة والمنحة العامة طبع سنة ١٢٩٦ هـ

أحمد حمدي باشا

توفي سنة ١٩٠٣

هو نجل الدكتور محمد علي باشا البقلي ، ومن خريجي مدرسة قصر العيني ، ثم أتم دراسته في باريس وبعد عودته إلى مصر سنة ١٨٦٩ عين أستاذاً للعمليات الجراحية في حياة أبيه ، وحذا حذوه في التأليف

حسن باشا محمود

(١٨٤٧ - ١٩٠٦)

ولد بقرية الطالبية في طريق الأهرام<sup>(١)</sup> ، وتلقى علومه بالمدرسة الخيرية ، أوفدته الحكومة سنة ١٨٦٢ ضمن بعثة مدرسية إلى ألمانيا لدراسة الطب ، وعاد سنة ١٨٧٠ ، فعين أستاذاً للتشريح في مدرسة قصر العيني ، وتقلد مناصب عدة ، إلى أن صار ناظراً لمدرسة الطب ، وله مؤلفات قيمة ومباحث طبيه كان ينشرها في المجلات العلمية كروضة المدارس ثم المقتطف

ابراهيم باشا حسن وعيسى باشا حمدى

كلامهما من نوابغ الاطباء . وللأول كتاب (روضة الآسى فى الطب السياسى) ، طبع سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦) ، وتولى الثانى نظارة مدرسة الطب سنة ١٨٨٣ ، وله عدة مؤلفات طبية

عبد الرحمن بك الهراوى

توفى سنة ١٩٠٦

من خريجي مدرسة قصر العينى ، أتم دراسته بأوروبا ، وعين بعد عودته أستاذاً للفسيولوجيا وأمراض الجلد ، ثم صار وكيلاً للمدرسة سنة ١٨٨٠ ، وله كتاب فى الفسيولوجيا لم يطبع

### علماء الطبيعيات

أحمد بك ندا ، عبد الهادى اسماعيل ، وقد ترجمنا لهما فى (عصر محمد على) ص ٥٣٤

على بك رياض ، توفى سنة ١٨٨٩

تلقى علم الصيدلة بمصر ، وأتم دراسته فى أوروبا ، وتولى تدريس الأقرباذين والكيمياء فى مدرسة الطب ، وجعل كبير صيادلة مستشفى القصر العينى ، وله من المؤلفات: (١) النفحة الرياضية فى الأعمال الأقرباذينية طبع سنة ١٢٨٩ هـ (٢) الأزهار الرياضية فى المادة العظية طبع سنة ١٢٩٨ هـ (٣) التوفيقات الإلهية فى التاريخ الطبيعى ، طبع سنة ١٢٩٨ هـ

منصور افندى أحمد

أستاذ الكيمياء بمدرسة المهندسخانة ومؤلف كتاب (عمدة المتطيين فى فن الصيدلة المعروف بالأقرباذين) طبع سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦)

# علماء الطب والجلجرح في عصر اسماعيل



## علماء الفقه والقانون



محمد قدرى باشا

( ١٨٢١ - ١٨٨٦ )

العالم المشرع الكبير ، ولد بملوى حوالى سنة ١٨٢١ ، من أب أناضولى وأم  
مصرية ، وتلقى التعليم الاولى بمكتب ملوى ، ثم التحق بمدرسة الألسن على عهد رفاعة  
بك رافع الطهطاوى ، فظهر نبوغه وميله إلى العلم والترجمة ، وبعد أن تخرج فيها جعل  
مترجما مساعداً بها ، واتجه ميله إلى دراسة علوم الفقه ومقارنة الشريعة الإسلامية  
بالقوانين الأوروبية ، فحضر بعض دروس الفقه بالأزهر ، وأقبل على كتب الشرع  
يدرسها ويتفهمها ، وظل يشغل مناصب الترجمة فى الحكومة إلى أن قربته الخديو اسماعيل  
واختاره مريسا لولى عهده الأمير محمد توفيق ، ثم عين بالمعية ، فالمحكمة التجازية  
بالاسكندرية ، فريسا لقلم الترجمة بوزارة الخارجية ، ومشارك رفاعة بك فى تعريب  
السكرود ( قانون نابليون ) ، واختص هو بتعريب قوانين المحاكم المختلطة تمهيداً لوضع  
قوانين المحاكم الأهلية الجديدة ، وجعل مستشاراً بمحكمة الاستئناف المختلطة ، وله آثار  
علية عدة ، أهمها كتبه الثلاثة الخالدة التى جمع فيها أحكام الشريعة الإسلامية ، وصاغها  
فى مواد محكمة الوضع على أسلوب القوانين الأوروبية ، وهذه الكتب هى : ( مرشد  
الخيران إلى معرفة أحوال الانسان ) على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان

في المعاملات المدنية الشرعية ، وكتاب ( الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية ) ،  
وكتاب ( قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف ) ، وهذه الكتب  
هي مرجع رجال القضاء والقانون في المحاكم الأهلية والشرعية والمختلطة ، وعمدة كل  
مشتغل بالعلوم الفقهية والقانونية

وله أيضا كتاب لم يطبع في ( تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقا لمذهب  
أبي حنيفة )

وتولى وزارة الحقانية في وزارة شريف باشا الدستورية سنة ١٨٨١ على عهد الخديو  
توفيق باشا ، ووضع في هذا العهد مشروع النظام القضائي للمحاكم الأهلية الجديدة ، وفي  
سنة ١٨٨٣ افتتحت هذه المحاكم ، وصدرت قوانينها ، وهي القانون المدني وقوانين التجارة  
والمرافعات والعقوبات ، وكان المترجم وقتئذ وزيرا للمعارف في عهد وزارة شريف باشا  
الرابعة ، وهي الوزارة التي استقالت احتجاجا على إخلاء السودان

الشيخ محمد العباسي المهدي

( ١٨٢٧ - ١٨٩٧ )

شيخ الإسلام ، ومفتي الديار المصرية ، وصاحب الفتاوى المهدية التي تعد مرجع  
العلماء في الفقه الاسلامي ، وهو ابن الشيخ محمد أمين المهدي مفتي الديار المصرية الأسبق  
ابن الشيخ محمد المهدي أحد كبار علماء مصر في عهد الحملة الفرنسية وأوائل عهد محمد علي  
( ترجمناه في الجزء الثاني من تاريخ الحركة القومية ص ٢٩٩ )

تلقى العلم بالأزهر ، ونبغ في علوم الفقه ، وتولى منصب الفتيا وهو بعد في الحادية  
والعشرين من عمره ، على عهد ابراهيم باشا ، وظهرت مزاياه التي رفعت مكانته ، وأهمها  
الذكاء ، وسعة العلم ، وقوة الحججة ، وقد وقف من الحكومات المتعاقبة موقف الكرامة  
والاستمسك بالحق ، حتى استهدف في بعض المواطنين لغضب ولالة الأمور ، فلم يسكن  
يبالي غضبهم ، ولم يتحول عن الحق ، وتلك كبرى مزاياه وفضائله ، وقد زاد مقامه علوا  
في عهد اسماعيل ، إذ جمع بين الافتاء ومشيخة الأزهر سنة ١٨٧١ ، ونال احترام الخديو  
وثقته ، وكان يرجع إلى رأيه في كل ماله مساس بالشرعية الاسلامية ، وبدأ على يده

# إهداء الألبان



الشيخ  
عبد الهادي نججار  
البياري



جمال الدين الأفغاني



الشيخ  
حسين  
المصري



الشيخ محمد علي اللثي



علي قاسم مبارك



عبد الله باشا فكري



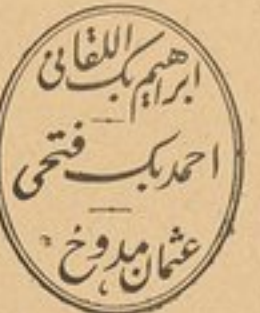
ابراهيم بك الموتي



خير الدين البارودي



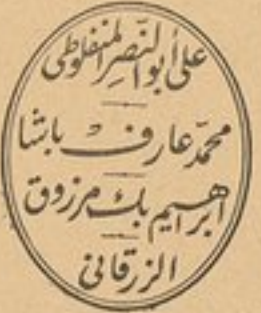
محمد بك عثمان جلال



ابراهيم بك اللثي  
احمد بك فتي  
عثمان مدوخ



علي بك فخر رفاعه  
امين بك فكري  
الشيخ حمزه فخر الله



علي ابو النصر المنفلوطي  
محمد عارف باشا  
ابراهيم بك مرزوق  
الزرقاني



# فِي عَصْرِنَا اسْتَمَاعِيكَ



عبدالله ندي



الشيخ أحمد عبدو



اديب اسحق



مجمة  
صفوة  
السيدات



رفاعية رافع الطهطاوي



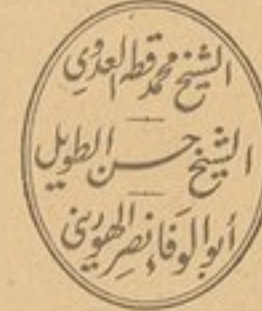
عبدالله  
ابو السيد



الشيخ احمد الجريمي  
الشيخ مصطفى سلام  
الشيخ برهم الدروني



عائشة عصمت تيمور



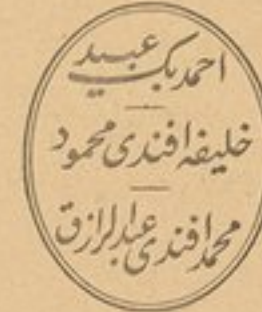
الشيخ محمد العدي  
الشيخ حسن الطويل  
ابو الوفاء نصر الهوني



تادرس كويتي  
محمد افندي فني  
عبد اسلام سليمي



السيد صالح مجاري بك



احمد بك عبيد  
خليفة افندي محمود  
محمد افندي عبدالرزق

إصلاح نظام التعليم في الأزهر كما تقدم بيانه ص ٢٠٣ ، واستمر محتفظا بمكانته في عهد الخديو توفيق ، ولما قامت الثورة العراقية لم يسكن من أنصارها ، فاستهدف لغضب العراقيين ، وعزل من مشيخة الأزهر ، ولما انتهت الثورة أعيد إلى مشيخة الأزهر واستمر متقلداً الافتاء والمشيخة حتى عزل عنهما لمعارضته الحكومه على عهد توفيق باشا فيما يخالف الشريعة ، ثم عاد اليه الافتاء وتقلده ، إلى أن وافته منيته ليلة ١٦ رجب سنة ١٣١٥هـ

o o o

ومن علماء الفقه المعدودين في هذا العصر: الشيخ محمد عليش ، والشيخ ابراهيم السقا ، والشيخ عبد الرحمن البحر اوى ، والشيخ حسونه النواوى الخ

### علماء الفنون الحربية والبحرية

على باشا ابراهيم ، حماد عبد العاطى باشا ، وقد ترجمنا لهما في ( عصر محمد على )

ص ٥٣٠

محمود باشا فهمى

توفى سنة ١٨٩٤

أحد زعماء الثورة العراقية ، ولد سنة ١٢٥٥ هـ في الشنطوز بمركز بيا من مديرية بنى سويف ، وتخرج في مدرسة المهندسخانة ببولاق ، ومهر في الفنون الهندسية والحربية وانتظم في سلك الجيش ، ثم جعل أستاذاً لعلم الاستحكامات والفنون العسكرية في المدارس الحربية ، على عهد سعيد واسماعيل ، وعهد اليه الخديو اسماعيل تحصين شواطئ مصر الشمالية من أبو قير إلى البرلس ، فاضطلع بهذه المهمة ، وجدد الحصون القديمة ، وأقام حصونا جديدة ، وارتقى في الرتب العسكرية ، واشترك في حرب البلقان سنة ١٨٧٦-٧٧ ، وكان رئيس أركان حرب الفرقة المصرية بها



محمود باشا فهمي

توفي سنة ١٨٩٤

ولما شبت الثورة العراقية كان من زعمائها كما سيجيء بيانه في موضعه من كتاب (الثورة العراقية) ، وتولى وزارة الأشغال في وزارة محمود باشا سامي البارودي سنة ١٨٨٢ ، وأسر قبل واقعة التل الكبير ، فكان أسره من أسباب هزيمة الجيش المصري ، وحوكم ضمن زعماء الثورة ، ونفي إلى سيلان ، وهناك وضع كتابه (البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر) ، وتوفي في منفاه سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٤) ، وبعد وفاته طُبع كتابه سنة ١٣١٢ هـ في أربعة مجلدات



محمد مختار باشا

( ١٨٣٥ - ١٨٩٧ )

من رجال السيف والقلم ، ولد في بولاق سنة ١٨٣٥ ، وتلقى التعليم الابتدائي ، ثم تلقى  
الفنون الحربية ، وانتظم في خدمة الجيش وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وارتقى  
في المناصب العسكرية حتى نال رتبة لواء في سنة ١٨٨٦ ، واشترك في حملة هرر كما تقدم  
بيانه ص ١٣٣ ، ثم جعل رئيس أركان حرب الجيش المصري بالسودان ، وعين مأموراً  
للخاصة الخديوية في عهد الخديو عباس حلمي الثاني ، وبقي يتولى هذا المنصب إلى أن توفي  
في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٧

وقد أسبغت عليه حياته العلمية منزلة ممتازة ، وبحسب من المؤلفين والعلماء أكثر مما  
يعد من رجال الحرب ، وحسبك أنه صاحب الكتاب القيم ( التوفيقات الإلهامية في  
مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية ) من السنة الأولى للهجرة إلى عام  
١٥٠٠ هـ طبع سنة ١٣١١ هـ

وقد ذكر إزاء كل شهر أهم الحوادث التاريخية التي وقعت في مصر والعالم ، وله كتاب  
( المجموعة الشافية في علم الجغرافيا ) ورسائل أخرى في الرياضيات والفلك ، ومقالات  
ممتعة في مجلة الجمعية الجغرافية

شحاته عيسى بك

ناظر مدرسة أركان الحرب في عهد الخديو اسماعيل

محمد صادق باشا

توفي سنة ١٩٠٢

من تلاميذ مدرسة الخانكة الحربية المنشأة في عهد محمد علي ، ومن أعضاء البعثة الخامسة ، عاد من البعثة مهندساً وانتظم ضابطاً في سلك الجيش ، وهو الذي رافق سعيد باشا في رحلته بالحجاز ، وعين مفتشاً بمصلحة المساحة برآسة استون باشا ، وله مباحث قيمة في مجلة الجمعية الجغرافية

سليمان قبودان حلوه

توفي سنة ١٨٨٥

من المنوفية ، ولد سنة ١٢٣٥ هـ وتخرج في مدرسة الطوبجية على عهد محمد علي ، وحذق الفنون الحربية والرياضية ، وجعل أستاذاً للهندسة والحساب بالمدرسة البحرية القديمة ، ومهر في الفنون البحرية وأتقنها ، وصار رُبَّاناً للباخرة سمهود ، فأظهر براعة في قيادتها ، وطاف بها حول القارة الأفريقية ، وجعل في عهد اسماعيل سنة ١٨٧٠ مدرساً للفنون البحرية والفلكية ، فأفاد التلاميذ فوائد جمّة ، وألف في الملاحة كتاباً اسمه ( الكوكب الزاهر في فن البحر الزاخر ) وتوفي سنة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م

### النهضة الفنية

ان النهضة الفنية تشتمل على الظواهر المعروفة بالفنون الجميلة ، وهي الفنون التي تستثير في النفس إحساس الجمال ، وتنمي فيها ملكته ، ولامرأه في أنها من عوامل نهضة الأمة ، لما تنتجه من تهذيب النفوس ، ونشاط العقول ، وترقية العواطف ، وتوسيع المدارك ، وتفتح الأذهان إلى دقة الملاحظة ، وصواب النظر

والسلام عن الفنون الجميلة يتناول الموسيقى أو الغناء ، والتمثيل ، والرسم ، والتصوير ،  
والنقش والزخرفة والعمارة

أما الرسم فقد بدأت المدارس الهندسية والصناعية والبعثات تعنى به من عهد محمد  
على ، فخرج فيها طائفة من الرسامين تولوا تدريس الرسم في المدارس العالية والثانوية ،  
والابتدائية ، ولسكن نهضة الرسم والتصوير لم تنل حظا من الازدهار في ذلك العهد  
وتخرج في مدرسة المهندسخانة والبعثات مهرة المهندسين في النقش والبناء ، وتقدم  
فن العمارة بما أقامه أولئك المهندسون من القصور والمساجد والدواوين والعمائر الجميلة  
التي تشهد لهم بحسن الذوق والحذق في هندسة البناء ، وظهر أيضا حذقهم فيما شيده  
من القناطر على النيل والرياحات والترع الكبرى ، فإن بعض هذه المنشآت تعد  
قطعة من الفن

### التمثيل والغناء

كان المجتمع في عصر اسماعيل ميالا إلى المرح والحبور ، وكان اسماعيل ذاته طروباً ،  
محباً للتمتع بالملاهي والمسرات ، وهذه الميول هي غذاء للنهضة الفنية وخاصة الغناء (١)  
(الموسيقى) ، والتمثيل

أما التمثيل فقد ساعد اسماعيل الناحية الأوروبية منه ، ثم بدت منه التفاتة قليلة  
الجدوى إلى التمثيل العربي ، فأنشأ أول ما أنشأ بالقاهرة مسرح (الكوميدي) بالأزبكية ،  
وكان الشروع في بنائه في نوفمبر سنة ١٨٦٧ واحتفل بافتتاحه في ٤ يناير سنة ١٨٦٨ (٢)  
ثم بنى دار الأوبرا سنة ١٨٦٩ لمناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس ، وتم بناؤها في  
خمسة أشهر ، وبلغت تكاليفها ١٦٠ ألف جنيه ، ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩  
أول أوبرا وانمها (ريجوليتو) ، وكانت الأمبراطورة أوجيني عقيلة نابليون الثالث في  
مقدمة من شهدوا التمثيل في تلك الليلة ، وعهد اسماعيل إلى الموسيقى الإيطالي الشهير

(١) الغناء والموسيقى بمعنى

(٢) كتاب (باريسي في القاهرة) للمسيو بريير ص ١١٧

( فردى ) أن يضع أول أوبرا مصرية تمثل بدار الأوبرا ، فقام بهذه المهمة ووضع العلامة الفرنسية مارييت باشا موضوع الرواية ، وهى رواية ( عائدة ) ، ومثلت بالقاهرة لأول مرة فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧١ ، فنالت نجاحا عظيما ، وجلبت الحكومة من ذلك الحين الجوقات الافرنجية وأغدقت عليها الأموال والهبات ، فبلغ ما صرف على أفراد إحدى الجوقات فى شتاء سنة من سنى اسماعيل ١٢٠ الف جنيه ، ولا غرابة فى ذلك فان الممثلة الواحدة كانت تأخذ أحيانا الف ومائة جنيه ، فى الشهر !

وأنشئ فى الاسكندرية مسرح ( زيزنيا ) ، ومسرح آخر اسمه ألفيرى Alfieri بشارع انسطاسى

وقد وفد على مصر حوالى سنة ١٨٧٦ جماعة من الأدباء والممثلين السوريين ، منهم يوسف خياط ، فمثلوا على مسرح زيزنيا بعض الروايات ، ثم انتقل يوسف خياط بجوقه إلى القاهرة سنة ١٨٧٨ ، فلقى تعضيدا من الخديو اسماعيل ، وأذن له أن يمثل رواياته فى دار الاوبرا ، فمثل رواية « الظلوم » وحضرها الخديو ، فلم يرقه أسلوبها ، وغضب مما تخللها من ذكر الظلم والتعريض بالظالمين ، إذ ظن أنه المقصود بهذا التعريض ، فأمر بإخراج الخياط وجوقه من مصر فعادوا إلى سوريا ، ووقفت النهضة التمثيلية فى عهد اسماعيل عند هذا الحد

### الموسيقى ( الغناء )

سرت روح النهضة والتجديد إلى الموسيقى والغناء ، فقد كان المغنون يتبعون إلى ذلك العهد الأساليب والتواشيح القديمة ، حتى ظهر (عبد الحمولى) ، المغنى الشهير ، فألهمته عبقريته الموسيقية إصلاح هذه الأساليب وإدخال روح العصر والتجديد فيها



عبد الحمولى

مجدد الغناء فى عصر اسماعيل

ولد عبد الحمولى فى طنطا حوالى سنة ١٨٤٥ ، أى أنه استقبل النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، عصر التجديد الاجتماعى ، فحمل فيه لواء النهضة الغنائية ، وهو ابن تاجرين فى طنطا ، وكان له أخ أكبر منه سنا ، وكان أبوهما يقسو فى معاملتهما ويسىء اليهما بالضرب والاضطهاد ، فلم يطيقا صبرا على هذه الغلظة ، ففرا من عنده وسارا هائمين فى الأرياف ، فساقتهما المصادفة الى رجل يشتغل بالغناء ويعزف على القانون ، فسمع صوت عبد ، فأطربه وأعجب به إعجابا كبيرا ، وعاد به الى طنطا ، وهناك أخذ يغنى معه ، ثم جاء به الى مصر ، فما أن سمعه محبو الطرب حتى اجتذبهم بصوته الجميل ، وظهرت عليه علامته النبوغ الموسيقى ، فترك صاحبه وأستاذه القديم ، وانتقل الى مغن مشهور اسمه (الشيخ المقدم) فاشتغل على تحته ، وأخذت شهرته تزدى فى الأوساط الاجتماعية ، وبدأ يبتكر أساليب جديدة فى الغناء نالت إعجاب أهل الفن وعشاق الطرب ، وبلغت شهرته الخديو اسماعيل فاجتذبه وألحقه بمعينته ، وكان ذلك فاتحة مجده ، إذ أحب فيه الخديو صوته الجميل ، فاتخذة نديمه فى حفلاته وسهراته ، وأغدق عليه الهبات والعطايا ، واصطحبه فى رحلاته الى الاستانة وهناك التقى عبد بالموسيقين الترك وسمع ألحانهم ، فاقنّبس منها ما يلائم



الروح المصرية ، وابتكر في الغناء ألحاناً جديدة هي مزيج من الموسيقى العربية والتركية ،  
فصار زعيم المجددين في الموسيقى المصرية ، واستمر يمارس الغناء وينهض بالفن ويطرب  
الناس طول حياته ، ولا غرو فهو البلبل الصдах الذي كان يحرك أوتار القلوب بصوته  
العذب ، وألحانه البديعة ، وأنغامه الجميلة ، وقد ظل ثلاثين سنة وينفامصدر السرور  
والطرب ، للأفراد والجماعات ، وكان رقيق المزاج ، دمث الأخلاق ، كريم الطباع ، عزيز  
النفس ، مخلصاً لفنّه ، ولعابه ، وهذا هو سر نبوغه وعبقريته ، وكانت وفاته سنة ١٩٠١  
واشتهر في عصره بعض السيدات في الغناء ، منهم (الماس) المغنية المشهورة ، وقد تزوج  
بها عبده ، ومنعها عن الغناء في مجالس الناس ، وكانت له من أجل ذلك حادثة استهدف  
فيها لغضب اسماعيل ، إذ طلب يوماً أن تحضر ( الماس ) إلى قصره وتغني فيه ، فرفض عبده  
أن تذهب ، فغضب الخديو ، وأمر بإحضارها قوة واقتداراً ، فاستعصم عبده ، وأصر  
على الإباء ، ووسط الشيخ على الليثي شاعر الخديو في الامر ، وانتهت الحادثة بعدول  
الخديو عن طلبه

وفي هذا العهد نشأ محمد العقاد ، الموسيقي المشهور ، أقدر من ضرب على القانون ،  
في العصر الحديث ، وقد أدرك عصر اسماعيل ، وإن كانت شهرته لم تكتمل إلا من بعد ،  
وصحب عبده الحمولى ، وحاكاه في توقيعه وأنغامه  
وصفوة القول أن عصر اسماعيل كان للنهضة الغنائية عصر الإحياء والتجديد ، وظهر  
فيه عباقرة الفن ، الذين رفعوا شأنه ، وأحلوه من النفوس مكاناً علياً .

تم الجزء الاول

ويليه الجزء الثاني

( وفيه ختام الكلام عن عصر اسماعيل )

## فهرست الجزء الأول

ص	ص	ص
٥	٣	مقدمة الطبعة الثانية
		مقدمة الطبعة الأولى

## الفصل الأول

### الرجعية في عهد عباس الأول

١٠			
	ص		
١٦	٩	نقاة عباس	ضبط الأمن
١٦	١١	ولايته الحكم	المدارس والمصانع
١٧	١١	أخلاقه	البعثات
١٧	١٢	أعماله	السودان
١٧	١٢	سياسته العامة	الجيش والبحرية
١٨	١٣	اصلاح الطريق بين مصر والسويس	اشترك مصر في حرب القرم
١٩		السكة الحديدية بين الاسكندرية	مقتل عباس
٢٢	١٤	والقاهرة	ميزة عباس

## الفصل الثاني

### النهضة الوطنية في عهد سعيد باشا

٢٣			
	ص		
٢٦	٢٣	نظرة عامة	لائحة المعاشات للموظفين
٢٦	٢٣	نشأة سعيد	أعمال العمران
٢٦	٢٤	أخلاقه	تطهير ترعة المحمودية
٢٧	٢٥	إصلاحاته الزراعية	السكك الحديدية والتلغرافات
	٢٥	اللائحة السعيدية	

ص		ص	
٤٧	قضاء الأجانب		إصلاحاته الحربية
٤٨	نغرات التدخل الأجنبي	٢٨	وبشه روح القومية في الجيش
	(١)	٣٢	البحرية
٤٨	امتياز قناة السويس	٣٢	اضمحلال الأسطول
٤٨	نظرة عامة	٣٣	شركة الملاحة النيلية
٥٢	نبذة في تاريخ المشروع	٣٤	شركة الملاحة البحرية
٥٢	في عهد الفرعنة والفتح الإسلامي	٣٥	إصلاح ميناء السويس
٥٣	في عهد الحملة الفرنسية	٣٥	حروب مصر في عهد سعيد باشا
٥٤	في عهد محمد علي	٣٥	(١) حرب القرم
٥٤	لجنة سنة ١٨٤٦	٣٧	(٢) حرب المكسيك
٥٥	في عهد سعيد باشا	٣٩	السودان
٥٧	منح امتياز القناة	٤١	رحلة سعيد باشا إلى الحجاز
٥٨	حصص التأسيس	٤٢	التعليم
٥٨	لجنة دولية للدرس المشروع		نظام الحكم في عهد عباس
٥٨	شروط الامتياز		وسعيد
٦١	مقاومة انجلترا للمشروع	٤٤	النظام السياسي
٦٢	معاضدة سعيد للمشروع	٤٤	المجلس الخصوصي
٦٢	تأليف الشركة	٤٤	الوزارات
٦٢	البدء في حفر القناة	٤٥	النظام القضائي
	(٢)	٤٥	مجلس الأحكام
٦٤	بدء القروض الأجنبية	٤٥	مجالس أو محاكم الأقاليم
٦٥	قرض سنة ١٨٦٢	٤٦	ولاية القضاء
٦٦	الدين السائر	٤٦	إلغاء مجلس الأحكام ثم إعادته
٦٦	وفاة سعيد باشا		

### الفصل الثالث

عصر اسماعيل	
٦٧	ص
ص	٦٧
فتور العلاقات ثم الجفاء بين مصر	نظرة عامة في عصر اسماعيل
٧٧	٦٩
وتركيا	نشأة اسماعيل
فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩	٧٠
وما فيه من القيود	ولايته الحكم
٧٩	٧٠
تحسين العلاقات	سياسة مصر الخارجية في عهد
٧٩	٧٠
فرمان سبتمبر سنة ١٨٧٢	اسماعيل
الفرمان الجامع (٨ يونيه سنة	٧٠
١٨٧٣)	كلمة عامة
٨٠	(١)
٨١	٧٢
عودة الجفاء	سياسة اسماعيل حيال تركيا
(٢)	٧٢
سياسة اسماعيل حيال الدول	العلاقات الودية
الأوروبية	٧٣
٨٢	٧٣
فرنسا	زيارة السلطان عبدالعزیز لمصر
٨٥	٧٦
انجلترا	تغيير نظام توارث العرش
	و فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦
	فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ والحصول
	على لقب (خديو)

### الفصل الرابع

قناة السويس	
٨٨	ص
ص	٨٨
٩٠	٨٨
٩١	٨٨
تحكيم نابليون الثالث	تبعه اسماعيل في إتمام القناة
الحكم في النزاع	سعيه في تخفيف شروط الامتياز

ص	ص
٩٥	٩١
١٠٠	٩٢
١٠١	٩٤
١٠٢	٩٥
١٠٣	

## الفصل الخامس

### السودان في عهد اسماعيل

١٠٤	١٠٤
١١٨	١٠٤
١٢٠	١٠٥
	١٠٦
١٢٢	١٠٧
١٢٣	١٠٧
١٢٤	١٠٧
١٢٥	١٠٧
١٢٦	١٠٨
١٢٧	١١١
١٢٩	١١٣
١٣٠	١١٤
١٣٠	
١٣١	
١٣٣	
١٣٧	

ص		ص	
١٥٢	اسماعيل باشا أيوب		اعتراف انجلترا بسلطة مصر في
١٥٢	غردون باشا	١٣٩	السومال
١٥٦	التقسيم الإداري	١٤٠	النزاع بين مصر والحبشة
١٥٧	الجيش المصري في السودان	١٤١	الحرب بين الانجليز والحبشة
١٥٩	أعمال العمران	١٤٢	منزنجر باشا
١٥٩	استتباب الأمن	١٤٣	فتح سنهيت وضم اقليم البوغوس
١٥٩	الزراعة	١٤٣	حرب الحبشة
١٦٠	طرق المواصلات	١٤٤	حملة ارندروب بك
	المواصلات النيلية ودار الصناعة	١٤٥	هزيمة جونديت
١٦١	بالخرطوم	١٤٥	حملة منزنجر باشا
١٦٢	الملاحة البحرية والفنارات	١٤٥	مقتل منزنجر باشا
١٦٢	مشروع السكة الحديدية	١٤٦	الحملة الكبيرة بقيادة راتب باشا
١٦٣	المدارس	١٤٧	هزيمة قورع
١٦٤	التجارة	١٤٧	عقد الصلح مع الحبشة
١٦٥	البريد	١٤٨	نتائج حرب الحبشة
١٦٥	التلغرافات		حكمدارو السودان
١٦٦	ميزانية السودان	١٤٩	في عهد اسماعيل
١٦٧	الرحلات والبعثات الجغرافية	١٤٩	موسى باشا حمدي
	الحكم المصري في السودان	١٤٩	جعفر صادق باشا
١٧٢	وشهادة الثقات من الأجانب	١٤٩	إخماد ثورة كسلا
	حدود السودان المصري	١٥٠	جعفر مظهر باشا
١٧٤	أمس واليوم	١٥١	بمتاز باشا

## الفصل السادس

الجيش	
١٧٧	كلمة إجمالية
١٧٩	هيئة اركان حرب الجيش
١٨١	الصحافة الحربية
١٨٢	تجديد السلاح والمصانع الحربية
١٨٢	انشاء ميدان للرماية
١٨٣	إدخال النظام الالماني
١٨٣	احصاء الجيش
١٨٣	افتقار الجيش الى قائد عظيم
١٧٧	مدارس الحربية التي أنشأها اسماعيل
١٧٨	مدرسة المشاة
١٧٨	مدرسة الفرسان
١٧٨	مدرسة المدفعية
١٧٩	مدرسة أركان الحرب
١٧٩	المدارس الاخرى

## الفصل السابع

البحرية	
١٨٥	ص
ص	الأسطول الحربي
١٩٠	إتمام ميناء السويس
١٩٠	إصلاح ميناء الاسكندرية
١٩١	الفنارات
١٩١	في البحر الأبيض المتوسط
١٩١	في البحر الأحمر
١٨٥	ص
١٨٦	خدمات الأسطول
١٨٧	إحصاء الأسطول
١٨٨	الاسطول التجاري
١٨٩	الشركة العزيبية
١٨٩	وابورات البوستة الخديوية

## الفصل الثامن

١٩٣	حروب مصر في عهد اسماعيل
١٩٥	حرب البلقان
١٩٦	حروب السودان والحبشة
١٩٣	إخماد ثورة العسير
١٩٤	حرب الجبل الاسود وكريت

## الفصل التاسع

### التعليم والنهضة العلمية والأدبية

١٩٧

ص		ص	
٢٤٢	جمعية المعارف		المدارس التي أنشئت في عهد اسماعيل
٢٤٤	الجمعية الجغرافية الخديوية	١٩٧	المدارس الحربية
٢٤٤	الجمعية الخيرية الإسلامية	١٩٧	المدارس العالية
٢٤٥	الصحافة	١٩٧	مدرسة المهندسخانة
٢٤٦	الصحف العلمية والأدبية والحربية	١٩٧	مدرسة الحقوق
٢٤٦	اليعسوب	١٩٨	مدرسة دار العلوم
٢٤٦	روضة المدارس	١٩٨	مدرسة الطب والولادة
	جريدة أركان حرب الجيش	١٩٨	مدارس البنات
٢٤٧	المصرى	١٩٩	المدارس الصناعية
٢٤٧	الجريدة العسكرية المصرية	٢٠٠	المدارس الخصوصية
٢٤٧	الصحف السياسية	٢٠١	المدارس الثانوية
٢٤٧	وادي النيل	٢٠١	المدارس الابتدائية
٢٤٨	نزهة الأفكار	٢٠٣	الحفلات المدرسية
٢٠٨	الوطن	٢٠٣	الأزهر
٢٤٨	مصر و (التجارة)	٢٠٤	البعثات
٢٤٨	روضة الأخبار	٢٠٤	مدارس الأقباط الأرثوذكس
٢٤٨	السكوكب الشرقى	٢٠٥	المدارس الأوروبية
٢٤٨	الأهرام	٢٠٥	وزارة المعارف
٢٤٩	الاسكندرية	٢٠٦	ميزانية التعليم
٢٤٩	السكوكب المصرى	٢٠٨	ترجمة حياة على باشا مبارك
٢٤٩	مرآة الشرق	٢٤٢	الجمعيات العلمية
٢٤٩	مرآة الاحوال	٢٤٢	المجمع العلمى



ص		ص	
٢٦١	علي ابو النصر المنفلوطي	٢٤٩	أبو نضارة
٢٦١	الشيخ حسن الطويل	٢٥٠	الصحف الافرنجية
٢٦١	السيد صالح مجدى بك	٢٥٠	الطباعة
٢٦٢	ابراهيم بك مرزوق	٢٥٠	حسين حسنى باشا
٢٦٢	ابو الوفاء نصر الهورينى	٢٥١	مطبعة بولاق
٢٦٢	محمود صفوت الساعاتى	٢٥١	معمل الورق
٢٦٣	محمد عارف باشا	٢٥١	المطابع الأخرى
٢٦٣	احمد بك عبيد	٢٥١	الكتب التى طبعت فى ذلك العصر
٢٦٣	خليفة افندى محمود	٢٥٢	مظاهر النهضة العلمية والادبية
٢٦٣	بقية أعلام الادب	٢٥٣	أعلام الأدب فى عصر اسماعيل
٢٦٤	علماء الهندسة والرياضيات	٢٥٣	رفاعة بك
	علي باشا مبارك . بهجت باشا .	٢٥٣	علي باشا مبارك
	مظهر باشا . فايد باشا . حسين باشا	٢٥٣	السيد جمال الدين الأفغانى
	فهمى المعمار . احمد بك السبكى .	٢٥٣	الشيخ حسين المرصنى
	حسن بك نور الدين . حسين باشا	٢٥٤	محمود باشا سامى البارودى
٢٦٤	حسنى	٢٥٤	عبدالله ابو السعود افندى
٢٦٤	محمود باشا الفلكى	٢٥٥	الشيخ محمد عبده
٢٦٨	اسماعيل باشا الفلكى	٢٥٥	ابراهيم بك المويلحى
٢٦٩	سلامة باشا	٢٥٦	محمد بك عثمان جلال
٢٧١	محمد ناىب باشا	٢٥٧	عائشة عصمت تيمور
٢٧١	اسماعيل باشا محمد	٢٥٨	عبدالله باشا فكرى
٢٧١	أحمد بك نجيب	٢٥٩	الشيخ عبدالهادى نجا الاييارى
٢٧١	حسين افندى على الديك	٢٦٠	السيد عبدالله نديم
٢٧١	علي افندى عزت	٢٦٠	أديب اسحق
٢٧	عامر بك سعد	٢٦١	الشيخ على الليثى

ص	ص
٢٧٦ منصور افندى احمد	٢٧٢ السيد عمارة
٢٧٨ علماء الفقه والقانون	٢٧٢ علماء الطب والجراحة
٢٧٨ محمد قدرى باشا	محمد على باشا البقلى . احمد حسن
٢٧٩ الشيخ محمد العباسى المهدي	الرشيدى بك . محمد الشافعى بك
٢٨٢ علماء الفنون الحربية والبحرية	٢٧٢ حسين عوف باشا
٢٨٢ على باشا ابراهيم . حماد عبد العاطى	٢٧٢ محمد درى باشا
٢٨٢ محمود باشا فهمى	٢٧٣ حسن بك عبد الرحمن
٢٨٤ محمد مختار باشا	٢٧٤ محمد بك حافظ
٢٨٥ شحاته عيسى بك	٢٧٤ سالم باشا سالم
٢٨٥ محمد صادق باشا	٢٧٤ جليلة ترهان
٢٨٥ سليمان قبودان حلاوه	٢٧٥ محمد بك بدر
٢٨٥ النهضة الفنية	٢٧٥ أحمد حمدى باشا
٢٨٦ التمثيل والغناء	٢٧٥ حسن باشا محمود
٢٨٧ الموسيقى	٢٧٦ ابراهيم باشا حسن
٢٨٨ عبده الحمولى	٢٧٦ عيسى باشا حمدى
٢٨٩ ألماس	١٧٦ عبد الرحمن بك الهراوى
٢٨٩ محمد العقاد	٢٧٦ علماء الطبيعيات
٢٩٠ فهرست الجزء الأول	١٧٦ احمد بك ندا
٢٩٩ فهرست الخرائط والصور	٢٧٦ عبد الهادى اسماعيل
	٢٧٦ على بك رياض

## فهرست الخرائط والصور

ص	
١٥	عباس باشا الأول والى مصر
٤٣	سعيد باشا والى مصر
٦٣	ابتداء العمل فى حفر القناة
٦٨	اسماعيل باشا خديو مصر
٩٦	حفلة افتتاح قناة السويس بيور سعيد
٩٧	دخول البواخر المقلّة للبلوك والأمراء قناة السويس
٩٨	وليمة العشاء التى أقامها الخديو اسماعيل ابنهاجا بافتتاح القناة
٩٩	حفلة الرقص " " " " " " " "
١٠٣	خريطة قناة السويس
	نقل أجزاء البواخر النيلية على ظهور الإبل فى صحراء النوبة سنة ١٨٦٩
١١٠	استعداداً لفتح إقليم خط الاستواء
١١٠	الأسطول النيلي الذى تحرك من الخرطوم لفتح اقليم خط الاستواء
١١١	حفلة رفع العلم المصرى على غندكرو (الاسماعيلية) سنة ١٨٧١
١١٢	المعسكر المصرى فى غندكرو (الاسماعيلية) سنة ١٨٧٢
١١٣	ريونجا ملك أو نيورو يضافح صمويل بيكر باشا سنة ١٨٧٢
١١٥	صمويل بيكر باشا مدير خط الاستواء فى عهد اسماعيل وأركان حرب
١٢١	خريطة مديرية خط الاستواء
١٣٠	السودان المصرى فى عهد اسماعيل
١٣٥	مدينة هرر سنة ١٨٧٦
١٥٨	مديريات السودان المصرى فى عهد اسماعيل
١٦٣	رأس جر دفون (جر دفوى)
١٦٧	الرحلات والبعثات الجغرافية فى عصر اسماعيل
١٧٤	مقابل
	مقابل
٠٧	حدود الدولة المصرية أمس واليوم
	على باشا مبارك

ص	
٢٨٠ ، ٢٨١	أعلام الأدب في عصر اسماعيل
٢٧٠	علماء الهندسة في عصر اسماعيل
٢٧٧	علماء الطب والجراحة في عصر اسماعيل
٢٧٨	محمد قدرى باشا
٢٨٣	محمد فهمى باشا
٢٨٤	محمد مختار باشا
٢٨٨	عبد المحولى

### فصول الجزء الثانى من الكتاب

الفصل العاشر - أعمال العمران
الفصل الحادى عشر - مأساة الديون
الفصل الثانى عشر - الحركة الوطنية والحياة النيابية
الفصل الثالث عشر - ختام النزاع بين الخديو والدائمين
الفصل الرابع عشر - نظام الحكم
الفصل الخامس عشر - الحالة المالية والاقتصادية
الفصل السادس عشر - الحالة الاجتماعية
الفصل السابع عشر - شخصية اسماعيل والحكم على عصره

## تصحيح خطأ

صواب	خطأ	سطر	صفحة
عواقبها	مواقبها	١٦	١٠
وكان سعيد باشا ميلا	وكان لسعيد باشا ميلا	١	٣٠
من	أن	٦	٣٢
أن	من	٧	٣٢
سفته	سفينة	١	٣٣
شنان بك	سنان بك	١٦	٣٧
١٨٥٨	١٨٥٩	٢٣	٤٠
فكانا	فكان	١٠	٤٦
هذه	هذا	٢١	٤٩
والفارق	الفارق	٢٥	٤٩
عن	عند	هامش ١	٥٦
بملء	بملىء	٤	٥٧
كانت	كان	١٨	٦٥
٤ أغسطس	١٤ أغسطس	١٦	٨٦
Inauguration	Inauguisation	٤	٩٩
ومن هذه	ومن هذا	١١	١٠٠
١٨٧٧	١٦٧٧	هامش ٢	١٠٠
حافون	حفون	٣	١٠٥
١٨٤١	١٨٤٠	٧	١٠٨
١٢١	١٢٥	١٢	١١٢
١٢١	١٢٥	هامش ١	١١٧
١٢١	١٢٥	١٩	١١٩
الدفلاي	الدفلاوى	١١	١٢٢

صواب	خطأ	سطر	صفحة
ودلاى	فرادلاى	١٤	١٢٦
بولهار	بولها	١٢	١٣٢
حافون	حفون	١١	١٣٨
حافون	حفون	١٩	١٣٩
Loring	Lounog	١٦	١٤٦
سنة ١٨٨٣	سنة ج ص ١٨٨٣	هامش ١	١٦٦
١٨٧١	١٨٧	١١	١٦٧
فيها ما بذلت من	فيها من	٤	١٧٦
الفقهاء	الفهاء	١٤	٢١١
كل على قدر	كل قدر	٣	٢١٨
وتعميقه	رتعقيمه	هامش ١	٢٢٨
احد أساتذة	احمد أساتذة	٢٢	٢٣٤
١٨٢٠	٨٢٠	١٣	٢٥٤
ناصر	ناصر	١	٢٦٠
حلية	حلية	٨	٢٦٢
Norry	Nofry	١	٢٦٧
تاجر بن	تاجر بن	٥	٢٨٨

## حقوق الشعب

يتضمن شرح للمبادئ والنظريات والقواعد الدستورية  
وحقوق الانسان ، طبع سنة ١٩١٢

## نمايات التعاون الزراعية

يتضمن تاريخ التعاون الزراعى ومنشآته فى أوروبا ، ونشأة  
التعاون فى مصر وتاريخه ونظامه وعلاقته بالنهضة الاقتصادية  
والاجتماعية ، طبع سنة ١٩١٤

## الجمعيات الوطنية

صحيفة من تاريخ النهضة القومية ، يتضمن تاريخ  
الانقلابات السياسية والنهضات القومية فى طائفة من البلدان  
مع شرح أصول الدساتير ، والنظم البرلمانية فيها ، والمقارنة بينها  
طبع سنة ١٩٢٢

## تاريخ الحركة القومية

الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية فى تاريخ  
مصر الحديث ، وبيان الدور الأول من أدوارها ، وهو عصر  
المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر ، وتاريخ  
مصر القومى فى هذا العهد

الجزء الثانى : من اعادة الديوان فى عهد نابليون الى

ولاية محمد على الكبير

عصر محمد علي

يتناول تاريخ مصر القومي في عهد محمد علي

عصر اسماعيل

الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل

عهد إسماعيل

الجزء الثاني : وفيه ختام الكلام عن عهد اسماعيل

الثورة العراقية

والاحتلال الانجليزي

مصر والسودان

في أوائل عهد الاحتلال

تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢

مصطفى كامل

باعت الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٨

محمد فريد

رمز الإخلاص والتضحية

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩

ثورة سنة ١٩١٩

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١

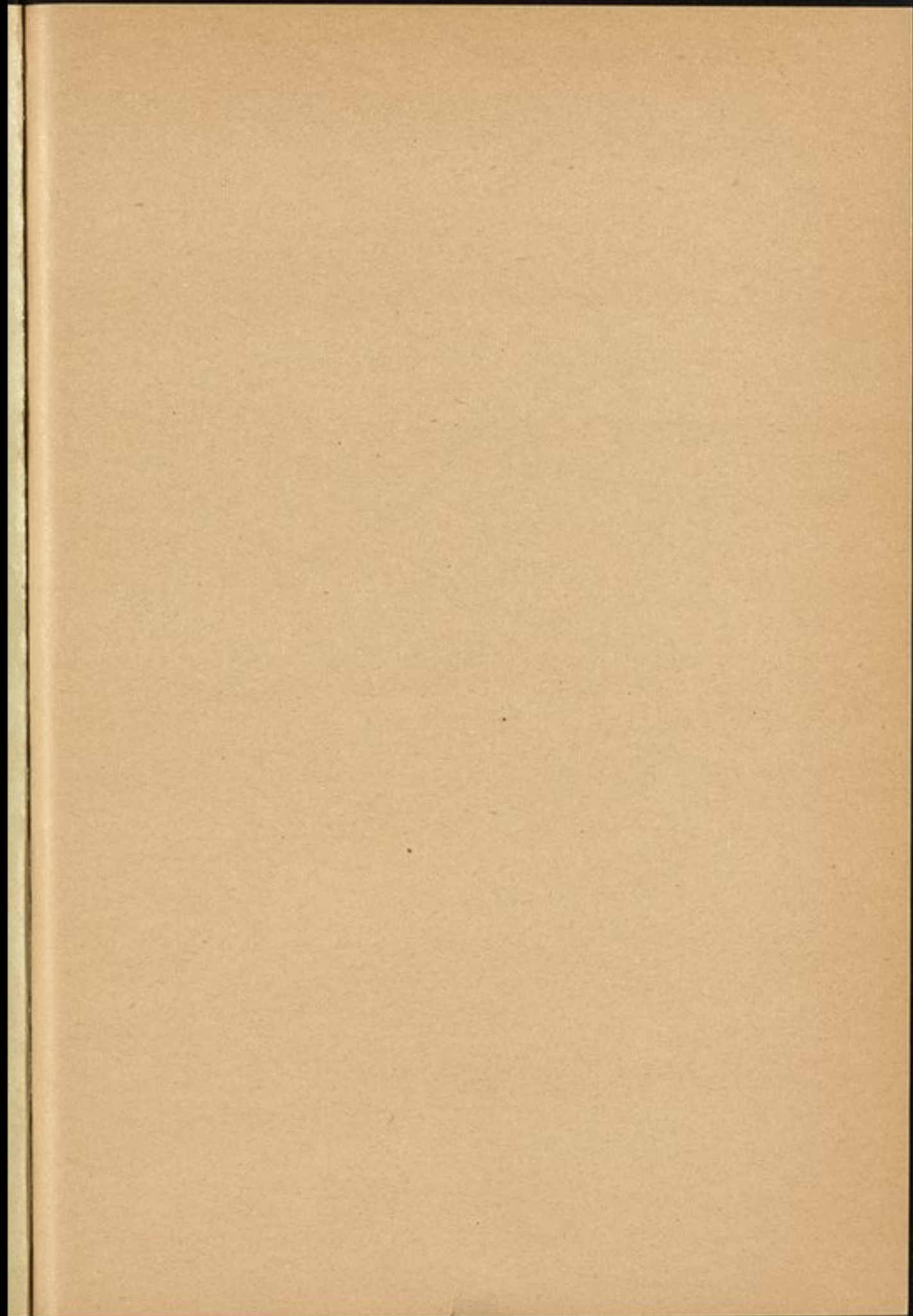


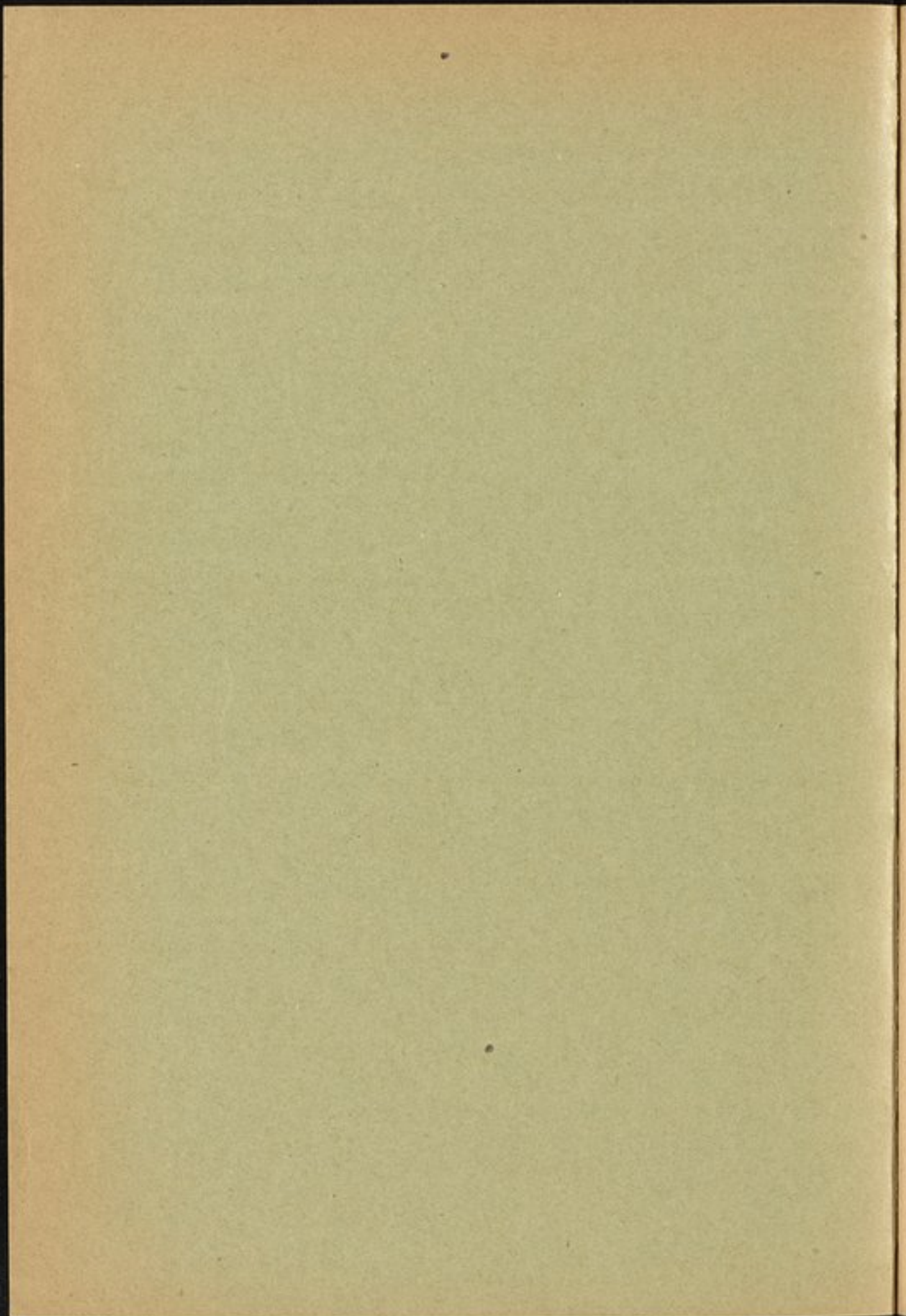
الجزء الأول : يتشمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) ، وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة ، وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب إلى شبوب الثورة في مارس سنة ١٩١٩ ، ثم وقائع الثورة في القاهرة والأقاليم

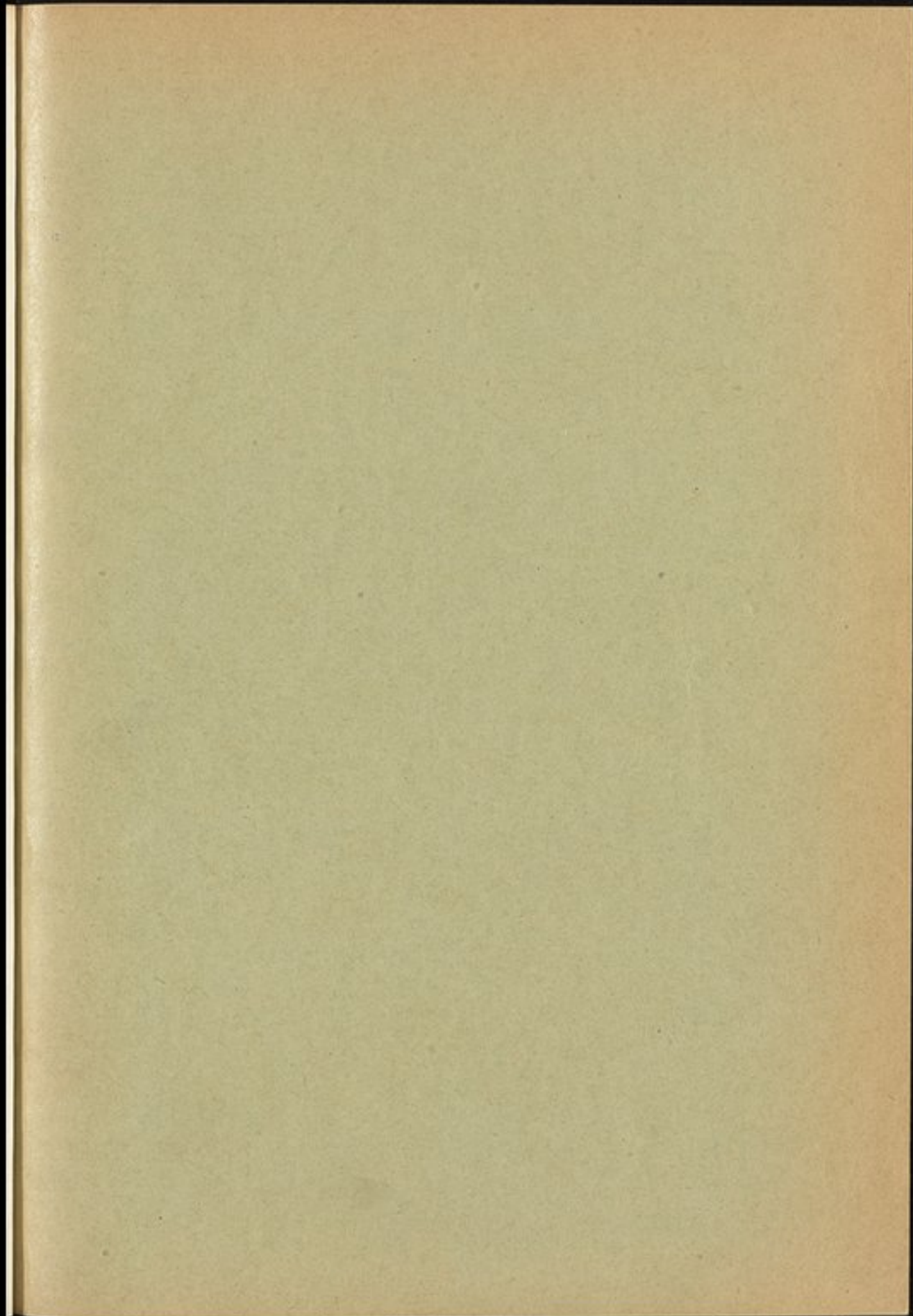
الجزء الثاني : وفيه الكلام عن مهادنة الثورة ، واستمرارها ومحادثات الثورة . ولجنة ملنر والحوادث التي لا يستها . ومفاوضات ملنر . واستشارة الامة في مشروع ملنر ، والتبايع البريطاني بأن الحماية علاقة غير مرضية ، ونتائج الثورة في حياة مصر القومية

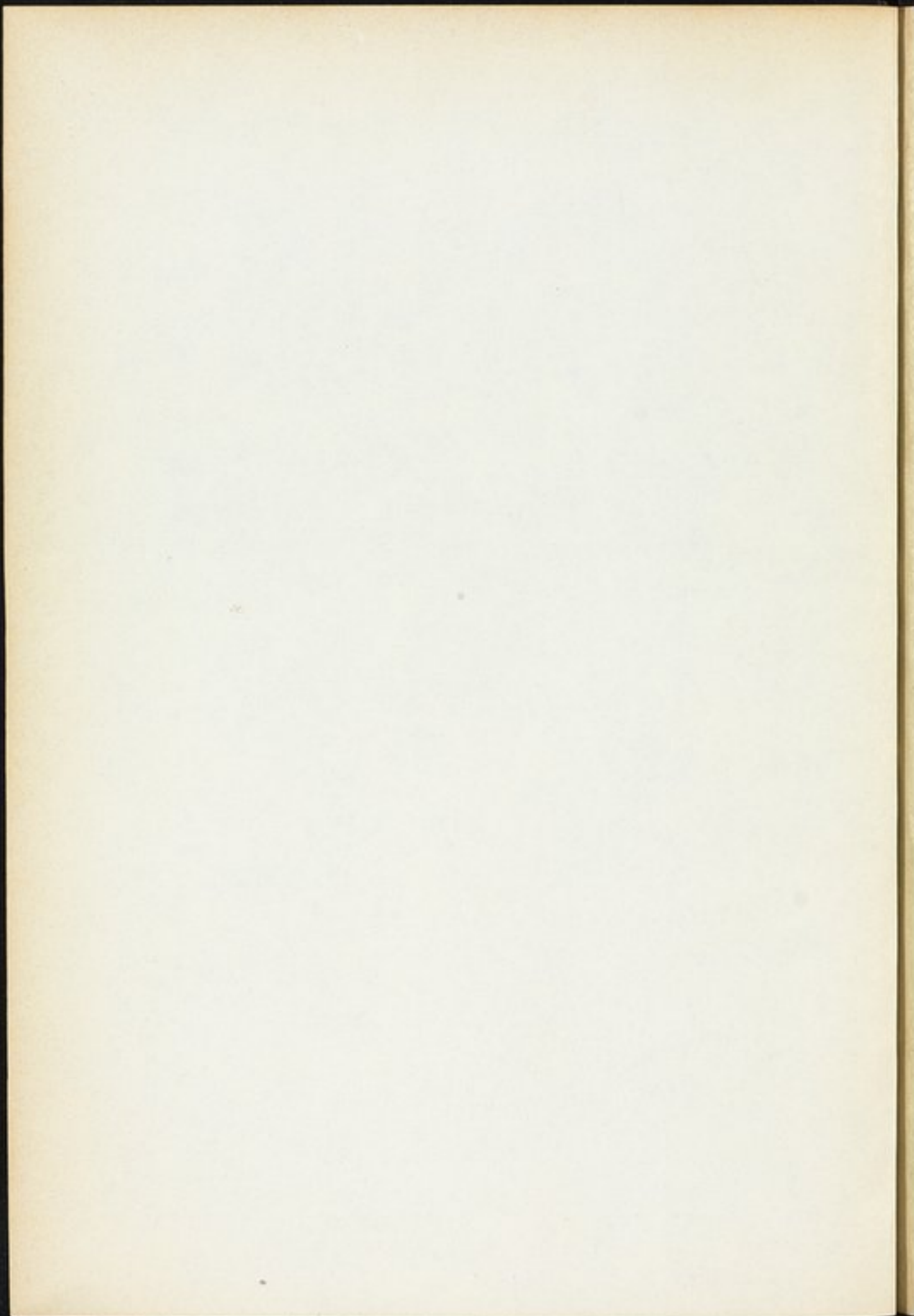
### في أعقاب الثورة المصرية

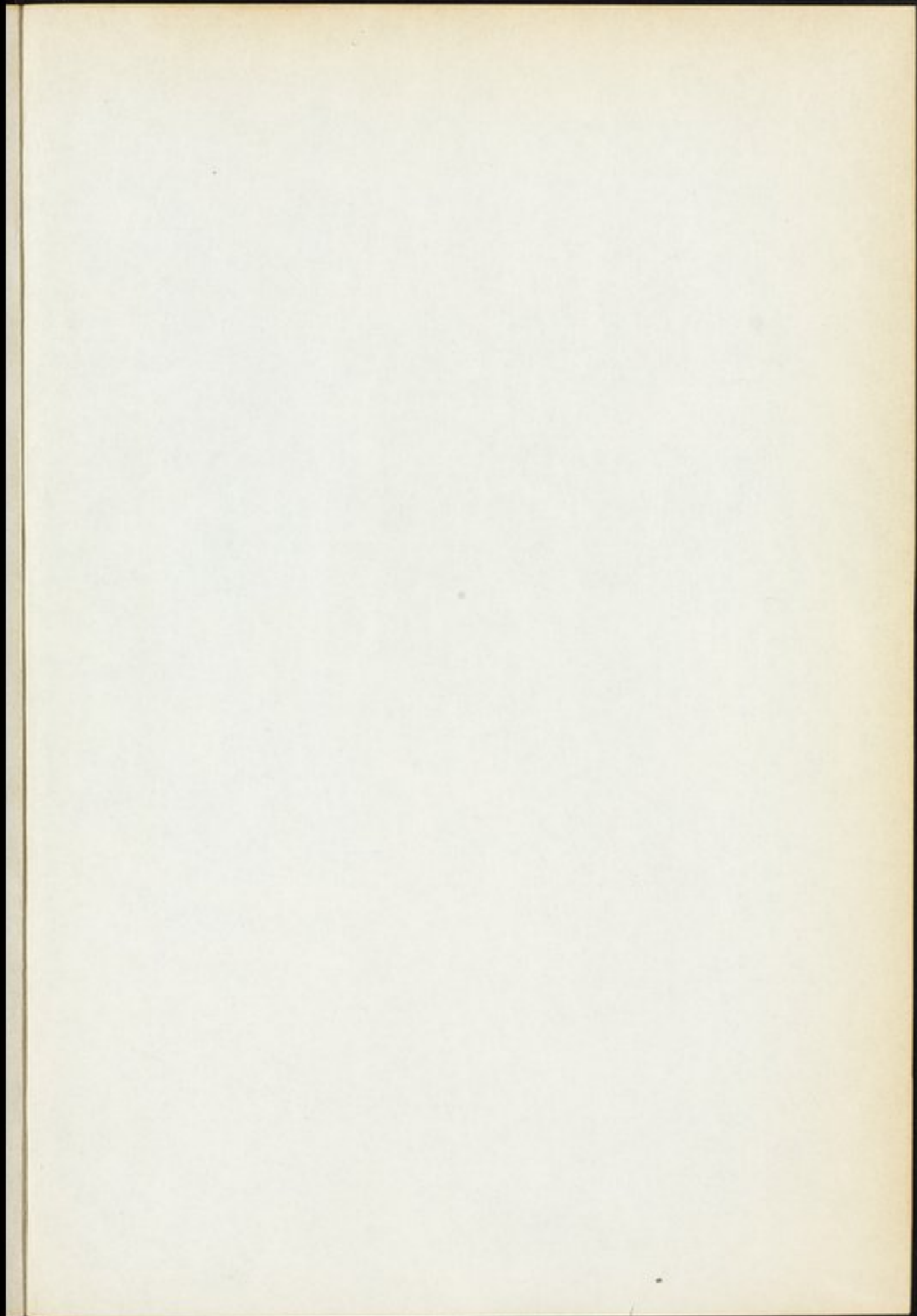
الجزء الأول : تاريخ مصر القومي من ابريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة المغفور له ، سعد زغلول ، في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧

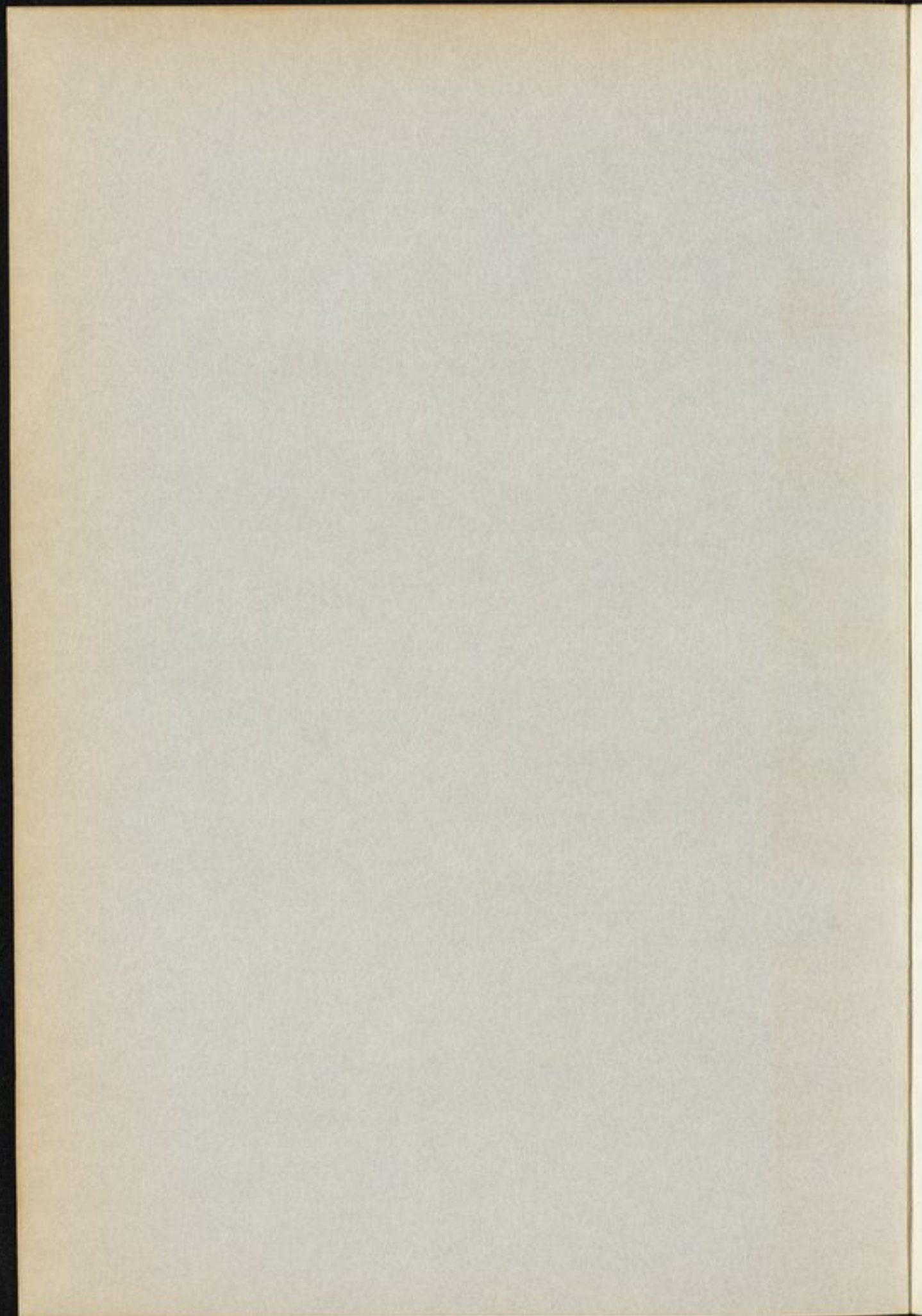












Cornell University Library  
DT 106.R13 1947  
v.1

Asr Ismail /



3 1924 028 780 132

•••



